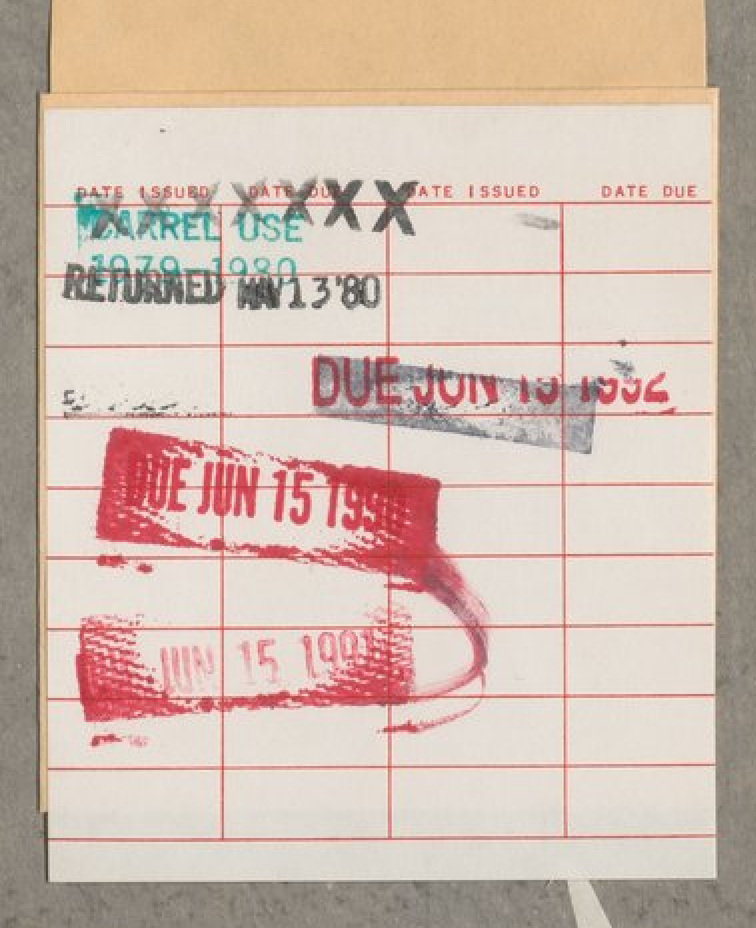
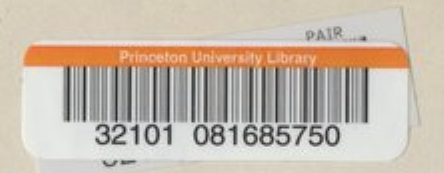
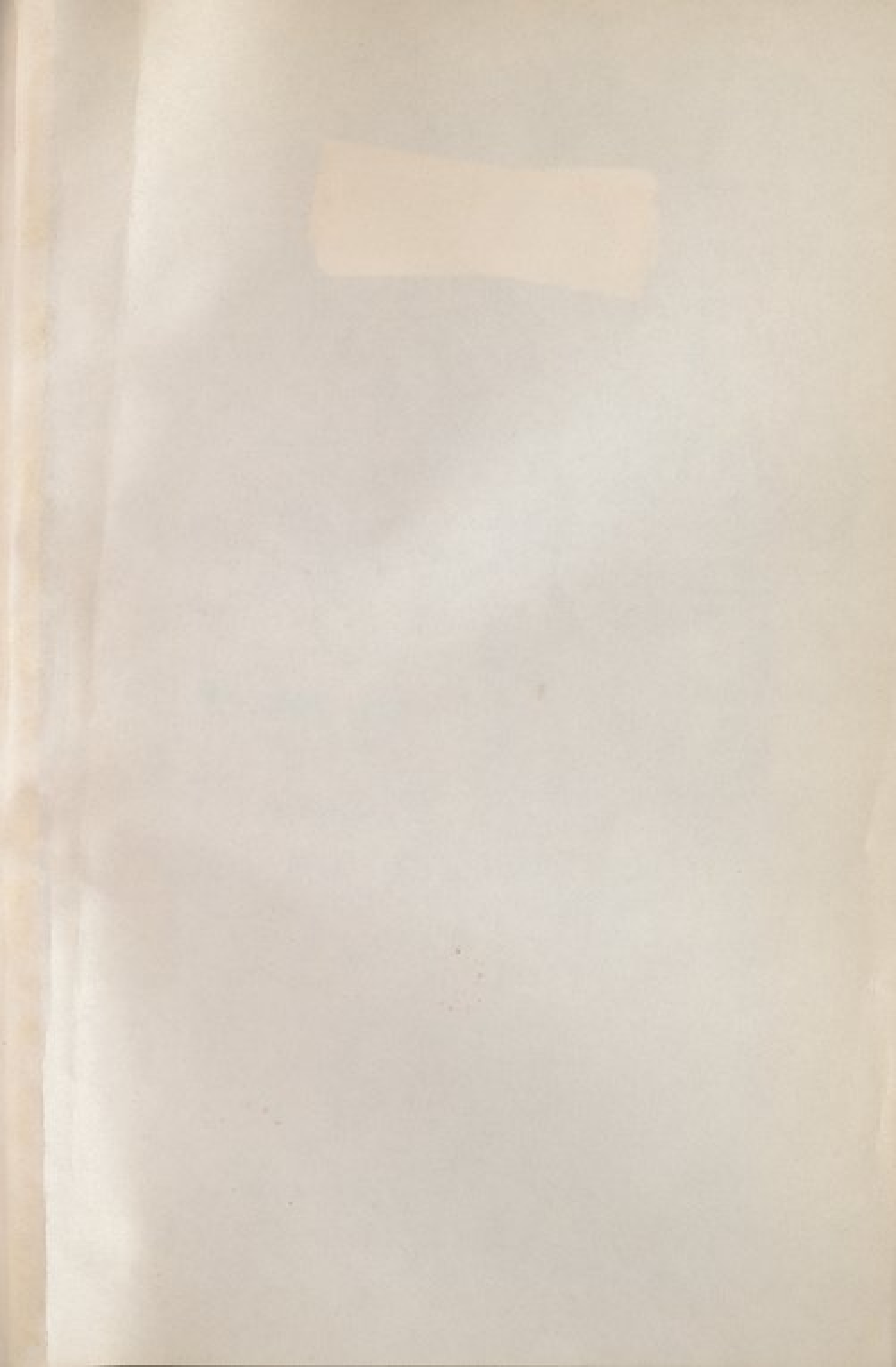



DATE ISSUED
DATE DUE
DATE ISSUED
DATE DUE
CARREL USE
1979-1980
RETURNED 13'80
DUE JUN 15 1992
DUE JUN 15 1990
JUN 15 1993


Princeton University Library
32101 081685750



صفحة من
رحلة الإمام الزنجاني
وخطبه

في الأقطار العربية و العواصم الإسلامية

الجزء الثاني

عني بنشره الوجيه الكبير

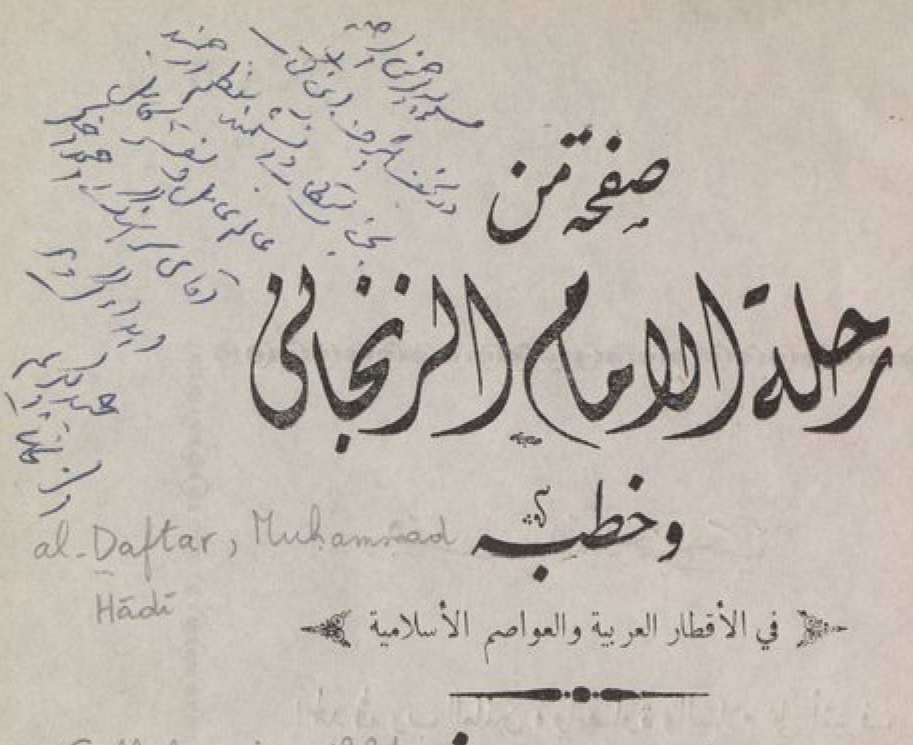
الحاج علي الحاج حسين نجف



١٣٧٧ هـ

١٩٥٧ م





صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه

في الأقطار العربية والعواصم الأسلامية

الجزء الثاني

عني بنشره الوجيه الكبير

الحاج على الحاج حسين سنجر

مطبعة الغرى الحديثة - النجف

١٣٧٧ هـ ١٩٥٧ م

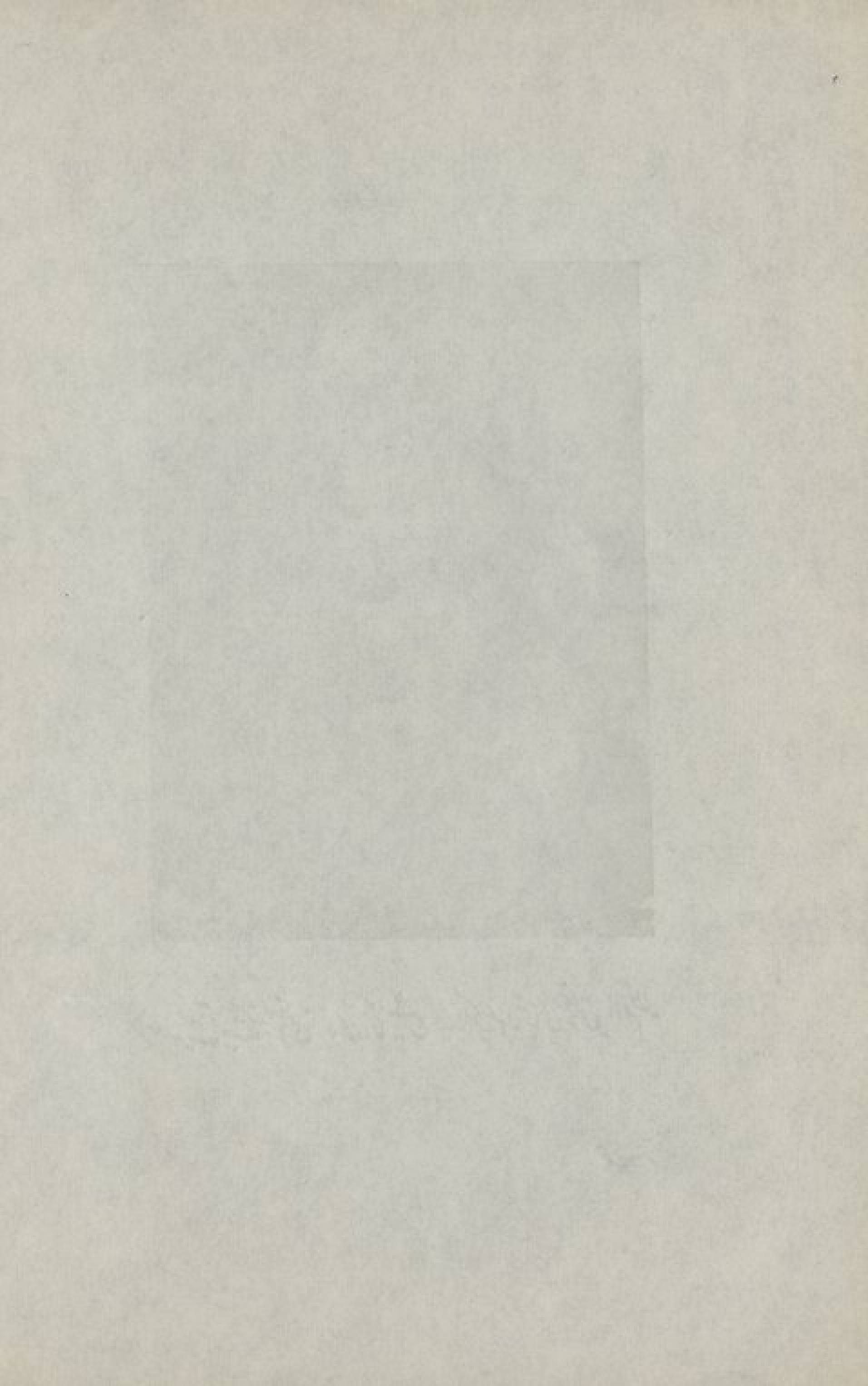
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على أشرف أنبيائه محمد وآله الطاهرين ، وأصحابه الصالحين .





حضرت آیت الله العظمی آقای آقا شیخ عبدالکریم زنجانی نجفی دام ظله



كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

كان من أعظم أمانينا أن يحيى بالطبع هـذا الـكتاب الثمين الذي طالما إشتاق اليه الشرق الاسلامي والعربي ، وشائت الأقدار أن يتأخر هذه الأمنية أعواما حتى اذا تهيأت المصـادر والعوامل اللازمة بادرنا الى طبعه مغتبطين ان تقدم الى العالم الاسلامي في هـــذا الـكتاب نصوصاً للخطب الارتجالية التي القاها الامام المجدد المصلح الأكبر حجة الاسلام وفيلسوفه الاعظم الشيخ عبد الـكريم الزنجاني في العواصم الاسلامية والأقطار العربية وهذه النصوص مجموعة ما تفرق منها في مختلف الصحف والمجلات الشرقية ، وفي مذاكرات شهود العيان ، فاستوت (والحمد لله) كتابا ثميناًهو في وقته كنز لأولي الألباب وسيظل خالداً الى الأبد وذخراً للاعقاب .

وهذه الخطب المقتضبة والمحاضرات الارتجالية وان كانت دلائل عبقرية الامام الزنجاني وتسجل ناحية من نواحي عظمته الاصلاحية ، وترشد الأذهان الى ان تتخذ قياسا لهذه العظمة بماتضمنته من لباب الفلسفه والحـكمة والمنطق واسرار التشريع الاسلامي ، وتفسير القرآن الـكريم، وحقائق العلوم وروح المعارف الآلهية ، و جواهر المكارم السامية و نواحي الاصلاح

الاجتماعي والعلمي والديني، والعواطف الأنشائية الأبتكارية الألهامية التي تجيش بصدور عظماء البشر، ولكننا لانستطيع أن تصور القاريء في الخارج عن محيط الألقاء مقدارما تركته من عظيم الآثار المدهشة العميقة في نفوس عشرات الألوف من الاساتذة والطبقات المثقفة في مختلف البلاد ومئات الألوف من سائر الناس الذين سمعوها من صوته الذي هز الأمم والمعاهد والحكومات هزاً لأنه صوت صوت ضميره، ونواته في تربة عمي في أعماق إحساسه الانساني، ففي صوته بعض نفسه القدسية الكبيرة الفياضة القوية الجبارة التي كأنها مولد كهربائي عظيم يبعث الحرارة والقوة والحيـــاة فى القلوب، اوكأنها قوة مغناطيسية عظيمة تجذب الى مركزها على المنصة قلوب المستمعين ومشاعرهم، فلا يستطيعون عنها تحويلا.

وعلى الرغم من ان الامام الزنجاني يخطب ارتجالا ويبذل قصارى جهده فى الابتعاد عن التفنن في توشية طراز البلاغة، ويتعمد في ان يخطب في المناسبات مرتجلا باللسان العادي الذي يفهمه جميع المستمعين، ـ على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم ونحلهم ومذاهبهم ودرجات ثقافتهم ـ ولكن شدة نفسه وقوة روحه، وملكة بلاغته وغزارة علومه وفلسفته وحكمته، رفعت بدرجة بيانه الى ماتنقطع دونه علائق الاقلام، وتظهر خطبه الأرتجالية مستحكمة الصياغة وفي أبدع تصوير، ويخيل اليك وأنت تسمعها ان الألفاظ والمعاني قد دانت له يصيغها في القالب الذي يراه ويخرجها فتنة للسامعين، ومواضيعها آراء جديدة وأفكار أبكار لم يسبقه اليها سابق فيما نعلم، وكثير

منها تحف لم تفتق رتق سمع ولا خطب مثلبـــا في جمع ، وفي بعضها يحس المستمع ان ضوء جديداً قد سطع على موضوعات قديمة مألوفة فاذا الآراء والافكار المحتجبة وراء ستار من الاساليب الملتوية قد تجلت واضحة قوية فيعرف ان الكلام لصاحب الرأي الذي انتهت اليـه الاصـالة ، و القول الذي اندمجت فيه الدقة مع الجلالة . وقد زاد من بلاغة هذه الخطب و أنمى من روعتها ما عرف به الامام الزنجاني من حسن الالقاء و جمال الافضاء ، فكان لها وقع عظيم فى النفوس بما جمع فيها بين البيان المرتجل و اللباب المنتخل وود السامعون لو كان سلط عليها شريط كهربائي لينقلها كما القيت ، .

وقد صرح المؤلف فى تصدير الجزء الأول من هذا الكتاب بان هذه الخطب التي تهز المطالع من الاعجاب ، وتوجه الضد للايمان بها ، وترغم الخصم على الاعتراف بها ، وتحل المشاكل العويصة التي عجز عن حلها فحول المصلحين و تعالج الامراض الاجتماعية و الدينية على لوحة التشريح المنطقي البرهاني والحس الانساني ، كلها خطب ارتجالية ارتجلها الامام الزنجاني في المناسبات وفي مواقف كان اكثر الناس على غير رأيه فيما يجول ، بصورة بدهية كأنه يقرأ منها في كتاب ، وكأنها تستوحي الغيب فليس بينها و بين الغيب حجاب و بسرعة فائقـة لا يستطيع أي كاتب ان يسجل كلها او جلهـا ، وكان المحررون للصحف وشهود العيان يقيدون ماواتتهم سرعة اليد وما استطاعوا أن يسايروه بايديهم فان سبق الامام الزنجـاني أيديهم تركوه أو فهموا عنه بعض المطالب ثم أدوا ما فهموه بالفاظ من عند أنفسهم ولعلهم اجتهدوا أن

تكون هذه الالفاظ مقاربة لما قاله الامام ، وكان اصحاب الصحف يحرصون على اذاعة ما قيدوه من كلامه ، فلا غرو اذا فقدت الخطب والمحاضرات جمالها الواقعي وشكلها الحقيقي ، ومع هذا فهي تبهر العقول وتحير الألباب.

ثم إن كل خطبة من خطب الامام وكل كلمة من كلماته تنطوي على مالا حد له من الجهات والنواحي والمناحي ، وفيها من الفلسفة والحكمة وفنون العلوم ، واسرار التشريع ، ولوامع التاريخ ، وأساليب السياسة ، والاسلوب البديع ، والادب المعجز ما حير العلماء والفلاسفة والادباء ، وقد تناولها محرروا الصحف أو شهود العيان مبعضة وبصورة مقتضبة ، واقتصرت كل صحيفة بنشر ناحية واحدة تلائم خطتها وتوافق ذوقها من جهات الخطبة ونواحيها الكثيرة ، فمن الصعب أن تجمع كما يرام اوتسجل كما ألقيت ، وليس من السهل استقصاء جميع الصحف والمجلات التي نشرتها بمختلف اللغات ، ولا مذكرات جميع شهود العيان التي سجلتها ، فانها لا يحصيها الحصر والعد ، فالذي وصلنا من خطب الامام الزنجاني وكلماته الخالدة جمل إختزلها الكاتب واقتطعها المحرر من كل خطبة من خطبه المطوله منسجمة في حدود استطاعة الكتاب وقدرة الجامع ، وهذا الكتاب على جلالة قدره وعظيم منزلته غيض من فيض ، وقطرة من بحر ، اذ لم نعثر من مئآت الصحف والمجلات التي نشرت فيها أخبار رحلة الامام الزنجاني ومحاضراته الارتجالية الا على قليل ، ولم يصلنا من مذكرات الالوف من شهود العيان الا عدد ضئيل ، ولم تسمح الظروف الحاضرة ان ننشر كثيراً مما

اجتمع منها عندنا ، والتزمنا أن نسجل نصوص عبارات الصحف والمذكرات على اختلافها في مستوى البلاغة ، ومع تكرر بعض الجمل والمطالب في بعض منها رعاية للامانة ، ولو كان قد عثر على جميع تلك الصحف والمجلات ورصد جميع الخطب كاملة لما استطاع أضعاف حجم هذا الكتاب ان تسعها .

وينبغي التنبيه على أنه لم يمكن ان يطالب من الامام الزنجاني أن يعيد النظر في هذه الخطب والكلمات لا لأنه يكره الرجوع الى ما ألقى أو أملى فحسب ، بل لانه من ضيق الوقت وكثرة العمل وازدحام الواجبات من الدرس والبحث والتأليف والافتاء واجوبة المسائل وقضاء الحوائج والسهر على المصلحة العامة وشئون المسلمين كافة بحيث يشفق عليه منها عارفوه من قريب ويتمنون أن يهيء الله له بعض الراحة والهدوء حيث لا راحة له في غير الاستزادة من العمل ومن النجاح الذي يلازم العمل ، مضافاً الى ان الامام الزنجاني مدفوع دائماً الى الأمام لايستطيع ان يقف او يستقر فضلا من أن يلتفت الى مامضى ، أو يعيد النظر في كلام مضت عليه أعوام وهو لايجد وقتاً يمكنه من أداء واجباته اليومية الكثيرة التي يقتضيها مركزه الديني والعلمي السامي على وجهها .

ومن الجدير بالذكر أن بعض الأساتذه أرادوا أن يظهر الأمام الزنجاني من الحرص على آثاره وآرائه أكثر مما أظهر الى الآن ، لأن محاضراته ومؤلفاته وآرائه وكلماته قد استغلت عند بعض الكتاب والباحثين والمؤلفين استغلالا يتفاوت في الأمانة والخيانة دون أن يشير المستغلون الى ما استغلوا

منها فأظهروا أنهم مبتكرون ، فأجابهم الأمام الزنجاني قائلا : « إني أزهد الناس في أن يعرف لي السبق الى رأي من الآراء أو عمل من الأعمال ، ويدفعني إخلاصي في العمل الى أن أبيح للناس أن يأخذوا وأن يستغلوا بل اجد سعادة لا تعدلها سعادة حين أراهم يأخذون ويستغلون آرائي ، وليس يعنيني أن يشيروا الى أنبالي ، وانما يعنيني أن أكون نافعاً لهم وللجميع .

واكتف بهذا الأجمال ، ونتفادى من تفصيل المقال لكي يتسنى للقاريء الكريم التأمل الصامت فيما تقع عليه العين من روائع هذا الكتاب ، فأن الأجدى عليه أن يتملاها نظراً من ان يتروّاها خبراً .

والحمد لله على ما أنعم نعمة لانحصي شكرها ، ولا ننسى ذكرها .



الخطبة الاولى

﴿ محاضرة الأمام الزنجاني في قاعة دار الأيتام الأسلامية في بيروت ﴾

« تعليقات الصحف اللبنانية والسورية عليها »

نقلا عن جريدة (الكوكب) البيروتية العدد ٢١ ـ ٢٧٣ في ٢٧ شوال ١٣٥٧ ، ١٩ كانون الاول (السنة السادسة) ونقـــلا عن جريدة (المساء) البيروتية وعن جريدة (الألف باء) الدمشقية العدد ٥٣٦٦ في ٢٢ كانون الأول السنة التاسعة عشر :

﴿ الأمام الزنجاني في بيروت ﴾

« أجاب صاحب السماحة حجة الاسلام الأمام المصلح الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني دعوة الوفد اللبناني الذي جاء الى دمشق برئاسة النائب المحبوب السيد رشيد بيضون فسافر مع الوفد الى بيروت ، وأستقبل في الحدود إستقبالا عاما منقطع النظير ، وكانت حفلة الأستقبال مؤلفة من خمسمأة سيارة ، وتجاوز عدد المستقبلين في مدينة بيروت عن مأة الف نسمة ، وحل ضيفا في دار سعاده النائب الكريم رشيد بك بيضون ، وقد غصت الدار طيلة الاسبوع بكبار العلماء والأمراء والوجهاء والأعيان وكافة طبقات الشعب الذين جاؤوا للسلام على الضيف الكبير ، وأقيمت

لتكريمه حفلات كبيرة ، وقد دعته الجمعية الخيرية الاسلامية العاملية لألقاء محاضرة في قاعة دار الأيتام الاسلامية مساء السبت فحضرها جمهور كبير وكان موضوع المحاضرة « الفلسفة الأجتماعية » فملك الألباب واسترعى إعجاب ألوف المستمعين من مختلف الأديان .

« نص رقعة الدعوة »

تتشرف الجمعية الخيرية الأسلامية العاملية في بيروت بدعوة حضرتكم . . . الى سماع المحاضرة التي يلقيها الأمام حجة الأسلام :

« الشيخ عبد الكريم الزنجاني »

وموضوعها « الفلسفة الأجتماعية » .

وذلك في الساعة السابعة والنصف من مساء السبت ٢٤ شوال ١٣٥٧ الموافق في ١٧ كانون الأول ١٩٣٨ في قاعة دار الأيتام الأسلامية في محلة الرمل . فنرجو تشريفكم في الوقت المعين لا زلتم أنصاراً للعلم والفضيلة . (رئيس الجمعية : رشيد يوسف بيضون نائب لبنان الجنوبي)

وفي موعد المحاضرة تسارع الكثيرون لتلبية هذه الدعوة العامة حتى غص النادي وأكثرهم من علية القوم وكبار الأساتذة وكان يتقدمهم جلوساً في المقاعد الأمامية : فضيلة مفتي الديار اللبنانية ، ورياض بك الصلح وسامي بك الصلح ، وإبراهيم بك حيدر ، وسليم بك تقلا ، وأسعد بك البدوي ، ونجيب بك عسيران ، والشيخ منير عسيران ، وجبران بك التويني ، والشيخ أحمد المحمصاني . والشيخ محمد علي الأنسي . والشيخ مصطفى

الغلاييني . والشيخ توفيق خالد . والشيخ علي زين . والشيخ يوسف فقيه والدكتور نجيب عرداني . والدكتور سليم إدريس . وفيليب بك فارس وبهيج بك الفاضل . والشيخ بشارة الخوري . والسيد أحمد الحسيني . وعلي بك رضا . والفرد بك ثابت . ويوسف بك الزين . وباترو بك طراد . وفرنان ارسلانس . وأحمد بك الأسعد . وديمتري بك حابك . والأمير رشيد الحرفوشي . وعبد الله بك اليافي . وأمين بك صباني وكمال بك جبر وحميد بك فرنجية . وأنيس صالح . وأحمد يونس الخطيب . وخليل بك كسيب . وراغب بك علامة . توفيق بك علامة . الأمير خالد شهاب . اوكر بك ابي ناض سامي بك الخوري . الدكتور سليم اللبابيدي . صبري بك حماده . أحمد بك الرجاوي . عمر بك الداعوق ، الاستاذ محيي الدين نضولي ، يوسف بك شمعون ، حبيب ابو شهلا ، أنيس نجا صبحي بك حيدر ، الشيخ إبراهيم المنذر ، أنيس أفندي الشيخ ، كامل بك يوسف بك سالم ، حسن أفندي القاضي ، عبد الحفيظ أفندي ، سليم بك طباره ، إبراهيم بك ازار ، توفيق أفندي حماده ، عبد الله أفندي المشنوق ، عفيف أفندي الطيبي ، الدكتور سامح فاخوري ، أحمد أفندي السبع ، محمد أفندي الطباره ، رامز أفندي شوقي ، رفيق أفندي البراج ، صلاح أفندي اللبابيدي عبد الله بك بيهم ، الفرد بك نصر ، حسن محصلي ، عبد الرحمان أفندي ، علي بك سلام ، عبد الرحيم أفندي قليلات ، محمد أفندي جواد ، واصف

أفندي بارودي عارف أفنـــدي غريب ، قسطنطين زريق ، الشيخ فداء جبيش ، لطفي حيدر ، عادل بك عسيران ، رضا بك التامر ، مختار بخيش كاظم بك الخليل ، عبد الله بربري ، الاستاذ نصري المعلوف ، الدكتور توفيق بيضون ، عمر بيضون ، أنيس بيضون محمود بيضون ، الدكتور محمد خيري النويري ، محمود أفندي النويري .

على ضوء الزنجاني

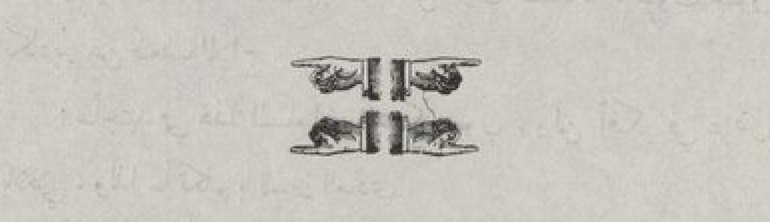
نقلا عن مجلة (الأمالي) البيروتية ، العدد ١٨ الجمعه ٨ ذي القعده ١٣٥٧ ، ٣٠ كانون الأول ١٩٣٨ .

ألقى في الأسبوع الماضي بدار الأيتام الاسلامية الأمام الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني ، محاضرة فلسفية إجتماعية ، كان موفقاً فيها الى أبعد حد ، وأستطيع أن أقول بوضوح أن محاضرنا العلامة الأمام قل ما تسعد المحافل بمرتجل مثله يملك النفس ، ويثلج الصدر ويصبح أحدوثة الناس على إختلاف مللها ونحلها بالثناء والشكر :

تناول علامتنا الأمام فلسفة الأديان وعللها تعليلا صحيحاً مبتعداً عن مرامي التعصب ومزالق الجهل ، في فهم الديانات الثلاث : اليهودية النصرانية ، الأسلامية ، وكانت جابة لسانه العربي الطلق تموج بالناس

كما تماوج الحركة بصفحة الماء ورؤوس الأشجار . ولقد كان يرمي من خلال أقواله الى جمع الكلمة و توحيد القلوب بين أبناء الشرق . قائلا : أن الجنة عرضها كعرض السماوات والارض تتسع للجميع . أجل : فليعمل الشرق اليوم يداً بيد ليساوي بقية الأمم الحية . ولينبذوا النعرات والتعصبات البغيضة التي إن عادت علينا بشيء فأنما يعود بالخسران المبين والخيبة الفاضحة .

ولقد دعى الى توحيد الثقافة بين مختلف الطبقات والطوائف عالماً أنه متى توحدت العقول و الأفكار توحدت القلوب والاهداف . وهذه هي الحقيقة التي لاغبار عليها .



الشيخ الامام الزنجاني

يحاضر عن الوحدة الانسانية

الفردوس فسيح و كوثره يروي الجميع

نقلا عن جريدة (المكشوف) بيروت : في ٢٦ كانون الاول ١٩٣٨ العدد ١٨٠ (السنة الرابعة :

حدثني صديقي قال : ان عالمًا جليلا وإماماً كبيراً سيتكلم عن بعض الشؤون الأجتماعية في الميتم الأسلامي ، فاحضر ، فتسمع ما يسرك .

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته : تطل علينا من تحت عمامة مدورة بيضاء فوق منكبين يعلنان العزم والتؤودة و الثبات .

وعليكم السلام ، قصفت مهمدرة من ألوف الشفاه ، ثم صوت مخنوق يكاد ينم عن ضعف المزاج .

: سأجتهد في هذا المساء إن أسمعكم صوتي ، ولن أفكر في عرض بلاغتي ، ولذا سأتكلم باللسان العادي .

فأحسست كأنني حملت الى شاطيء الخليج ، واذاً بالدريعوم ، والناس يندفعون من كل صوب متلاقطين الكنوز .

من هذا الصوت الصارخ ياترى . أمعمدان جديد يتقدم مسيحا جديداً

وقد سمعت الحديث يدور حول السلام في توحيد النزعات الدينية الآلهية المتباينة في الصورة والمتحدة في الجوهر .

هو الأمام المصلح الشيخ عبد الكريم الزنجاني .

وتابع المحدث : من النجف . يسير في الطريق التي رسمها السيد جمال الدين . وعبدها الشيخ محمد عبده . يجول في الشرق ويوقظ النيام أن توحدوا ففي الوحدة حياة وسعادة .

إستقبله الأزهر فوق استقبال الغزاة الفاتحين . وصافحه الشيخ المراغي بيد تفتش عن رسل النور واليقين . وقبل يده الدكتور طه حسين معلناً هذه أول يد قبلتها .

زار افريقيا والهند والصين . يرفع بيده لواء الفكرة . وفي رأسه علم ابن سينا وإبن رشد والغزالي والافغاني وعبده . وفي قلبه رفق المسيح . وفي صدره عزيمة أحمد (ص) .

دخل بلاد الافغان وبلوخستان . وتسلق صفح همالايا . فقد سمع أن على سطح العالم قوماً ذوي تفكير فرقى اليهم ونظر معهم الى صفاء النور المنعكس عن ثلوج إفرست .

إن الدين الاسلامي يأمركم بأحترام الاديان المنزلة . ولا تخافوا من ضيق المكان في العالم الثاني فتبلع قلوبكم على غيركم ينزلقون الى أعماق الجحيم لأشتداد الزحمة وضيق المكان . فالسماء واسعة فسيحة . وجناتها غناء وارفة . وأنهارها الكوثرية تسقي أضعاف الموجودين بدون عداد وهي

لا تنقطع ولا تلوث ، قال الله تعالى : ﴿ وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السموات والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ .

وليس الجهاد اليوم فرضاً على المسلم بالمعنى المفهوم قبلا . فالتفاهم بالحسنى أولى . (فيا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله) ولا اكراه في الدين ،)

وعلينا أولا ان نسعى الى ترتيب بيتنـا ، ومن اجل هذا فاني أجول في العالم الأسلامي ، وأدعوا الى عقد مؤتمر إسلامي للتفاهم ونبـذ الخصام . وأملنا وطيد بأننا متى وحدنا كلمتنا سنتصل بمؤتمر الأديان العام ، ونسعى الى التفاهم العالمي ، .

ما ذا قال الشيخ الامام . أيسعى الى مؤتمر عالمي تواجه فيه القلنسوة العمة فتتعانقان . .

أجل ، وهو يقول ايضاً : أنه لايجوز أن يبقى الشعب طعمة سائغة لفئة متشحة بثوب الدين تمتطي بالتفرقة ظهره ، وبيدها لجام الجهل ومهماز الطمع .

لا فض فوك أيها الشيخ الأمام ، وحيا الله فيك هذه الروح السامية ، ووفقك في مسعاك النبيل .

وها عمة بيضاء ثانيـة تعتلي المنبر ، فالشيخ مصطفى الغلاييني يقول كلمته ، وقد رجي اليه ذلك ، ومن أحق منه بالأجابة بأسم بيروت ، وقد خص الامام الزنجـاني الأمة اللبنانيـة بعاطفة كالمسك طيبا . وأشاد بعزيمة

اللبنانيين وهمتهم ورغبتهم الصادقة في العلم .

تكلم القاضي . . . بعد أن أرحب عليه ، فقال : إن الامة اللبنانية وعلماء بيروت ، وفي طليعتهم سماحة مفتي لبنان ، موافقون على ما جاء به الأمام الزنجاني .. وحصل أنه قبل كلمته بلحظة قام من بين الحاضرين شاعر عامي أستحسنت أبياته .

وكان الأستاذ حليم دموس حاضراً فلماذا لايعرض شعره المدمس والجو رائق ، والجمع متشوق ، والحديث ذو شجون ، وهو سيصدر في السنة القادمة ملحمته عن بلاد العرب على لحن :

بلاد العرب أوطاني   من الشام لبغداني

. . . . الى تطوان

أشكرك أيها الصديق من صميم قلبي ، لأنني رأيت في فضيلة الأمام الزنجاني روحا أطيب من شذا المسك ياليت إقامته في بيروت تطول فيتعرف الى عاطفته النبيلة رؤساء الطوائف الأخرى فلعل في ذلك مقدمة لخير عميم

من كتاب

شاهد العيان

سيدي الأمام الزنجاني :

سمعتكم في بيروت تلقون محاضراتكم الأرتجالية في نادي الكشاف

المسلم ، وقد نالني من روعتها واء محجابي الشديد بها ما جعلني أكبر كم جداً وأفتخر بكم ، خصوصاً عنـــدما ظهر لي الفرق بين المثل الأعلى في علمائنا وغيرهم بقول الأستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني قاضي بيروت بعدأن أرتج عليه

ماذا أقول بعد خطاب الأمام الزنجاني ، إن كلامي بعد كلامه مثل أكل المخلل بعد أكل البقلاوة .

وفي ذلك النادي الحافل يخطب الأستاذ حليم دموس الشاعر المشهور فيقول : « كنت أود أن لا تلقى هذه المحاضرة (محاضرة الأمام الزنجاني) القيمة في هـذا النادي ، بل على ساحة البرج حتى يسمعها العربي والعجمي والشرقي والغربي والأمريكي والأفرنسي والأنكليزي والمسلم والأرمني والنصراني واليهودي وكل من يتذوق العلم ويسعى وراء الحقيقة ، فنحيي في حقل الأنسانية سعداء » .

لماذا أرتج على الغلاييني

لا نستطيع أن نصف هيبة الموقف التي أحدثته محاضرة الامام الزنجاني في دار الأيتام الاسلامية ببيروت ، فلقد كان مفعول المحاضرة معتمداً على سلطة الأمام النفسية وعلومه الغزيرة ، ومقدرته الأدبية فأبرز الحقيقة بأجلى مظاهرها ، وألقى على المجتمع الأنساني نتائج علومه وثمار بحوثه ودروسه

في اسلوب خلاب أوجد وحدة كيماوية في المستمعين ، و بعثهم حيث ما أراد ووجهم كيف ما شاء ، فلاغرو وحينئذ أن نرى خطيب بيروت المصقع وأديبها البارع الشهير فضيلة القاضي الشيخ مصطفى الغلاييني قد أرتج عليه حينما إرتقى المنصة ، ولكنه كان ممن أرتج عليه فأبدع ، إذ قال : « يا أهل بيروت أنا خطيبكم لا في مثل هذا الموقف ، وقد سمعتم محاضرة الأمام الزنجاني التي لم تشهد بيروت نظيرها ، وانكم في طلبكم كلمة مني بعدها على سبيل من أكثر من أكل البقلاوة فاشتهى المخلل .

ويكفي أن أقول أن جميع العلماء وفي طليعتهم سماحة المفتي وكل الطوائف وافقوا على ما دعى اليه الأمام الزنجاني من الاتحاد الشامل .

حول

« تقريب الأديان والمذاهب ـ أو توحيدها »

تقلا عن مجلة العرفان اللبنانية ذو القعدة ١٣٥٧ ـ كانون الثاني ١٩٣٩ الجزء ٨ من المجلد ٢٨ .

... دعانا الى هذا البحث الآن الخطاب القيم الذي ألقاها العلامة الأمام الشيعي الكبير الشيخ عبد الكريم الزنجاني على ألوف من الحضور وبينهم فريق غير قليل من الطبقة الراقية المثقفة من جميع الفرق وذلك في قاعة دار الأيتام الأسلامية الكبرى ببيروت ... الخ .

ومجمل القول أن علامتنا الأمام تفنن كثيراً في خطابه الأرتجالي الممتع ، وكنا نود أن يتسنى لنا نقله برمته او إختزال مواضيعه على الأقل ، بيد أن شيئاً من ذلك لم يمكن وانما نقلنا عنه ما علق بالذاكرة فقط .

واقترح الأستاذ روحي فيصل على العلامة الغلاييني أن يقول كلمته في الموضوع ، فصعد المنبر وأظهر إرتياحه لما فاه به الأمام الجليل وقال : إن علماء بيروت وفي طليعتهم سماحة المفتي موافقون على ما جاء به الأمام الخ

الخطبة الاولى

« نص محاضرة الأمام الزنجاني في بيروت »

موضوعها : الفلسفة الأجتماعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلوة والسلام على كافة أنبيائه ورسله وخاتمهم وآله الطاهرين ، قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقدأوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : إني أشعر بسعادة عظيمة وغبطة بوجودي بين هذا الحفل الكريم ، وأود أن أعبر عن شكري للجمعية العاملية ولأولئك الأخوان الأعزة والشباب المثقف الناهض الذين أتاحوا لي هذه الفرصة السعيدة ، وأرتل آيات الشكر إزاء ما زهاني منكم ومن

خطبائكم أعلام الفضيلة وحملة مشعل التوحيـــد ، ومبلغي رسالة الوحدة ، من كرم أخلاق ، وطيب أعراق ، ودماثة طبـــاع ، وكل ما يمثل الفضيلة وروح الأيمان والأسلامية والأنسانيـة ، فجزاكم الله خير جزاء المخلصين لدينهم وبلادهم ، ووفقكم الله لما يحب ويرضى إنه سميع مجيب .

ثم إنكم إطلعتم في إعلان الجمعية ورقاع الدعوة على أن موضوع محاضرتي هذه « الفلسفة الأجتماعية » وغـير خفي عليكم أن هذا الموضوع كثير النواحي ، متشعب المناحي ، وسيع المراحل ، وله أطراف مترامية ، ونواح متباعدة ، لا يمكن إحصاء عناوينها بعشرات المحاضرات فضلا عن هذه الألمامة العجلى ، فلنقتصر بشيء يسير منها في صورة مصغرة واضحة تكون وافية لما نحن بصدده من الأصلاح الأجتماعي والديني .

ولو أردت أن أتكلم بما يلائم الطبقة الراقيـة منكم من ذوي الفضل والمعارف لكنت أوجبت حرمان الآخرين من الحـاضرين ، فرعاية لحق الجميع لامندوحة لي من التكلم باللسان الذي يفهم الجميع ولا تختص به طبقة دون أخرى ، إذاً فلامؤاخذة إذاتكلمت باللسان العادي ، بعد أن كان جل الغرض هو الأفهام ، لا إظهـــار الفصاحة والبلاغة والصناعـة والبراعة وتزويق الكلام ، مع العلم بأن أفضل الكلام ما زانه حسن النظـام ، وفهمه الخاص والعام ، وأبلغ البلاغة ما سهل مجازه ، وحسن إيجازه .

الفلسفة الاجتماعية

فلسفة تبحث فى أصول عامة تبين آراء الانسان وأعماله في جميع أدوار التكوين الأجتماعي بأعتباره كعضو في مجتمع بشري تربطه بسائر الأعضاء رابطة الأنسانية والواجبات القهرية والمصلحة العامة فيخضع لنظمهم وقوانينهم (وبعبارة أخرى) الفلسفة الأجتماعية، فلسفة عملية تؤدي الى معرفة مناهج العمل بكل ما يصلح أحوال الأنسان فى معاشه ومعاده ويوصله الى كماله الممكن، وغايتها، المدنية الفاضلة، والتمدن القائم على قانون الفضيلة المؤدي الى الخير الكامل الشامل، ويدبره العقل المجرد عن شوائب الأوهام بأستخدامه القوى النفسية الخاضعة لسلطانه، ويعبر عنه بالعقل الأجتماعي.

وليس علم الأجتماع حادثاً جديداً تكون في العصور الأخيرة كما زعمه بعض علماء الأجتماع في الغرب، بل هو قديم جداً وأقدم من تدوين التاريخ، لوضوح أن الأنسان كائن اجتماعي بالطبع وقد كانت النزعة الأجتماعية موجودة فيه وسائرة على ناموس الأرتقاء منذ كانت مساعيه في عصور سذاجته الأولى محصورة في تحصيل الضروري من وسائل الحياة ومقصورة على الحد البسيط الذي لابد منه لمجرد البقاء، وكانت مظاهر التنافس الأنساني بين أفراده في نطاق دائرة محدودة تسوقهم الى التدافع لا الى

التسابق ، ولكنه لم يلبث طويلاً حتى كثرت عليه أعباء الحياة كثرة هائلة فألجئته الضرورة ، والحاجة التي تفتق وجه الحيلة ، إلى إستعماله حواسه الباطنة لدفع عادية الطبيعة ، وتدبير وسائل المعيشة و تنظيم شؤون الأجتماع مع بني نوعه ليقوموا بالعمل المشترك اللازم لتقويم حياتهم متساندين فيختص كل منهم بجهة منه ، فوسع بذلك من نطاق إدراكه الى شيء مما يدركه خياله الساذج ، ولم يزل متدرجاً على هذه الحالة وموسعاً حدود معرفته المقصورة على ظواهر الموجودات ومظاهر النواحي الأجتماعية بغريزة حب السعادة وغريزة حب الأستطلاع التي هي من أكبر النواميس المتممة بل المقومة لنظام الكون والعمران ، حتى أحس بضيق دائرة الخيال ، وعرف إنخداع الحس ، فأندفع بدافع طبعي نحو استعمال عقله الفطري الغريزي الذي يميزه عن سائر أنواع الحيوان ، وهو موضع شرفه ومنبع كرامته وعنصر الفرق بينه وبين الكائنات الأخرى ، وأخذ يتدرج في الأدراك العقلي الذي به به يتكون تجريد الجزئيات عن المادة وأوضاعها ، حتى إنتظمت له أنواع أربعة من الأدراك مترتبة في التجريد ، وهي : (١) الأحساس (٢) التخيل (٣) التوهم (٤) التعقل ، (والأول) مشروط بثلاثة أشياء ، وهي : (١) حضور المادة (٢) إكتناف الهيآت (٣) كون المدرك جزئياً ، (والثاني) مجرد عن الشرط الأول ، (والثالث) مجرد عن الشرطين الأولين (والرابع) مجرد عن جميع الشروط الثلاثة ، ومن هذه المرحلة أخذ الأنسان يحاول أن يبحث عن بواطن الأشياء ، وحقايق وسائل السعادة ، وكانت

الفطرة الطبيعية تدفعه نحو التفكير في مبدء حياته والبحث عن مصدرها وأسباب تكونها ووجودها ، ومصيرها ، والحالة التي هي عليها ، وشؤون سعادته الأجتماعية وأسبابها ، وكان يسائل نفسه، من أين جئنا ، وإلى أين نحن ذاهبون ؟ ومن أين هذا العالم ؟ وماهو حقيقته ؟ وكيف نشأ كذلك؟ وإلى أي غاية تنتهي به سلسلة الوجود؟ مترقبا الأجابة على هذه الأسئلة من غريزة العقل النظري الذي هو «نبراس الكون الوحيد» .

وفي هذه المرحلة وعلى أساس هذه النظرية الفطرية والبحث النظري عن حقائق الموجودات ودقائق السعادة الأجتماعية تكونت (الفلسفة) العامة ، و (الفلسفة الأجتماعية ، منذ عهود بعيدة تقصر عن إدراكها مجهودات التاريخ الذي لا ينبئنا عما هو أقدم من ستة آلاف سنة ، وكذلك الآثار المكتشفة لا تنبئنا عما هو أقدم من ثمانية آلاف سنة ، فالمدنية الأجتماعية أبتدئت قبل الملك مينا اول فراعنة مصر بمدة بعيدة . وقبل كوش أقدم ملوك بابل . وقبل بيلوس أقدم ملوك مادي وفارس . ولقد أجاد بعض فلاسفة الأجتماع حيث أفاد أن المدنية الحاضرة التي إتصلت بنا سبقتها مدنيات أخرى كثيرة كانت أرقى منها جداً ثم بادت بجائحة طبيعية كالطوفان أو نحوه . ومن بواعث الفخر ماقرره بعض أعلام علماء الأجتماع من أن نظرة عمومية على جغرافية الشرق تؤكد أن المكان الذي بسقت فيه دوحة المدنية المتحضرة لا بدع أن يكون في منطقة سهلية تمتد من وادي النيل شرقاً بشمال قليل الى سهول سوريا ولبنان ورياض العرب الى وادي

دجلة والفرات الى بلاد فارس وبلوخستان فما بعدها شرقاً ، فأن هذه المنطقة معتدلة الأقليم ، خصبة سهلة للتبدي والترحل ، وهي أصلح من سائر المناطق التي حولها للعمران ، ولذلك يرجح أن المدنية نشأت فيها ، وترعرعت هنا وهنالك ، فعليه كان الشرق منشأ المدنية ، ومنشأ الأنسان الأول ، ومبعث الأنبياء والرسل ، ومهد الأديان السماوية ، فما أمجد تاريخ الشرق ؟

ويلزم ان ألفت أنظاركم الى ما قرر في علم الأجتماع الحديث من أن الدين أفعل العوامل الأجتماعية في بناء الجماعات وتنظيمها ، وهو كبطل الرواية في كل فصل فيها ، فقد لعب الدين أدواراً عظيمة الشأن منذ نشوء الجماعات البشرية الى اليوم ، فأن قوة الشعب أو الأمة او المجموعة البشرية لا يمكن ان تجتمع في شكل ديموقراطي مادامت الجماعات غير تامة الأندماج ، ولا يحصل الأندماج المطلوب إلا بقوة ذات الحق الألهي وهي قوة الدين ، وهذا الأعتراف من علماء الأجتماع يلائم ما سجلته الفلسفة من أن الأنسان لما حاول أن يكتشف بغريزة التعقل مصدر العالم ومصيره إهتدى عن طريق الفطرة السليمة والعقل المستقيم بغريزة الشعور الديني وعاطفته الفطرية الى الأذعان بالدين الفطري المرتكز على أساس معرفة مبدء العالم وصانعه ومعرفة معاد العالم ، فالفطرة الأنسانية وغريزة التعقل التي بها تكونت الفلسفة تكونت بها العقيدة الدينية للأنسان فساقته الى التعبد والخضوع للأديان الألهية المتخالفة في الصورة والمتحدة في الجوهر ، فالتدين مرتكز على أصل نفساني فطري قائم على أكرم ميول النفس وأبقاها ما بقي الأنسان ، والأديان

الألهية كلها قد إعتمدت في الأنسان على أصل راسخ من غريزة التدين ودفعته الى الثقة بأن العالم مجموعة متناسقة تسودها ذات مدبرة حكيمة ترقب النيات وتحكم الضمائر ، وأن هذه الحياة صائرة الى غاية من المسؤولية والمجازات . ولكن حكمت الأساطير على العقيدة الدينية وأعمتها الخرافات والأوهام في أدوار كثيرة طافت بها تلك العقيدة ، ولقد أجاد الأستاذ بنيامين قونستان ، وهو أحد علماء تاريخ الأديان حيث قال : (إن الشعور الديني من الخواص اللازمة لطبائعنا الأزلية ، ومن المستحيل أن نتصور ماهية الأنسان دون أن تتبادر الى ذهننا فكرة الدين . وقال (ماكس ملر) إن فكرة التعبد من غرائز البشر فأنه فطر عليها منذ نشأته الأولى . فأتضح أن الدين والفلسفة دوحتان من أصل واحد أنتجته غريزة التعقل وقد كان الدين والفلسفة في بدء تكونهما متآلفين ومتوافقين ومتحدين في الغاية وكانت معرفة مبدء العالم ومصيره ، ودراسة الألوهية وصفاتها وأفعالها وآثارها من أهم عناصر الفلسفة ، ولم يحدث بينهما التنافر المزعوم إلا بعد ما كلف العقل بأن يتكلف إدراك كل مافي عالم الوجود وأن يحيط بواهب العقل وعلة العلل ، وبعد تقهقر العقل الى مرحلة الطفولة الأولى كي لايحاول أن يفهم سوى العالم المادي بواسطة الحواس التي تخطيء كما تصيب وتحيد عن الحق كما تتزن وتستقيم ، . وساعد على ذلك تحريف الدين وإنحرافه عن أساس الفطرة بالآراء البشرية العاطفية . ومن هنا إفترق الدين عن العلم والفلسفة وإرتكز على العاطفة . حينما إرتكزت الفلسفة على الحواس

وعلى العقل الفج المحـــدود . فتبدل الأيمان بالشك فنجمت عنه الفلسفة الأرتيابية فتخالفا بتخالف العاطفة والعقل المحدود بعد ما كانا متوافقين حين التزام أهلهما بأخلاق الفكر من تقييده بدائرة محدودة من العاطفة ، وتحرير العقل من حصره في محيط محصور بدائرة المادة الضيقة ، وكانوا لا يحولون بين المرء وقلبه ، وإشتد هذا الخصام بين الدين والعلم في القرن الماضي ، لأن العلم كان مؤسساً فيه على النظرية المادية في أصل الوجود وأبدية المادة وبذلك عظم شأن الفلسفة المادية ، وكان الدين يشتد في نقضها ، والنعي على معتقديها ، الى أن ظهرت الأكتشافات العلمية الحديثة في هذا القرن وأثبتت أن المادة ليست أبدية ولكنها خاضعة للناموس الحتم الذي يقضي على جميع الكائنات بالفناء والتلاشي ، وأوضحت أن المذهب المادي لا يستند الى قواعد علمية ثابتة ، وانما هو منهاج للتجارب العلمية فحسب ، وبذلك إلتقى الدين والفلسفة في مجال واحد بعد إفتراق طال عليه الأمد ، وسينتهي الأمر بينهما الى الوفاق كما كانا في بدء تكونهما ، وهذه الحقيقة هي سر ما يوجد في الفلسفة من مظاهر الأنعطاف نحو العقيدة الدينية ، ولذلك لا يخلوا من هذا الأنعطاف دور من أدوار الفلسفة ، حتى فلسفة ديكارت ، وكانت وقد أثبت التأريخ أن الفلسفة أعانت على إعداد الشعوب القديمة للمسيحية ، لأن المسيحية الخالصة والفلسفة الصحيحة كانتا متآلفتين ومتعـــاضدتين ما دامت المسيحية ثابتة على الخطة الآلهية المرسومة على ناموس الفطرة ، ولما تغيرت وإنحرفت عنها أنكرت الفلسفة إنكاراً شديداً وإنتهى الأمر

بالفلسفة الى أن إلتمست لها مقراً لا يتسلط فيه حزب المسيح (ع) فهاجرت الى الفرس وإستظلت بلواء الساسانيين ، وكذلك أعانت الفلسفة الشعوب الفارسية والهندية للديانات سيما الأسلامية التي هي دين الفطرة ودين الطبيعة ودين الأنسانية ، ولأجل ذلك يرتاح لتعاليمها العقل ، ويطمئن اليها الوجدان

ثم إن علم الأجتماع الحديث قرر أن الأنظمة الاجتماعية ، التي تعد أجهزة الجسم الأجتماعي ، ترجع الى سلسلتين رئيسيتين : الواحدة واسطة وهي الدين ، والجندية ، والحق الأدبي في القضاء ، والأخرى غاية ، وهي العلم ، والسياسة ، والأقتصاد . فالدين كان واسطة لنشوء العلم ، فما الفلسفة التي هي خلاصة العلم الا الدين مجرداً من الخرافات . وقد ترقت السياسة على كتف العلم مستعينة بالجندية . ثم يقوم الأقتصاد على عاتقي السياسة والعلم معتصماً بالقوانين . ومستنصراً بالقضاء الذي هو الحق الأدبي . ويجب إكساء هذه الأنظمة الأجتماعية الرئيسية بكساء الديموقراطية . إذاً روح الجسم الأجتماعي التمدنية في نظر علماء الأجتماع هي الديموقراطية و بلفظ عربي (المشورة) العامة بواسع المعنى المقررة في الأسلام . بنص القرآن الشريف . ولكن بعض المؤلفين في علم الأجتماع الحديث ترجم الديموقراطية بلفظ (الأشتراكية) بواسع المعنى . وإني لا أشك في أنه أراد بالأشتراكية إشتراك أفكار الجميع في تشريع الأنظمة الأجتماعية وهذه عبارة اخرى عن (المشورة) ولكن المضلين فسروها بالأشتراكية الهدامة .

« الفلسفة الإسلامية العامة »

وهنا يجدر بي أن أضع أمامكم صفحة أخرى ربما لا تجدونها في علم الاجتماع الحـــديث ، وهي أن الفلسفة الأسلامية العامة إعتبرت الفلسفة الأجتماعية مساوقة للفلسفة العملية وجامعة للفلسفة الخلقية والفلسفة المنزلية والفلسفة المدنية ، وفلسفة النواميس والفلسفة الأقتصادية وفلسفة التربية .

وتعني الفلسفة الخلقية بمعرفة مكارم الأخلاق للتخلق بها ، ومعرفة رذائلها للأجتناب عنها . ومعرفـة علاج الأمراض النفسية والخلقية . والطرق التي بها تحافظ على صحة النفس ومكارم الأخلاق . وفائدتها سهولة صدور أفعال جميلة محمودة من الأنسان بأرادته بسبب تخلقه بفضائل الحكمة والعفة والشجاعة التي هي درجات إعتدال القوى الثلاثة وهي العاقلة . والشهوية والغضبية وهذه الفضائل هي الحدود المتوسطة بين طرفي الأفراط والتفريط في هذه القوى الثلاثة ويطلق على مجموع هـــذه الفضائل إسم « العدالة » فالعدالة الفردية والعدالة الأجتماعية رأس مكارم الأخلاق وأ كملها في الفرد والمجتمع وهي المنظمة للحياة النفسية الأنسانية والحياة الأجتماعية لأنها عبارة عن التعديل والتسوية والمساواة العادلة المقتضية لأعتبار الوحدة والأتحاد في ما تجري فيه العدالة . وهذا هو سر ما قاله

شارع الاسلام من أن عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، مع العلم بأن خصلة المحبة أفضل من العدالة ، لأن الاتحاد الحاصل بالمحبة طبيعي حينما يكون الاتحاد الحاصل بالعدالة صناعياً ، وانما تمس الحاجة الى الانتصاف والعدل حينما تفقد المحبة ، اذ لا يحدث خلاف مع وجود المحبة حتى يحتاج الى الانتصاف والعدل ، ولذلك كانت المحبة من أعظم اركان الروابط المنزلية والاجتماعية ، ومنبع السعادة في الحياة ، ولا يدوم إجتماع بدون المحبة على درجاتها والمحبة سر الله المخزون الذي تشفى به جميع الأدواء القومية ، والترياق الذي تذهب به سموم الأمراض الاجتماعية ، وهي أنجع وسيلة لاقتلاع الشرور من النفوس ، وإبادة أنواع التفنن في الشرور من العالم الانساني ، وإذا تأكدت بين قوم أحلتهم محل الصفاء ، وسارت بهم أسرع ما يكون الى طريق الارتقاء ، ونقلتهم الى درجة الأسرة الواحدة فكانوا كالجسم الواحد إذا تألم عضو تألم له سائر الجسد ، ولو تمت المحبة بين الناس لما رأيت دما يسفك ولا عرضاً يهتك ، ولا مالا يسرق او ينهب ولما رأيت المحاكم الأهلية كالأسواق مزدحمة بكل أنواع القضايا ، ولا وجدت المحاكم الشرعية مكتظة بدعاوي الأقارب لميراثهم ، والزوجات لنفقاتهن ، ولو تمت المحبة بين الناس لبات كل انسان بين أسرته ومجتمعه على أتم ما يكون من الصفاء ، وأكبر ما يتصور من النعيم ، ولكان عيش الناس في الدنيا أشبه شيء بعيش أهل الجنة فيها ، والمحبة حبل الله الذي أمر الناس بالاعتصام به ، ولذلك إعتبرها شارع الاسلام أساس الخير وجماع

الفضائل ، وجعلها شرطاً للأيمان ، فقال النبي ﴿ص﴾ : « والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحابيتم ؟؟ ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال ﴿ص﴾ : أفشوا السلام بينكم » ، ولا شك في أن أهم واجب اليوم السعي لأصلاح العقائد والأخلاق .

الفلسفة المنزلية

ولها المقام الأول في نظر فلاسفة الأسلام حتى جعلوا نظام الحياة المنزلية أساسا لنظام الحياة الأجتماعية ، وأصلا لأركان سعادة الأمة ، وفيها تعرف قوانين تكوين الأسرة وتدبيرها ، والحقوق والواجبات المتبادلة بين أفرادها ، وقواعد الأقتصاد المنزلي وأصول التربية وتهيئة الأطفال جسما و نفسا وخلقا للقيام بوظائفهم المتنوعة في خدمة المجتمع، وإنشائهم على الآداب الروحية والمادية لكي يكونوا رجالا متزني الجوانب لاتطغي فيهم ناحية على ناحية ، قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ﴾.

الفلسفة الاقتصادية

وهي تبحث في دراسة جهود الأنسان المخصصة لقضاء حاجاته الطبيعية والأجتماعية ، والمبذولة في إنتاج الأرزاق وتداولها وتوزيعها وإستهلاكها وبها تعرف القوانين والنواميس التي لها تأثيرها في هذه الشؤن ، وللأقتصاد قوانين عامة تشبه الحقائق الراهنة في أنهـــا لا تقبل التغيير في العصور والأحوال ، (كقانون العرض والطلب) مثلا ، وبجانبها قوانين تاريخية لا تلائم الا بعض العصور او الجهات او الحالات الأجتماعية ، والأقتصاد وهو علم المنفعة ، يحتم على الفرد أن يفكر في منفعة نفسه بشرط أن لا تضر غيره ، والمنفعة بهذا الشرط صورة عملية للعدل ، كما أن العدل صورة خلقية للمنفعة ، فمن الغريب الزعم القائل بأن المنفعة والأخلاق لا يتفقان ، إذ يحض الأول على الأثرة وحب الذات ، ويحض الثـــاني على الأيثار والتضحية والتآزر ، ومنشأه الغفلة عن أن الأقتصاد والأخلاق متفقان في مكافحة كل من يميل الى الأسراف والتبذير ، وتشجيع جميع أنظمة التوفير وأن زيادة الأنتاج تساعد على نشر التربية الخلقية ، ولقد عني المشرعون بالمسائل الأقتصادية في كل عصر عناية فائقة ، فوضعوا القواعد والقوانين التي تنظم الملكية الفردية ، والعامة ، والأحوال الشخصية من ميراث

وعقود مدنية وتجارية ، وإهتم الأجتماعيون بها قديماً وحديثاً ، وسجلوا الدراسات الأجتماعية وما ترسمه مذاهبها من غايات للحياة وأساليب فيها ، كالأشتراكية المتطرفة ، والشيوعية ، والفوضوية وأمثالها ، وكشفوا عن وضع الهوى الجامح و الرغبة النهمة المفسدة لشرف الغرض فيها ، وعما في مبادئها من مخالفة القوى الطبيعية ، والغرائز الفطرية مخالفة توجب إستحالة تطبيقها في هذا العالم ، لوضوح أن القوى والغرائز والأستعداد ليست متساوية في أفراد الأنسان ، بل هي متفاوتة ومختلفة ، ويختص كل إنسان بمزايا خاصة ، وبحدود من القوى مخصوصة ، فمن الطبيعي أن تعود نتائجها اليه ، ويجب بالطبع أن تكون ثمرات قواه مختصة به ، كنفس القوى من دون شريك ، وللفطرة غرائز ، كغريزة الشعور الديني ، وغريزة الغيرة على الزوج ، وللطبيعة جند قوي قاهر لا يقاوم ، ولذلك ما لبثت الشيوعية ومظاهرها من الأسبرطية والأشتراكية ، والفوضوية ، والفاشستية ، والأجتماعية الحكومية ، والاجتماعية المسيحية ، والمزدكية ، والنيجرية ، والأسرارية ، والولنزية ، والأبيقورية ، والكلبية ، والديمقراطيسية ، والمادية ، والدهرية ، والأباحية، والماركسية ، والألحادية ، ومذهب التضامن والمذهب الحر ، والمذهب التجارتي أن تلاشت أمام الجند الطبيعي القاهر ، والغرائز الفطرية الراسخة ، وطوتها الأيام ، وأخفق أصحابها لأن المبدأ الشيوعي بجميع مظاهره هو مبدأ تحويل الشعوب الى مجرد آلات بتجريدها من جميع الصفات الأنسانية التي رعتها الديانات والأخلاق والعقول تحت

ثوب الأحياء الوطني ، أو الأنتصار للعمال وتجريدها عن الفكر والعقل المميزين للأنسان عن الحيوان ثم استعمالها كآلات ميكانيكية ، وأصحاب المبدأ الشيوعي يسيرون على غير هدى ، ويتلمسون النور في الليل ، وينشدون النظام في الفوضى ويتمنون الوصول الى شاطىء الأمان ، وهم يتخبطون في بحر الظلمات .

« الفلسفة الإسلامية وتاريخ الفلسفة »

وينبغي التنبيه على أن الكتب الفلسفية التي ألفها الغربيون والشرقيون في العصور الأخيرة ، صورت الفلسفة الأسلامية ، في صورة تقشعر من قباحتها هذه الفلسفة ، ولا يعرفها أهلها إذا عرضت عليهم ، وأن الفلسفة الأسلامية قد لعبت بها أيدي المغرضين من جهة ، والجاهلين من ناحية أخرى ، فصورتها على صورة تؤدي إلى تحويل تيارات العقول والأفكار الى الناحية المعاكسة لأصل نشأتها وغايتها ، وأن تاريخ الفلسفة العام الغربي أهملها ، وإنتقل من العصرين ، الأغريقي ، والمسيحي ، الى العصر الحديث قافزاً من القرن الرابع الميلادي الى نهوض ديكارت ، وباكون ، في القرن السابع عشر ، وسجل إجماع مؤرخي الفلسفة الحديثة على أن مدرسة الأسكندرية ، وهي الأفلاطونية الحديثة ، كانت آخر مصباح شع نوره على العقلية البشرية ثم خبا ، فجمد بخبوه الذهن الأنساني جموداً طال مداه

أكثر من إثنا عشر قرناً ، وإدعى أن الفلسفة الأسلامية لا تزيد على أنها نظريات يونانية ، ولا يوجد فيها شيء من الأبداع والابتكار ، وأن العالم مدين بحرية الفكر لليونان ، وأن فضل العرب لم يكن إلا نقل الثقافة اليونانية ، وتسليمها الى الغرب ، الى غير ذلك مما يثبت جلياً أن الغربيين لم يفهموا الثقافة العربية ، ولم يستطيعوا أن يحلوا طلاسم الفلسفة الاسلامية لغموض أساليبها ، فأسقطوها ـ وهي حلقة قيمة غالية ـ عن سلسلة تأريخ الفلسفة العام ، رغم أن الفلسفة الأسلامية زاخرة بالمبدعات والمبتكرات ، وكنوز الحقائق الراهنة ، في جميع أنحاء المعارف الأنسانية السامية ، وأنها فتحت أمام الذهن الأنساني آفاقاً جديدة ، وجهته الى البحث عن المثل العليا ، ولا يستغني عنها من يطلب الفلسفة الكاملة وتساهمت بحظ كبير في حركة الفكر الانساني في العالم المتحضر ، وكانت من أكبر وسائل النهضة الفلسفية الحديثة ، بل من أعظم مصادرها ، وليس المقصود من ذلك نبذ الفلسفة الحديثة ، كلا ، فأن كلاً من الفلسفتين قوة عقلية جاهزة وعدة فكرية ناهضة يجب استغلالها ، ولا يجوز الاستغناء عن كل منهما ، بل يجب أن نضم نفائس الفلسفة الحديثة الغربية . الى حقائق الفلسفة القديمة الشرقية على ضوء العقل والروية لنستخلص منهما مزيجاً إصلاحياً خالصاً . وفلسفة قويمة . صالحة للحياة والبقاء . وكذلك أراد الله ان تكون الحياة دائماً مزيجاً من صالح القديم والحديث . ولن تجد لسنة الله تبديلا . ومنشأ هذا الخطأ التاريخي هو الجهل بالفلسفة الأسلامية . وبكيفية نشوئها وإرتقائها .

والغفلة عن أن الدور الأسلامي من أهم أدوار الفلسفة والتفكير البشري .
ولم يكن إنتاج الدور الأسلامي منحصراً في إحياء بعض النظريات القديمة
بل كان عهد إبتكار النظريات الجديدة القيمة . بأعتراف علماء الغرب .

وهل يتصور إبتكار و إبداع أعظم مما صدر في القرن الثالث عشر الميلادي من فيلسوف الأسلام ومجدد الفلسفة الخواجة نصير الدين الطوسي من نقضه القاعدة اليونانية القديمة . وهي الواحد لا يصدر منه إلا الواحد . التي كانت آية ثابتة في الفلسفة اليونانية وقاعدة مسلمة في جميع أدوار الفلسفة الى عصره . وكانت مبتنية عليها أسس الهيئة القديمة ومباحث العقول العشرة وما يتبعها التي ضخمت بها الأساطير . وإتسع فيها نطاق الكتب الفلسفية والرياضية . فأنهار بنقضها أساس الهيئة القديمة قبل ولادة كوبرنيك وجاليلة . بعدة قرون وأعجب ما في الأمر أن الفيلسوف الطوسي . إتخذ من ملاك برهان إثبات القاعدة المار ذكرها دليلا على نقضها . وأعظم من ذلك ان الفيلسوف الطوسي برهن على أن (الأجسام متحركة نسبياً) . فأصبحت هذه القضية مبدأ النظرية النسبية التي أنتجتها عدة تجارب قام بها العلماء في القرون الأخيرة . لغرض الوصول الى غاية تستهدف قياس السرعة المطلقة . وكان أهمها تجربة ميكلسن . و مورلي . سنة (١٨٨٧) ميلادية التي مهدت لظهور النظرية النسبية المنسوبة الى الدكتور ألبرت اينشتاين لأنه قام بتفسيرها وتعليلها في القرن الحاضر . وإندهشت الأوساط العلمية في أنحاء العالم من مفاجئتها لأنها تستدعي قلب التصورات القديمة للزمان

والفضاء ، والمسافة ، والمادة ، وإستبدالها بتصورات أخرى غريبة . كتصور الحد الرابع . وإنحناء الخطوط العالمية كما تستدعي قلب أصول إقليدس الهندسية . ومبادىء فلاسفة اليونان الفلسفية والمنطقية . وقوانين نيوتن الميكانيكية .

ونحن إستعرضنا في بعض مؤلفاتنا براهين النظرية النسبية وإنتقدناها تقدأ علميا ، وأوضحنا أن شوط الفيثاغوريين في هذه النظرية كان أوسع من أشواط ميكلسن ، وأنيشتاين لأعتبارهم النسبة صفة لازمة لجميع الموجودات ، بل جعلوها جوهر الكون ، وقالوا : « النسبة نظام الكون الشامل » والمعيار في هذا النظام ، إعتبار أبعاد متساوية ، ووحدات قياسية

ولا يخفى أن هذه النظرية الفيثاغورية مغالطه نشأت من عدم التميز بين وحدة الحساب ووحدة الهندسة .

ومن أعظم الأبتكار في الفلسفة الأسلامية ، نظرية الحركة الجوهرية ، التي هي أساس مبدأ التحول والتطور ، وناموس النشؤ والأرتقاء بأصح المعاني ، وقد إبتكرها وأثبتها ، صدر فلاسفة الأسلام ، محمد ابن إبراهيم في القرن السادس عشر الميلادي ، وقررها على أساس برهاني متين ، واثقاً من كونها حقيقة راهنة فأتخذ منها دليلا على حدوث العالم ، وبرهانا على إثبات الصانع ، وكان ذلك قبل ثلاثمأة سنة من ولادة داروين في سنة (١٨٠٩) ميلادية ، وزملائه الذين نسبت اليهم هذه النظرية التي فسروها بمعنى محدود قاصر لا يساعده برهان ، ولا تدعمه تجربة ، فأتخذ

منها شبلي شميل وأتباعه سبيلا الى الألحاد، وإنكار الصانع ، لأنهم لم يصلوا الى حقيقتها الصحيحة البرهانية ، هذا مضافا الى أن جماعة من العرب المسلمين ، أمثال ابن مسكويه ، وابن خلدون وأصحاب إخوان الصفا ، سبقتهم الى القول بالتطور بالمعنى الصحيح ، ولذلك قال الأستاذ دريبر ، الأمريكي ، في كتابه « المنازعة بين العلم والدين » : إن مذهب النشؤ والأرتقاء للكائنات العضوية الذي يعتبر مذهبا حديثا ، كان يدرس في مدارس العرب المسلمين ، وقد كانوا ذهبوا منه الى مدى أبعد مما وصلنا اليه ، وذلك بتطبيقه على الجامدات والمعادن أيضا . « إنتهى كلامه » .

الإبتكار البديع

في الفلسفة الأسلامية

أوجدت الفلسفة الحديثة ، والعلوم المادية زعما بجوز تسلسل العلل والمعلولات في عالم الوجود لاالى نهاية ، بحجة أن البراهين العشرة المسجلات في الفلسفتين ، اليونانية ، والاسلامية ، على إمتناع التسلسل وبطلانه ، مبتنية على أسس وهمية ، واصول نظرية محضة ، لم تدعمها تجربة ولا حس فهي كلها غير صحيحة ، ولم ينحصر أثر هذا الزعم في الفلسفة فحسب بل شمل الدين أيضا ، لسده باب اثبات الصانع بالبرهان العقلي ، لأن الدين

قرر وجود صانع العالم والدليل عليه أنه لو لم يكن صانع للعالم لزم إما الدور الباطل بالضرورة أو التسلسل المستحيل بالبراهين .

ولكن رئيس فلاسفة العرب والمسلمين « إبن سينا » الذي كان هو المعول عليه شرقا وغربا في قواعد الحكمة والفلسفة والطب وسائر العلوم ، وقد إعترف له الجميع بالفضل والعظمة ، فأفتخر به الشرق وأخذ عنه ومدحه الغرب وإنتفع بتصانيفه أبطل هذا الزعم قبل ألف سنة تقريباً بتقريره برهان الوسط والطرف ، على إمتناع التسلسل وبطلانه ، وإبتناه على مقدمة بدهية حسية لايمكن إنكارها ، وهي أن من المحال وجود الوسط بدون وجود طرفين ، فأنقذ به الفلسفة والدين من الأنقراض ، وهذا البرهان الحسي الذي ذكره إبن سينا في إلهيات الشفاء . إرتضاه جميع الفلاسفة بالقبول . ووصفه صدر الفلاسفة في كتابه « الأسفار الأربعة » بأنه أسد البراهين في هذا الباب . « وملخص برهان الوسط والطرف » هو أننا إذا فرضنا معلولا . وله علة ولعلته علة . كان المجموع عبارة عن طرفين بينهما وسط . ولكل واحد من الثلاثة خاصية . فخاصية الطرف المعلول انه معلول وليس علة لشيء . وخاصية الطرف الآخر انه علة للوسط ولمعلول الوسط اى أنه علة للكل وليس معلولا لشيء وخاصية الوسط أنه معلول لطرف وعلة لطرف آخر . سواء كان الوسط واحداً او أزيد من واحد . وسواء ترتب الأزيد من واحد ترتيباً متناهيا او غير متناه . فان لجميع مابين الطرفين خاصية الوسط . وإن كان غير متناه . فليس يجوز أن يكون سلسلة

علل موجودة وليس فيها علة غير معلولة وعلة أولى فأن جميع غير المتناهي كواسطة بلا طرف . وهذا محال .

وهنا إسمحوا لي أيها الأساتذة الكرام أن أستنتج بالأستلزام من هذا البرهان الحسي الفلسفي ومبناه البدهي بعد مرور ألف سنة . قضية حسية بدهية أخرى عسى أن نتخذ منها دليلا وبرهاناً فلسفياً وحسياً لثبوت دين الأسلام بعد ثبوت غيره من الأديان الألهية .

قال إبن سينا : وجود الوسط بدون وجود طرفين محال . ونقول وجود الوسط بعد وجود طرفين واجب وضروري . بالحس والبداهة ولا شك في أن الأعتدال هو التوسط بين طرفي الأفراط والتفريط . فاذا ثبت وجود التفريط . وثبت أيضاً وجود الأفراط ثبت وجود الوسط طبعاً وعقلا وهو الأعتدال (توضيح ذلك)

أن الأديان الألهية كلها صادقة ومنزلة من الله تعالى وهي متحدة في الجوهر . وكلها تدعوا الى معرفة المبدء الحق ومعرفة المعاد . والأختلاف بينها لا تعدى حدود مزايا كانت الأحوال تقتضيها . والسر الطبيعي لأختلافها في التعاليم والشرائع هو إختلاف إستعداد البشر في أدوار تدرجه على ناموس الأرتقاء . كما أن دروس العلم الواحد تختلف في المدارس الأبتدائية والثانوية والكليه والجامعات حسب اختلاف الأستعداد في التلامذة . قال الله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا التورية فيها هدى ونور ﴾ . وقال الله تعالى : ﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من

التوراة وآتيناه الأنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) وقال الله تعالى (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب و مهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) (مائدة)

نعم إن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بأنه رب العالمين ، ولم يفاضل بين الناس في ما به قوام حياتهم الجسمية ، فهو لا يرضى أن يفاضل في ما به قوام حياتهم الروحية ، ولقد تقرر في علم مقارنة الأديان الآلهية الكبرى في العالم ، وهي اليهودية ، والنصرانية ، والأسلام ، أي الدين الموسوي ، والدين العيسوي ، والدين المحمدي (ص) ، أن الدين الموسوي الذي جاء به موسى كليم الله عليه السلام كان مطابقاً لما كان يقتضيه زمانه بسبب إغراق الناس في المادة إفراطاً لدرجة تأليه الملوك ولهذا إستهدفت شريعته الآلهية توجيه الأفكار الى الرب صانع العالم الذي لا شريك له و ردعهم عن الشرك متكفلة لسعادتهم الدنيوية المادية أكثر من الروحية ،وليس في التوراة المنسوب الى موسى (ع) إشارة الى خلود بعد الموت وثواب في الآخرة على عمل صالح في الدنيا بل كل ما فيها من جزاء الأعمال وعود بالمكافئة في الدنيا ، كالوعد بطول العمر ، والشفاء من الأمراض وإعطاء النسل الصالح، وتكثير المال وغلة الأرض والأنتصار على الأعداء ، وتوطئة أكناف المعيشة ، وتمهيد سبل الرفاهية ، والتسلط على الغير ، وإما

الذين يعبدون غير الرب ويرتكبون المنكرات المقررة في التوراة فهناك وعد ووعيد بتسليط الأعداء عليهم ، ومنع الأرض عن إعطائهم غلتها ، والسماء عن صب أمطارها ، وأمثال ذلك من مصائب الدنيا وآفاتها ، التي لم يكن يردعهم عن الشرك والمنكرات سواها لعــدم استعدادهم لأدراك تفاصيل المعاد والشؤون الروحية وبواطن الحقائق لأنغماسهم في المادة والماديات ، فكان موسى كليم الله عليه السلام رجل المبدء ، وصاحب الغرب والتنزيل ، والى ذلك أشير في القرآن المعجز الخالد ، بقوله تعالى (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الأمر) والغرب رمز المادة ولما كان من الحقائق الراهنة الثابتة في الفلسفة أن الأنتقال من الأفراط الى الأعتدال موقوف على وساطة التفريط ، ولا مندوحة لكل من يروم أن ينتقل من الأفراط الى الأعتدال من أن يسلك طريق التفريط ، فلأجل ذلك ولأرتقاء الأستعداد البشري بعقيدة التوحيد والأنصراف عن تأليه البشر بتعاليم الدين الموسوي جاء دين الله العيسوي بواسطة عيسى روح الله عليه السلام مشبعاً بالروحيات التي تفضل السعادة الأخروية من الزهد والرهبانية على السعادة الدنيوية لحكمة إقتضتها العناية الربانية ، لتقريب الأغراق المادي الدنيوي الذي لم يفارق الدين الموسوي الى التعديل بالأذعان بالمعاد الكامل ايضاً بعد الأذعان بالمبدأ ، ولم يضع السيد المسيح عليه السلام شريعة دنيوية ، ولم يتعرض بذلك تلاميذه الحواريون من بعده ، وبذلك إنفصل الدين المسيحي عن سياسة الدنيا بعد أن تخلصوا

من سلطة البابا الزمنية وسائر رجال الدين ، ويبقى أتباعه في الدنيا مطلقي الأيدي يواجهون كل زمان بما يناسبه من الشرائع والأحكام السياسية ، وبذلك كان عيسى عليه السلام رجل المعاد ، وصاحب الشرق والتأويل ، والى هذا أشير في كتاب الله المعجز الخالد ، بقوله تعالى « وأذكر في الكتاب مريم إذ إنتبذت من أهلها مكاناً شرقياً » ، والشرق رمز الروح وهذه الصفة ثابتة لمريم ولأبنها عيسى (ع) بشهادة قوله تعالى « وجعلنا إبن مريم وأمه آية » أي وجعلناهما معاً آية ، وكان حق العبارة أن يقول : آيتين ، لأنهما إثنان ، ولكن جهة الأعجاز فيهما واحدة ، وذلك أن مريم ولدت من غير زوج ، وولد عيسى من غير أب ، ولو كان زوج لمريم لكان أباً لعيسى (ع) فبهما آية واحدة ولذلك يجوز نسبة ما ورد في شأن أحدهما الى الآخر ، فثبت وجود الأفراط وهو الدين الموسوي كما ثبت وجود التفريط ، وهو الدين المسيحي ، وهما طرفان ، ويستلزم وجودهما وجود الوسط والأعتدال ، وهو الدين المحمدي (ص) أعني الأسلام ، الذي جاء بالأعتدال التام ، فالأسلام ليس شرقياً وروحياً محضاً ، ولا غربياً ومادياً صرفاً ، بل جامع بين السعادتين ومتكفل لجميع مصالح البشر الدنيوية والأخروية فهو دين الأنسانية و دين الفطرة ودين الطبيعة .

نعم ترقت الأقوام البشرية جيلاً فجيلاً ، وكان لها في كل مرحلة من مراحل سيرها وإرتقائها دين يناسب قوما مخصوصاً منها وأخيراً جاء الأسلام وقد بلغت الأنسانية رشدها ، وتهيأت بواسطة الشرائع الآلهية

السابقة عليه للكمال الدائم ، واقتضت في علم الله ضرورة لزوم التحول في وسائل إرتباط جميع الأقوام البشرية عامة ، أن يبعث الله تعالى خاتم أنبيائه صلى الله عليه وآله في مركز الشرق المتوسط الذي كان بمثابة قلب العالم المعمور في ذلك الوقت ، بدين الأسلام العام الخالد الممتاز من سائر الأديان الآلهية بأستهدافه السعادة المزدوجة ، لكي يجمع به مجموعة الأقوام البشرية كافة تحت راية إآلهية واحدة، فكان ديناً وسطاً عرف لكل من الجسم والروح حقه ، وبنيت أحكامه على الأعتدال من غير إفراط ولا تفريط ، وكان نظاما كاملا شاملا لا يقف نفعه على الأمة الأسلامية وحدها ، بل هو عام للمجموع البشري ، إذ قد أسس على قاعدة المساواة أمام القانون الآلهي وإحترام الحقوق ، وقرر أنظمة عامة للمجموع البشري ، وركز ضروب الأصلاح الأجتماعي على اصل راسخ عام صالح لكل الأزمنة ولجميع الأمم والبيئات ، فأحرز الأسلام بتعاليمه السامية حاجات العقول وحاجات القلوب وجمع بين العقل والعاطفة وأثبت أن العاطفة الدينية هي القوة المعنوية العليا المعدلة للميول البهيمية والغرائز الحيوانية التي تلازم الحالة البشرية ، ولا تقوى اية ثقافة عقلية على كبحها كما هو مشاهد محسوس فلقد شاهدنا أن الحرب تزيد هولا ووحشة كلما إزداد تقدم العلم وأنه أمضى أسلحتها ، ولذلك صارت الدعوة الى الأسلام عامة ودائمية وخالدة ، وكلف به جميع البشر على اختلاف قومياتهم الى الابد ، لأستجماع الاسلام عناصر الخلود ، وموجبات عموم الدعوة ، إذ أسست تعاليمه الأصلية

ـ أصول الدين الأسلامي ـ على صرائح العقول السليمة الفطرية المجردة عن شوائب الأوهام وأسست تعاليمه الفرعية ، وقوانينه المستقصية لجميع الشؤن الأجتماعية والفردية على مقتضيات الفطرة ، والغرائز الطبيعية الأنسانية التي تثبت في كل زمان ، وتصلح لكل قوم ، ومن الواضح أن كلا من العقل والطبيعة لازم ذاتي لوجود كل فرد من الأنسان على إختلاف عناصر البشر وأقوامه ، ومن المحال زوالهما عن الأنسان ما دامت الدنيا ، وهذا هو السر لكون الأسلام دينا عاما خالداً وصالحاً لكل عصر وزمان ، وموافقاً لكل قوم وأمة ، ولا يقبل النسخ ما دامت الفطرة الأنسانية باقية في العالم وهو ناسخ ومكمل لما سبقه من الأديان .

ان الدين عند الله الاسلام

الأسلام ، دين إلهي يشمل كل شأن من الشؤن العالمية كما ينير أمام المسلم السبيل في كل ما يتعلق بالأمور الدينية ثم هو بعد ذلك عقيدة وعبادة وسياسة واجتماع ، وهو لا يعرف الفوارق الأقليمية والشعوبية ، وهو يمزج بين السلطتين ، الدينية والدنيوية بحث يشملها الدين الأسلامي جميعاً ، وهو دين الفطرة ودين الطبيعة ، ولذلك قرر في تعاليمه كل ما تتطلبه طبيعة الأنسان بصفة أنه مدني بالطبع ـ من أنظمة إجتماعية واقتصادية وسياسية

وإدارية وحربية وإحترام النواميس الطبيعة كما قرر المثل العليا لأصول العقيدة والتشريع والأنظمة والتعاليم والمبادىء والأخلاق والحقوق والأقتصاد والعدل الأجتماعي .

وقرر أن يسود القانون الأخلاقي في نظام العالم ، وأوجب ضمان السلم وتنمية التعاون الأقتصادي العام على جانب ضمان حقوق الفرد ، ولم يكلف الأسلام الأنسان إلا بما لو ترك وشأنه لتعلق به من نفسه لأنه نتيجة قوى عقله وعواطفه ، ولو أدرك الناس كافة روح الأسلام وفقهوا كنه ما يرمي اليه لما بقي على وجه الأرض من يدين بدين آخر ، لأنه مطلوب كل روح ، ومرمى كل قابلية ، وأنشودة كل إستعداد ، ومطمأن كل إحساس ، ومنتهى كل عقل من معنى الدين والأيمان ، ولولا أن الاسلام ينطبق على كل قابلية وإستعداد ، ويلائم كل عاطفة وإحساس لما كلف الخالق العادل به عموم خلقه ، ولما جعله ديناً خالداً لا ينسخه دين .

الأسلام حارب الفقر والجهل والمرض بتشريعه الزكاة والخمس والصدقات وبحثه على الأحسان وبجعله طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وبأعتباره النظافة من الأيمان ، وبأيجابه الأجتناب من عدوى الأمراض وعالج الفقر الخلقي الذي هو أهم الأمراض الأجتماعية والفردية بتعليمه المعروف : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وصفوة القول أن الأسلام «دين» يصل الأنسان بربه ، و «شرع» ينظم علاقات الناس بعضهم ببعض ، و «سياسة» يحدد صلات المسلمين بغيرهم من الأمم ، و «أخلاق»

ترفع الأنسان الى أسمى غاية من مراحل الكمال .

ومن أهم تعاليم الأسلام القانون العام الذي يجب أن يكون قاعدة للحكومة الأسلامية مع تركه لذويه إنتخاب الشكل الذي يرونه صالحاً لزمانهم ، وذلك القانون هو الشورى قال الله تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ وقال تعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ وما كان النبي ﴿ ص ﴾ في حاجة الى هذه المشورة ، وهو ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ولكن أراد الله تعالى بتوجيه هذا الخطاب اليه ﴿ص﴾ أن يكون أسوة ، للمسلمين كافة فلاتجري أمورهم إلا على أساس الشورى في الأمر لا في ولي الأمر .

ومن هذا البيان الموجز يمكن الوصول الى سر إنتخاب الله تعالى رسوله الخاتم من الشعب العربي الباسل الكريم الجدير من الناحية الفطرية بأن يحمل للعالم أجمع مهمة تبليغ الدين العام الخالد تحت قيادته ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ وهذا سر تأييده بالقرآن العربي المعجز الخالد الذي يساير الأسلام في البقاء بنفسه ، لا بمجرد ذكر لخبره ، ولقد جاء القرآن الكريم بالناموس الأعظم لكمال الحياتين ، الدنيوية ، والأخروية ، وهو كافل لكل ما يهم البشر لسعادته في دنياه من أخلاق ، وثقافة ، وعلوم ، وتشريع ، ففي التشريع الذي ينظم شؤن الأمة والأمور المدنية والجنائية والأحوال الشخصيه ، والعلائق الدولية ، جاء القران بالآيات القانونية ، وهي آيات الأحكام ، التي هي الأساس الأول في التشريع الأسلامي ،

وهـذه الآيات على قلتها تعرضت لجميع ما يصدر عن المكلف من أفعال وأعمال ، فتعرضت الى العبادات من صوم وصلوة وخمس وزكاة وحج وجهاد ، والى الأمور المدنية ، كبيع وإجارة وهبة وصلح ومزارعة ومساقاة ووكالة وحوالة وربا ونحوها ، والى الأمور الجنائية ، من قتل وسرقة وزنا وقطع الطريق ونحو ذلك ، والى نظام الأسرة ، وعوامل التربية والأحوال الشخصية ، من زواج وطلاق وميراث ونحوها ، والى الأمور الدولية ، كالجهاد وعلاقة المسلمين بالمحاربين وما بينهم من عهود وغنائم الحرب وما الى ذلك ، والقرآن بهذه الآيات القانونية وسائر آياته قرر القوانين الكلية والأصول الأولية حتى يكون في نص القانون سعة بحيث يمكن أن يطبق على ما يجد من حاجات ويحدث من جزئيات مفوضاً بيانها الى رسول الله ﴿ص﴾ بقوله تعالى : ﴿وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ فسنة رسول الله ﴿ص﴾ وخلفائه المعصومين مقتبس من نور كتاب الله الكريم ظهرت بها تفاصيل ماجاء في القرآن الكريم ، وتاركا تخرج أحكام الجزئيات في زمن الغيبة لأجتهاد المجتهدين المستجمعين لشرائط الأفتاء ، وهذا هو الذي دعى الشيعة الأمامية الى فتح باب الأجتهاد لأنهم أعرف المسلمين بأسرار الأسلام .

ففي الأسلام تشريع مدني وجزائي راق عادل جامع ، ولو أن الغربيين وجدوا في الدين المسيحي مثل هذا التشريع الأسلامي لما دعوا إلى فصل الدين عن السياسة ، لأن دعوتهم تستحيل حينئذ الى فصل الشيء

عن نفسه ، وهو عين المحال ، وينبغي أن ألفت الأنظار ، الى أن تعاليم الأسلام التكليفية والوضعية كلها فطرية طبيعية ، وأساسها الأوامر والنواهي الشرعية المتعلقة بأفعال المكلفين ، وبما أن الحكم الشرعي يصبح فعلياً بآخر عناوينه ، فالشاي المباح بعنوانه الأولي مثلا يحرم شربه إذا كان مضراً بالجسم ، ويجب شربه إذا كان علاجا منحصراً لمرض ، ويكره شربه إذا كان مؤثراً في مناعة الجسم بحيث قد يسبب عجزه عن مكافحة ميكروب المرض لو أصابه ، فالأحكام الشرعيـــة الأسلامية كلها طبيعية وتقدمية من خواصها أن تصلح وتعالج ، لا أن تهدم وتبني ، نعم إن تعاليم الأسلام إنما هدمت معالم الشرك وأركانه وأسسه . وفيما عدا ذلك فهي إصلاحية تكميلية . والتعليمات التقدمية هي التي تصلح العيوب . معترفة بما لغيرها من ميزات الحيوية التي تؤهلها للبقاء .

الأسلام . دين عملي مثالي في آن واحد لأنه مزج بين المادة والروح وإستخلص منهما مزيجاً ربانياً يجمع بين السعادتين الدنيوية والأخروية . إذ جعل الأعمال بالنيات . فالتجارة . والكسب والسعي لتحصيل المال إذا كان المقصود منه الأنفاق على واجب النفقة او التوسعة في معاش عائلته او بنية صرفه في وجوه الخير والبر والصالح العام يعتبر في الأسلام عبادة ـ بالمعنى الأعم للعبادة ـ ومقربا الى الله تعالى . ثم قرر الأسلام تمركز كافة أعمال البشر تحت عنوان « حب الخير » الذي أراده الله في الكون « وإنه لحب الخير لشديد » .

فتعاليم الأسلام تتطلب تنجيزاً وحتمية في النتائج والمقدمات . وتعمل للحاضر بينما ينظر الى المستقبل العام الخالد . ولا تفصل عصراً من عصر ولا عهداً من عهد . وإنما يعتبر العهود والعصور حلقات متصلة . لأتصال السير على ناموس الأرتقاء بحركة جوهرية في صميم القانون . وبما أن أفعال المكلفين وأعمال البشر في عالم المادة دايلكتيكي مادي . إهتم الأسلام بتعديل هذه الجهة بالجهة الروحية لتلائم أغراض الدين الخـــالد . فجعل الأعمال بالنيات . والعقود تابعة للقصود . وأثبت ملكية الفرد كنتيجة طبيعية لقوى الفرد وغرائزه . وجعل الفقراء شركاء مع الأغنياء في أرباحهم السنوية لا في رؤس أموالهم . وأمن بذلك معيشة الفقراء ورفاههم وأزال الأسلام ما توهمه الأغبياء الجهلة من أن الدين والأخلاق هما العمود الفقري للنظام الرأسمالي فشنوا عليهما حرباً شعواء كجزء من برنامج القضاء على رؤوس الأموال وأدوات الأحتكار في المجتمع البشري ، بتحريمه الرباء في كتاب الله الكريم بقوله تعالى : ﴿ أحل الله البيع وحرم الربوا ﴾ وتشديده في هذا التحريم بقوله تعالى : ﴿ فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ والرباء هو تعاطي جزء كبير من المال أو ما يقابله لقاء قرض أو معاملة كمية لا تناسب مع المعاملة أو المبلغ المقروض والمدة لذلك القرض ، قال ارسطاطاليس : « إن النقود عاقر لا يمكن أن تلد ففرض زيادة على القرض أمر مخالف للطبيعة » وحرمته المسيحية أيضاً ، وأخيراً بقي اليهود وهم الأمة الوحيدة التي قامت في مختلف الأقاليم وأكناف الأرض طيلة ألوف من السنين ، بأستعمال

هذه الطريقة التي نبذها البشر كافة منذ أقدم الأزمنة ، وكان إستئثار اليهود بالسلطة المالية وإستبدادهم بالعالم من أكبر العوامل لقيام حكومات إشتراكية محضة تحرم الرأسمالية وجمع الثروة في أيدي فئة خاصة ، ولكنها أيضاً أفرطت إفراطاً هداما وأصبحت تتلمس طريقها في الظلام فأضطرت الحكومات غير الأشتراكية الى التماس الخلاص عن ذلك وعلاجه بتأسيس البنوك ، وليتهم يهتدون إلى أن شعاعا واحداً من أشعة الأسلام يجلوا عن العالم ذلك الظلام الدامس ، وهو تحريم الرباء ، فليعملوا بالشرع الأسلامي لأنه شرع عادل يفضل (كما يعرف من درس القانون المقارن) الشرائع الوضعية كلها ويستطيع الدعاة الى الأسلام ان يقيموا الدلائل القاطعة على ذلك ، فاذا كانت الطوائف غير المسلمة تقنع بالقانون الفرنسي مثلا لأنه عادل فكيف تأبى ان تقنع بالقانون الأسلامي وهو أعدل منه ، وإن قيل أن الحكم الأسلامي يثير مسألة الأقليات التي هي الشبح المخيف الذي يحول بين الناس وبين الجهر بحقائق الدين فالجواب ان الأسلام ضمن للأقليات أن تكون حقوقها السياسية والشخصية محفوظة مثل حقوق الأكثرية فالاقليات تعرف ان الأسلام شرع عادل وأغرب من ذلك مايجري في بلاد إسلامية من نزع التربية الاسلامية ودروسها من نظام المدارس بحجة أن المدارس لأبناء الوطن كلهم لا للمسلمين وحدهم لجهلهم بأن التربية الأسلامية تربية خلقية سامية لاضرر مطلقاً على عقائد النصارى مثلا إذا تربوا عليها ، وماذا يضر المسيحي ، إذا علم أن الكذب رذيلة ومفتاح المنكرات والمعاصي والزنا فاحشة والسرقة منكرة

والخمر أم الخبائث ، أيكره المسيحيون أن يربي أولادهم على الصدق والأمانة والعفاف ، أليس من الواجب أن يدرسوا القرآن على أنه أبلغ كتاب في العربية خارق في الفصاحة للعادة البشرية ، وأن يدرسوا كتاب نهج البلاغة المتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب كما يدرس القرآن في العراق في الصفوف كلها حتى صف (البكالوريا) وكثير من الطلاب غير المسلمين في الثانوية المركزية ببغداد يحفظون القرآن ويفهمونه وكذلك كثير من الأساتذة غير المسلمين في بيروت يحفظون كثيراً من خطب نهج البلاغة معتقدين أن القرآن ونهج البلاغة دعامتان للأدب العربي الذي يتطلبه ما يلزم على الشرق الأسلامي من المبادرة الى توحيد الثقافة ، لوضوح أنه متى توحدت العقول والأفكار توحدت القلوب والأهداف ، وهـذا هو العلاج الوحيد لتوحيد فرق التوحيد ، التي في طليعتها الشيعة الأمامية وهي طائفة من المسلمين عرفت الأسلام حق معرفته بأرشاد إمامها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي رباه رسول الله (ص) منذ طفولته وعلمه أسرار الدين والعلوم وقال رسول الله (ص) في حقه «أنا مدينة العلم وعلي بابها» وهذا هو السر في أن مذهب الشيعة الأمامية يقوم على توحيد الله في ذاته وصفاته ومعبوديته وأفعاله وآثاره ، وأن الله جل شأنه واجب الوجود بذاته ولذاته وفي ذاته ومنزه عن التجسم والحلول والتركيب والنقائص ، ومستجمع لجميع صفات الكمال من العلم والقـدرة

والحيوة والأرادة والعدل ونحوها ، وأن صفاته الحقيقية عين ذاته وهو الواحد الأحد لا شريك له في الألوهية ولا في المعبودية ولا في الفاعلية ولا في الخالقية والرازقية ، وان جميع ما سواه من العالم الموجود صنيعه لا إله غيره ولا حول ولا قـــوة إلا به له الخلق والأمر ولا مؤثر في عالم الوجود غيره . ثم الأيمان المطلق بالنبي محمد بن عبد الله (ص) وأنه خاتم النبيين وسيد الرسل ومعصوم من الخطأ والخطيئة ، وان الله أرسله بشريعة الأسلام وبالقرآن الكريم وهو الكتاب الموجود في أيدي المسلمين بلا تحريف ، وان كل من إعتقد او إدعى نبوة بعد نبوة محمد بن عبد الله (ص) او نزول وحي او كتاب من الله كافر ، وأن جميع الأنبياء الذين نص عليهم القرآن الكريم والرسول الأمين رسل من الله وعباد معصومون إبتعثهم الله لدعوة الخلق الى الحق ، وان الأهم هو الأيمان بما جاء في القرآن الكريم من أن الله يعيد الخلائق ويحييهم بعد موتهم يوم القيامـــة للحساب والجزاء ولولاه لما صح التشريع ، وان الجنة والنار ونعيم البرزخ وعذابه والميزان والصراط والحساب حق ، والناس مجزيون بأعمالهم ، ويجب الأيمان بكل ما جاء به خاتم الأنبياء (ص) وبالفرائض الأسلامية كلها وهي الصلوة والزكاة والخمس والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومودة آل النبي (ص) التي هي أجر الرسالة بنص القرآن الشريف ، وبها يرتبط ما بعد وفاة النبي (ص) الى ما قبل وفاته حسبما يقتضيه كون الأسلام ديناً عاما خالداً وعليها ترتكز الأمامة التي هي رئاسة

في الدين والدنيا ، ومنصب إلهي ، ليكون الدين كله لله ، والطاعة كلها لله لما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى : (أطيعو الله و أطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) لوضوح ان إطاعة الرسول (ص) إطاعة لله وكذلك إطاعة أولي الأمر الذين نصبهم الله وعينهم إطاعة الله لاطاعة الناس فيما يختارونه بأهوائهم من دون أمر من الله ورسوله ولأجل ذلك قال الله تعالى في سورة محمد : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) ومن هذا البيان ظهر لزوم فتح باب الأجتهاد في زمن غيبة الأمام وعدم حضور الخليفة أمام فقهاء المسلمين والمجتهدين الجامعين للشرائط اللازمة لأستنباط الاحكام الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله ومن الأجماع والعقل بأعتبار أنهما يرجعان الى الكتاب والسنة وأما القياس فهو مظهر لا مثبت حسبما صرح به جميع علماء المسلمين .

الأسلام تسليم بالأديان الآلهية كما نزلت من عند الله وتصديق بالانبياء والرسل من دون تفريق بينهم وبذلك ضمن أحسن الوسائل لأستخلاص الأتحاد والوفاق ، ونشر راية السلام على جميع البشر ، قال الله تعالى في كتابه الكريم : « وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

إن الناس تختلف في الطاعة بسبب إختلافهم في المعرفة ، فمن عرف أن دين الله الحق منزه مثله عن التكثر والتعدد والتغير والمناقضة ولا تبديل

لكلماته ، وعلم أن الأديان الآلهية كلها قوانين صالحة لأوقاتها وأزمانها ، أنزلها الله تعالى لصالح عباده ، وأن كلها واحدة في الجوهر من ناحية الله وأما التغيير فانما هو من ناحية الخلق حسب اختلاف إستعداد البشر فهو لا يشك في أن تغيير القانون والشرع من الله الحاكم المطلق والآمر بالحق لا غرو فيه لتبدل المصالح ، ويعلم أن امتثال قانون الله الجديد والشرع الذي أنزله هو امتثال الله تعالى فلا يصعب عليه اتباعه وإمتثاله ، ولا يتعصب للشرع السابق القديم المنسوخ بالشرع اللاحق ، لأن هذا التعصب عصيان لله المشرع لاشرع الجديد لوجوب امتثال الله المشرع والأعتقاد بأن كل شرع من شرائعه حق وصدق في وقت نزوله ، وكل منها مصدق للآخر ، ويجب أن يحكم على الأديان والمذاهب بالنظر الى سيرة أرق ممثليها ، لا إلى إنحرافات أحط الآخذين بها ، فان جرينا على هذا عرفنا كيف يكون تنقية الشعور الديني من الضغائن والأحقاد ، وكيف يحب بعضنا بعضا وكيف لا يبغض بعضنا بعضاً على طريقة الغلاة والمتعصبين ، وأما الجاحد بمعرفة القانون والشرع ، والغافل عن معرفة المشرع والمقنن فهو يتعصب للشرع القديم ويقف عند إمتثاله ، ولا يتركه ، ولا يؤمن بشرع الله الجديد ، لأنه متوغل في عالم التضاد والكثرة والمناقضة ، وكان نصيبه الحيرة والضلالة والقيل والقال والخصومة والوبال ، ولا يصل الى ساحل الحقيقة أبداً ، وهذا في مستوى المنكرين لله .

الاسلام ومراتب الوحدة

قرر القرآن الكريم ودين الأسلام القويم مراحل الوحدة والأخوة (المرحلة الأولي) الوحدة الأسلامية ، والأخوة الأيمانية ، المشار اليهما ، بقوله تعالى « إنما المؤمنون إخوة » وبقوله تعالى ، « فاعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » (المرحلة الثانية) الوحدة الدينية ، أو توحيد الأديان السماوية ، المشار اليها بقوله تعالى ، « قل يأهل الكتاب ، تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فأن تولوا فقولوا إشهدوا بأنا مسلمون » و قوله تعالى ، (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) . (البقرة)

(المرحلة الثالثة) الوحدة الأنسانية ، والأخوة البشرية ، المشار اليهما بقوله تعالى ، « ولقد كرمنا بني آدم » حيث أثبت التكريم الآلهي لنوع الأنسان ، لا لخصوص المتدينين بالأديان الآلهية ، ولا لخصوص المسلمين والعرب ، وما ألطف التعبير عن الأنسان بلفظ « بني آدم » ليذكرهم أنهم جميعاً أولاد شخص واحد ، وهذا معنى الأخوة ، ومن الواضح أن

الأخوة تستدعي المحبة بين الأخوة ، والمحبة تمنع من وقوع النزاع والحرب والخصام فيستطيع البشر أن يصل بهذا التعليم الأسلامي الى السلام العام .

ونحن إتباعاً لتعاليم القرآن الكريم بدئنا رسالتنا بدعوة كافة المسلمين الى الوحدة الأسلامية الشاملة لأربعمائة مليون مسلم من حدود الصين الى شاطىء المحيط الأطلسي ، والمبتنية على أساس قاعدة الوحدة المتعاونة الأجزاء التي قام عليها نظام الخلق و نظام المجتمع باعتبارنا الوحدة العربية والقوميات الأسلامية بمثابة معدات أساسية وأركان ضرورية يجب تحقيقها لأجل بناء الوحدة الأسلامية عليها ، فسعي أمتنا العربية التي هي منبت الدين الأسلامي الى وحدتها حجر الأساس للوحدة الأسلامية ، وقمنا بهذه الرحلة الشاقة الحافلة بتوفيق يتلوه توفيق ، وفتح مبين يتلوه فتح مبين وأخذنا نجوب الأرض ونركب البحر ، ونزور الأقطار العربية والعواصم الأسلامية ، ووهبنا نفسنا لكافة أقطار الشرق الأسلامي ، فأيدنا الله بأكابر المصلحين ، وعلماء المسلمين ، وزعماء الأمم ، وبناة المجد الخالدة ، وغطارفة الثورة على التقاليد المضرة ، ورجال مخلصين الذين بمؤازرتهم تتقدم الأعمال ، وتتقوم الآمال وتشاد صروح الأيمان ، ومجد الأوطان ونجحت دعوتنا هذه نجاحاً بلغ الى دور العمل ، وكان العامل الأكبر لنجاحنا اننا شرحنا مذهب الشيعة الأمامية التي هي طائفة عظيمة من المسلمين عرفت الأسلام حق المعرفة لأنها أخذت تعاليم الأسلام من أعرف الناس بها بعد النبي (ص) وهو علي بن أبي طالب باب مدينة علوم النبي (ص) ، وأملنا

وطيد بانا متى حققنا الوحدة الأسلامية ووحدنا كلمتنـا ، سنتصل بمؤتمر الأديان العام ، ونسعى الى التفاهم العالمي ، ونعمل للوحدة الدينية وتوحيد جهود الأديان الآلهية في سبيل تحقيق اهدافها المشتركة وأغراضها السامية مع العلم بأن التفاهم بالحسنى هو الجهاد الأسلامي في زمن غيبة الأمام وانحلال الخلافة الأسلامية ، فيأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فأن تولوا فقولوا إشهدوا بأنا مسلمون ، ولا نرضى بأن تبقى شعوب الأرض طعمة سائغة لفئة متشحـة بثوب الدين تمتطي بالتفرقة ظهورها ، وبيدها لجام الجهل ، ومهماز الطمع ، ويأيها المسلمون ، لا إكراه في الدين ، ويأمركم الأسلام بأحترام الأديان المنزلة ولا تخافوا من ضيق المكان في الآخرة فالجنة عرضها عرض السماوات والأرض أعدت للمتقين)

ثم بعد تحقيق الوحدة الدينيـة يجب علينا أن نلتفت الى أن شرور العالم المادي تغمر الأنسانية وتطغى على ما بقي في النفوس من هيبة وإحترام للنظم الآلهية وأن من الواجب درء هذا الخطر ، ومحاربة الشهوات الجامحة والأباحية التي يئن منها العقلاء فنوجه الدعوة في المرحلة الأخيرة الى النوع البشري والمجتمع الأنساني ، وندعوهم الى الوحـدة البشرية ، والأخوة الأنسانية المرتكزة على التكريم الألهي والشرف الأنساني ، فأن تنميـة وسائط الأخاء البشري ، وتحكيم العقل الذي يميز الأنسان عن سائر أنواع الحيوان ، سيؤديان الى كبح جماح غرائز حيوانية ركبت في الأنسان

فيوصلان البشر الى فهم ما في الأديان من معان روحية ساميـة ومكارم عالية ترد الأنسان الى مواطن الشرف والفضيلة .

إني أعتقد أن منشأ إنحطاط الشرق لا سيما الشرق الأسلامي والعربي إختلاف النزعات ، والتعصبات البغيضة التي إن عادت علينا بشيء فأنما تعود بالخسران المبين والخيبة الفاضحة كما أن بلاء العـالم أجمع هو الأفراط في شعائر القومية المتطرفة ومنشأ الفشل هو إختلاف الأهـداف الناشيء من إختلاف النزعات الثقافية والقومية والدينية والطائفية حتى أصبحت الأديان في نظر الفريق الأكبر عبارة عن أحزاب سياسية يعمل كل لشد أزر حزبه ومن هنا وقع الخلاف بين الدعاة الى الوحدة العربية وبين الدعاة الى الوحدة الاسلامية ، وفشلت جهود المصلحين ، وساعد على فشلهم أن الدعاية للاتحاد في أمتنا الأسلامية والعربية كانت ولا تزال ناقصة غـير مأخوذ بأطرافها من جميع النواحي ، فكلما نسمعه و نطالعه في هذا الشأن محـدود المسافة . فيجب أن نبدء دعوتنا الأصلاحية بتوحيد النزعات في أسلوب يحرر الفكر الأنساني ويجرده عن الأشكال والصبغات التي تفرغها عليـه العداوات الدينية والخصومات القومية والنزعات المختلفـة والنعرات الطائفية وسائر عوامل التفريق لكي يشعر المفكر المستمع لأرشادنا أنه قد تسامى عن مستوى الخلافات وارتقى الى عالم أعلى يتحد فيه الشعور ويتفق إتجاه العقول وتجمع الكل غاية واحدة تملك عليهم مشاعرهم وتقوم عندهم مقام العقيدة هي الولع بالحقائق الراهنة والخير العام ، والمستمعون المفكرون بأنصرافهم

لهذه الغاية التي تؤلف بينهم يطرحون وراء ظهورهم جميع الفوارق والأعتبارات مهما كانت صبغاتها ، ويصبحون في عالم مجرد عن القيود فيه تلتقي الناس كلهم أصدقاء متآخين ومتضامنين في العمل الصالح . فليعلم الشرق أن :

(عثرة الشرق في طريق المعالي لم يقله شيء سوى التوحيـد)

وليعمل الشرق اليوم يداً بيد لتحقيق مراحل الوحدة المار ذكرهـا ليساوي بقية الأمم الحية ، وينبذ الضغنات والتعصبات البغيضة وليطمئن المسلمون وسائر المتدينين بالأديان الآلهية بأن خضوع غير المتـدينين من البشر لعامل الأخاء الأنساني ، و قبولهم التكريم الآلهي يقربهم من فهم ما في الدين من المعاني السامية العامة بل يوصلهم الى حظيرة الدين الاسلامي الذي قرر هذه الأخوة في القرآن الكريم فتزول أو تخف عوامل التفرقة وهذا إنتصار للدين على الألحاد ، وكذلك إستجابة أهل الكتاب الى دعوة القرآن ، وقبولهم لكلمة سواء بيننا وبينهم (أي كلمة التوحيد) ينتهي الى التوحيد الأسلامي الذي لم يقع فيه شيء من الشوائب التي وقعت في الأديان الأخرى ، من الحلول ، والأتحاد ، والتشبيه ، والتعطيل وغيرها مما يخل بمقام الألوهية ، وبعد قبول هذا التوحيد المحض الخالص والأعتقاد بالصانع الواحد القديم المنزه عن كل ما لا يليق به ، والأذعان بتكاليفـه الدينية ، يصبح ثبوت المعاد امراً ضروريا لابد منـه لئلا يكون التشريع بدون جزاء ولغواً ، ولم يرد هذان الأصلان (التوحيد والمعاد) في دين من الأديان بالشكل الواضح الجلي الذي قرره الدين الأسلامي الحنيف

(من توحيد الذات ، وتوحيد الصفات ، وتوحيد الأفعال ، وتوحيد الآثار) الذي جاء به نبينا محمد (ص) فالأعتقاد بالتوحيد وبالمعاد الجسماني بهذا الشكل يحقق طبعاً معنى التصديق بنبوته ، وهذه الثلاثة : هي « أصول الدين الاسلامي » .

وإني أيها الأخوان الكرام في ختام كلمتي هذه أبتهل الى الله أن يجمع الكلمة وأن يؤيدكم فيما تسعون اليه من خير للأسلامية والأنسانية وأن ينير لكم الطريق ، ويهديكم لسواء السبيل ، وما أردت إلا الأصلاح ما إستطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وآخر دعويهم أن الحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله .

الخطبة الثانية

محاضرة الأمام الزنجاني في الجامعة السورية وتعليقات الصحف عليها ، نقلاً عن جريدة الأنشاء الدمشقية ١٢ شوال ١٣٥٥ ـ ٢٣ كانون الأول ١٩٣٦ .

« رجال الكتلة والحكومة والنواب والأساتذة يستمعون »

كان مساء أمس موعد الحفلة التي دعى إليها النائب السيد فخري البارودي لسماع محاضرة الأمام المصلح الحكيم الشيخ عبد الكريم الزنجاني

مجتهد الشيعة الكبير في مدرج الجامعة السورية ، وقد حضر الحفلة رئيس المجلس النيابي الأستاذ فارس الخوري ، ونائب الرئيس الأستاذ لطفي الحفار ووزير الداخلية والخارجية سعد الله الجابري ، والأستاذ شكري القوتلي ، والأستاذ جميل مردم ، والأستاذ رياض الصلح ضيف دمشق ، والأمير مصطفى الشهابي وزير المعارف ، والنواب السادة فخري البارودي ، والدكتور إحسان الشريف ، والدكتور توفيق الشيشكلي ، وعبد القادر السرميني ، والدكتور ناظم القدسي ، كما حضرها الأستاذ العلامة محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي ، وجمهور كبير من رجال العلم والفضل وغصت القاعة من كبار الأساتذة ومن علية القوم حتى أضطر لأغلاق الأبواب ، ولكن الطرق المتوالي على الباب الخارجي دفع السيد فخري البارودي لأن يخرج ليردع الطارقين ، وفي الساعة السادسة إعتلى سدة الجامعة النائب فخري البارودي وقدم الأمام المحاضر الى المدعوين بعبارة لطيفة ، فوقف الأمام المصلح الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني وألقى إرتجالا محاضرة ممتازة لم تسمع دمشق مثلها ، وبين الأمام المحاضر أن آداب الأمم من أهم العوامل المؤثرة في تكوين أخلاقها ، وأن أخلاق الأمم من أقوى الأسباب الموجدة لعقائدها ، وسرد أدلة كثيرة في تأييد هذه النظرية ، وأثبت بأدلة قوية أن الدين الأسلامي هو دين الأجماع والمساواة والعلم والعمل والأخلاق والآداب كما هو دين الأشتراكية العادلة ، وتكلم عن نظرية داروين من الملحدين وعن النظرية النسبية لآينشتين وأفاض في حديث الوحدة

الأسلامية التي يدعوا اليها ، وتكلم عن حالة سوريا فقال : « إن هذه البلاد هي بلاد الحرية » وإمتدح الأمام المحاضر دمشق العاصمة العربية ، وقال : إن البلاد السورية لا تزال محافظة على التقاليد الأسلامية والعربية ، فقد رحب به الزعماء الوطنيون والعلماء البارزون وأساتذة الجامعة ومختلف طبقات الأمة السورية الكريمة ، مؤيدين دعوته ورسالته ، وكان الأمام المحاضر شديد الأيمان والعقيدة بالنظرات التي أوردها في محاضرته التي إقتنع الحاضرون أجمع بصحتها ، وختم محاضرته بتهنئة الأمة السورية بعودة الحياة الأستقلالية عليها ، وحيي رجال الكتلة الوطنية ، ورجال الحكومة الدستورية وإنتهت المحاضر في الساعة الثامنة ، فهنأه الزعماء الحاضرون ، وقبل بعضهم يده ، وسيلقي الأمام الزنجاني غداً في الجامع الأموي دروساً دينية قيمة .

« نص رقعة الدعوة »

« مكتب فخري البارودي للدعاية والنشر »

سيلقي الأستاذ الحكيم الأمام الكبير (الشيخ عبد الكريم الزنجاني) محاضرة عنوانها « التوفيق بين الدين والأجتماع ، والسبيل الى النهوض بالمسلمين ، والتقريب بين الفرق الأسلامية » في مدرج الجامعة السورية « موعد المحاضرة ، الساعة السادسة من مساء الخميس الواقع في ١١ شوال سنه ١٣٥٥ » .

نقلا عن جريدة (ألف باء) الدمشقية ٢٥ كانون الأول ١٩٣٦

فلسفة الدين الإسلامي

جمعت المحاضرة التي ألقـاها الأمام الكبير الشيخ عبد الكريم الزنجاني نخبة صالحة من نواب الأمة ووزرائها وعلمائها وشبابها ، وقد شرح الأمام المحاضرة فلسفة الدين الأسلامي ببلاغة وبحجة دامغة أخذت بألباب المستمعين ، وأثبت أن الأسلام دين إجتماعي ، سياسي إشتراكي معتدل ثم بين بلباقة أنه يرتكز على الوحدة الأسلامية وإنتهى من محـاضرته الأرتجالية ، وقد ملك على السامعين قلوبهم وعواطفهم وفي ختام المحاضرة التي دامت ساعتين هناه دولة رئيس المجلس النيابي ، وقبل يده رئيس المجمع العلمي وإنصرف الحضور معجبين به ومؤمنين بدعوته .

نقلا عن جريدة (الأيام) الدمشقية ٢٧ كانون الأول ١٩٣٦ العدد ١٢٧٣ .

(محاضرة الأمام الزنجاني في الجامعة السورية)

وزع مكتب فخري البارودي للدعاية والنشر رقاعا للدعوة لحضور المحاضرة التي يلقيها الأستاذ الأمام الكبير الشيخ عبد الكريم الزنجاني على مدرج الجامعة السورية ، وفي موعد المحاضرة وهي الساعة السادسة مساء

يوم الخميس المنصرم تسارع الكثيرون لتلبية هذه الدعوة حتى غص المعهد وشرفاته وأكثرهم من علية القوم وكبار الأساتذة والشباب المثقف وكان يتقدمهم جلوساً في المقاعد الأمامية حضرة رئيس مجلس النواب وعدد غير قليل من النواب الأكرمين ، وفي الساعــــة السادسة تماما دخل الأمام الزنجاني ، وإرتقى الدكة وجلس في المقعد المنفرد المخصص له يحيط به الوقار والجلال وأجال بصره في القوم كأنه يطلب اليه الأنصات لما يقول ، وساد السكوت والصمت والكل مرهف الأذن ، متطلع البصر ، منتظر إبتداء المحاضرة ، وقبل أن يبدأ الأمام المحاضر وصل معالي وزير الداخلية والخارجية والزعيم رياض الصلح وجلسوا الى إخوانهم النواب ، وتقدم النائب السيد فخري البارودي فقدم الأمام المحاضر للحضور بعبارة طيبة . وعاد إلى مكانه فأبتدأ الأمام الزنجاني القول : وأخذ بأمتداح الآداب في الأمم . وأن مجد الأمم آدابها . وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت . وتطرق الى الدول المستعمرة التي تقيد الأديان والمذاهب وتبذل قصارى جهودها في تبديل آداب الأمم بينما هي تتظاهر بتعظيم أديانها .

وإنتهى الأمام الزنجاني من محاضرته وقد بلغت الساعة الثامنة فهنأه الحاضرون بصفته « رسول الوحدة الأسلامية » وإنصرف الأمام المحاضر محاطاً بطائفة كبيرة من كبار المستمعين .

نقلا عن جريدة « الأيام » الدمشقية ١٨ شوال ١٣٥٥ — ٣١ كانون الأول ١٩٣٦ العدد ١٣٧٧ .

﴿ حديث الأمام الزنجاني ﴾

نشرنا في عدد أول أمس خلاصة عن المحاضرة القيمة التي ألقاها الأمام الكبير الشيخ عبد الكريم الزنجاني في الجامعة السورية ، تلك المحاضرة الأرتجالية التي يصعب على الكاتب أن يلخصها دون أن يذهب برونقها ويشوه محاسنها ، ولكننا أقدمنا على تلخيص بعض ما جاء فيها ليطلع القراء على الفكرة السامية التي حامت محاضرة الأمام الزنجاني حولها ، وإن كانت هذه الفكرة لا تتسع صفحات عديدة لتلخيصها ، ونقول الآن :

الحفاوة البالغة التي قوبل بها الأمام الزنجاني من رجال الحكومة أو رجال الوطنية ورجال العلم والدين والشباب والأعيان كانت أقل ما يجب على دمشق أن تظهره أمام فضيلته .

نص الخطبة الثانية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على شرف أنبيائه محمد وآله الطاهرين وصحبه الصالحين .

السلام عليكم ورحمة الله :

قال الله تعالى : فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الألباب » آداب الأمم من أهم العوامل المؤثرة في تكوين أخلاقها وأخلاق الأمم من أقوى الأسباب الموجدة لعقائدها ، والعقائد هي الدوافع نحو الأعمال المؤدية الى السعادة ، وبالنظر الى القاعدة الفلسفية : (الشيء يستند الى أسبق علله) فأن سعادة كل أمة وعظمتها تستند الى آدابها وأخلاقها ، ومجد كل أمة أخلاقها وآدابها :

(وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت وإنهم ذهبت أخلاقهم ذهبوا)

فالأخلاق هي الدعامة الاولى للسعادة ، والعلم هو الدعامة الثانية ، فاذا اجتمعتا في أمة بلغت من العلياء كل مكان . ولم يخف على علماء النفس ، وأساتذة التربية ، وفلاسفة الاجتماع حينما قالوا : (الاخلاق أفضل من العلم وأنها في المرتبة الاولى حينما يكون العلم في المرتبة الثانية) مع العلم بأن أحسن الحالات وأقربها الى الكمال أن تتمتع الأنفس البشرية بالقسط الأوفى من الأخلاق والقسط الأوفى من العلم في صفقة واحدة ، وبعد هذه المرتبة حالة أخرى هي أن تتحلى الأنفس البشرية بفضيلة الأخلاق والتهذيب بينما تكون خلواً من العلم والثقافة ، وهذه هي أحسن الحالات بعد المرتبة الأولى وأخفها شروراً وأبعدها من الأذى ، وأما الحالة الثالثة ، وهي أن تخلو الأنفس البشرية من فضيلة الأخلاق والتهذيب فيما اذا إكتسبت قسطاً قل أو كثر من علوم الحياة ، فهذه هي أشد الحالات خطراً على المجتمع ، وكم رأينا دولا إستكملت من العلوم والاختراع وفنون القتال وأسباب القوة

والبطش ما جعلها تبسط سلطانها ونفوذها وتتوسع في فتوحها وغزواتها لا تلبث أن تنحدر إنحداراً سريعاً نحو الأنكماش والتضاؤل، ولا تلبث أن تفقد سريعاً مكانتها العالية التي كسبتها بفعل القوة الغاشمة، وقد يؤول أمرها الى الزوال والأضمحلال، وسر ذلك أنها إكتفت بالعلوم والأختراع والقوة وتركت مكارم الأخلاق وسبل الحق والأنصاف وإذا فقدت الأنفس البشرية فضيلتي الأخلاق والعلوم كان الأنسان في هذه الحالة الدنيا أقرب الى البهائم من كل شيء آخر في هذه الحياة، لوضوح أن كمال كل شيء في ما أختص به فكمال الفرس في العدو السريع وإذا عجز عن ذلك نزل منزلة الحمير ولا يستحق سوى حمل الأثقال، وكمال السيف في صرامة القطع فأن فقدها نبذه الشجعان، وكمال الأنسان في فضيلتي الأخلاق والعلم، فأن فقدهما نزل إلى مرتبة أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا).

أثبت التاريخ أن زوال الأمم لم ينشأ عن إنحطاط ذكائها بل عن إنحطاط أخلاقها وآدابها، والعيان يغنينا عن البيان، هذه الحكومات المستعمرة قد جرت عاداتها في مستعمراتها على تقرير حرية أديانها، والتظاهر باحترام شعائرها الدينية، وفي الوقت ذاته تبذل قصارى جهودها لأتخاذ التدابير اللازمة لتبديل آدابها وأخلاقها الموجب لزوال عقائدها وتغيير محور أعمالها لكي تحمل أثقال الأستعمار بالأختيار.

لم تنهض أمة من الأمم، ولم يثبت في ميدان الحياة شعب من الشعوب

ولم تسر على سنن العدل والحكمة والرقي حكومة من الحكومات ما لم تعتصم بالأخلاق الفاضلة، والمزايا العالية والآداب والمكارم السامية لأن الخلق في علم الأجتماع شبيه بالعنصر الثابت لكل نوع من أنواع الكائنات، فخلق كل أمة هو علة تطورها في حياتها وهو يقرر مستقبلها، وأما التأثير العقلي فضعيف على تفاوت فيه، وهذه قاعدة مسلمة صحيحة مبرهنة صدقها العلم والتجربة وجاء بها الدين الأسلامي، وأثبتها الفقه الأسلامي الذي هو (آداب ورسوم قررها شارع الأسلام لترتيب الثواب أو العقاب عليها، أو لتمييز الحقوق أو لحفظ النظام، والآداب الأسلامية مجموعة من شعلة النور تضيء آفاق النفوس والأرواح، وقوة آلهية تفعل فعلها في القلوب فتؤدي الى صفاء النفس وسمو الروح وتحريرها من سلطان المادة وفتنة الرذيلة وتحلية النفس بالفضيلة، ولقد كان العرب أيام سقوطهم ذوي عقول أرقى من عقول أجدادهم القاهرين، ولكنهم سقطوا لأنهم فقدوا صفاتهم الاخلاقية التي كانت السبب في عظمة آبائهم الأولين، فأضاعوا الجد والمثابرة والعزيمة الصادقة والجلد الذي لا يعرف الوهن، وفقدوا المقدرة على التفاني في نصرة الحق والدين، ولابد لهم من الرجوع الى ما كانوا عليه، وما هذا الأنحطاط إلا عوارض موقتة سببتها بعض الطوارىء، وهي لا تلبث أن تزول، فاذاً يمكن للأمة أن تسير الى الرقي بقليل من العلم والعرفان وتبلغ ذرى المجد والسؤدد متى كان الخلق الصحيح سائداً بين أفرادها. فالخلق هو الذي ستقوم عليه النهضة العربية والأسلامية المنشودة.

وصفوة القول : أن محنة الأخلاق اشد المحن ، وبالتعاليم الأخلاقية نادى الأنبياء (ص) والحكماء والفلاسفة والمصلحون والمهيمنون على تربية النشء وتعليمه في مختلف العصور ، لأنها روح الدين والأيمان ، ووسيلة إتحاد الأمة ، وقوة النهضة السياسية ومحور الحركة الوطنية ، والسد المنيع دون تأثير المبادىء الهدامة في المجتمع ، وهذا هو السر في إهتمام الدين الأسلامي بالأخلاق وبالعلم قال رسول الله (ص) « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وقال (ص) (الخلق وعاء الدين) قال (ص) (طلب العلم فريضة على كل مسلم إلا إن الله يحب بغاة العلم) وقال الله تعالى : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال الله تعالى : « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » ، وقد إعترف بذلك عدو الأديان الدكتور شبلي شميل في كلامه الذي هذا نصه « إن في القرآن أحوالا إجتماعية عامة وفيها من المرونة ما يجعلها صالحة للأخذ بها في كل زمان ومكان حتى في أمر النساء بحيث كلفهن بأن يكن محجوبات عن الريب والفحشاء وأوجب على الرجل أن يتزوج بواحدة عند عدم إمكان العدل ، وإن القرآن قد فتح أمام البشر أبواب العلم والعمل للدنيا والآخرة بعد أن أوصد غيره من الأديان تلك الأبواب فقصرت وظيفة البشر على الزهد والتخلي عن العالم الفاني » فالأسلام دين الآداب ودين الأخلاق ودين العلم ودين العمل ودين الفطرة ودين الطبيعة ودين الأجتماع ودين العدل وفيه تفسير كل شيء من أسرار

الكون، وفيه حل كل معقد من مشاكل الحياة، وتبيان كل شيء من شؤون الجماعات.

قال الله تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ وقال الله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟﴾ وقال سبط رسول الله وابن أمير المؤمنين الحسن ابن علي بن أبي طالب إمام الشيعة: «إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً وإعمل لآخرتك كأنك تموت غداً». الأسلام دين ينظم الأمم ويدعوا المتدينين به من مختلف الأجناس والعناصر إخواناً متساوين في الحقوق والتكاليف وإن أكرمهم عند الله أتقاهم فبتقرير المساواة جعل لكل مسلم حقاً ان ينال بالسعي والعمل أرقى الدرجات، وبتقريره التفاضل أوجد في المسلمين الجد والنشاط للعمل والسعي لنيل العزة والأعتماد على النفس مع التوكل على الله وأزال الجمود والخمول والكسالة والبطالة، وكذلك قرر الأسلام الأشتراكية العادلة بتقريره إشتراك الجميع في مرافق الحياة قال الله تعالى: «ولكم ما في الأرض جميعاً» وبتقريره إختصاص كل إنسان بنتائج عقله وقواه وفكره وأعماله، ولولا هذا الأختصاص إمتنع تطبيق المبادىء الأشتراكية طبعاً مع اختلاف القوى والغرائز حسب التكوين، فالأختصاص في رؤس الأموال والأشتراك فى الأرباح والمنافع حيث جعل للفقراء والمساكين المعوزين حقاً معلوماً على الأغنياء بنسبة معينة محدودة بأسم الزكاة والخمس ونحوهما بحيث لو إمتنعوا من أدائها طوعاً أجبروا عليه وهي حقوق

شرعية معينة محدودة لايمكن فيها الزيادة والنقص ، وهذا دواء الفوضوية ، وحصن منيع يدرأ عن المجتمع الأسلامي أخطار الشيوعية والأشتراكية الهدامة وبه يتجلى المثل الأعلى للعدل الأجتماعي والأقتصادي .

ثم إعطفوا انظاركم الى أسرار تشريع الصلوة وما تضمنت من إستعراض جميع من بلغ الرشد من أربعمأة مليون مسلم خمس مرات في كل يوم وليلة في صفوف منتظمة بكل سكينة وخشوع ووقار . الأمير بجانب المأمور ، والخادم بأزاء المخدوم ، والفقير بحذاء الغني ، والضعيف بجانب القوي ، والرفيع مع الوضيع ، والسيد بصف المسود ، والكل منكسر لله ذليل بين يدي رب عظيم قاهر ، دون ميزة لبعضهم ولا أفضلية فيما بينهم ، وكلهم يستقبلون الكعبة المشرفة ويتجهون الى بقعة أشرقت منها شمس الهداية المحمدية (ص) ويتلون النشيد الآلهي والسبع المثاني ويوجهون قلوبهم ونفوسهم الى المبدأ الواحد ، والآله الفارد ، وفي ذلك وحدة الشعور وتوحيد المشاعر ، والمفاداة في سبيل نصرة الحق والتمرين على النظام ، والطاعة والأتباع والأنقياد للأمام ، وفي جميع ذلك تعويد لهم على أسس العدل الأجتماعي من المساوات والحرية والأئتلاف ، وصفاء النفس من كدر الشوائب وإتصافها بجلائل الخصال والمكارم ، وأمهات الفضائل وعدم الأعتداء على أحد في ماله وحقوقه وعرضه ونفسه وهذا كاف للسلم العام ، مضافاً الى أن الخضوع والخشوع لله يزيلان الطمع وحب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة وحب المادة الذي هو منشأ الحروب .

ومن الجدير بالذكر أن مقدمات الصلوة تكافح المبادىء الهدامة مضافا الى أنها تشيد أسس النظافة و الصحة و الثقافة وشرف الأنسانية إذ يتكرر للمصلي في كل صلوة أن من أهم شروط صحة الصلوة إباحة ماء الوضوء ، وإباحة تراب التيمم ، وإباحة لباس المصلي وساتره ، وإباحة مكان الصلوة ، وإباحة ما يسجد عليه ، فاذا كان شيء من هـذه الأمور مغصوباً بطلت الصلوة إذ لا يجوز التصرف في مال الغير وملكه فانه نتيجة عمله ومحصول قواه وغرائزه وكل انسان يملك فوائد عمله ويختص بثمرات جهوده ونتائج قواه وغرائزه مثل إختصاصه بتلك القوى و الغرائز ولا يشاركه أحـد في ذلك فيعتقد بحكم الحس واليقين بأن الأختصاص وملكية الفرد من الحقوق الطبيعية والفطرية للأنسان ، وأن إنكارها خروج على ناموس الطبيعـة والفطرة ، والناس جميعـاً متفقون في مقتضيات الفطرة ، وبما ان الأسلام دين الفطرة ودين الطبيعة قرر في تعاليمه هذا الأختصاص الطبيعي و جعـل ملكية الفرد من أهم تعاليمه ، وجعـل إنتزاع ملكه وماله منه بدون رضاه غصباً وحراماً ومبطلا للصلوة ، وبمرور السنين تصبح هذه العقائد الحقـة كملكات راسخة في قلوب المصلين ، وتكون أموراً طبيعية وفطرية عندهم فيستحيل أن تجد المذاهب الأشتراكية المتطرفة والمبادىء الهدامة التي تقاوم الطبيعة وتنازع الفطرة ، وتنفي الأختصاص ، وتنزع الملكية من الفرد و تتـداخل في شؤون الأنسان بينه و بين ربه ، سبيلا الى قلوب المصلين ، « إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

ثم إسرح نظر الفكر في أسرار تشريع الصوم لكي تعلم أن هذه العبادة الدينية التي يقصد بها التقرب الى الله تعالى بترويض النفس، والجسد لرفع الأنسان بروحه من حضيض الحيوانية الى أرفع مقام أدبي يليق بكرامته الأنسانية، تبعث في الأمم الأسلامية لغة الأحساس التي بها تنبعث من صميم نفس الصائم عاطفة ليست في طوق اللغة ولا يغني في تذوقها الوصف، فتخلق في النفوس عناصر الشفقة والرحمة والحنان والرأفة والرفق والأيثار، الى جانب قوة الأرادة ورباطة الجأش والقدرة على مغالبة الشهوات ومكافحة الأهواء والتدريب على الخشونة وروح المفادات في سبيل إعلاء كلمة الله وشأن الأمة، والدفاع عن العقيدة على غرار الأمم الحية، وتؤهل النفوس للخصال الكريمة والمبادىء الأجتماعية القويمة التي هي الهدف للأديان الآلهية والأنسانية، وينبه القلوب لضرورة التكافل بين الأقوياء والضعفاء، وبين الأغنياء والفقراء، وبذلك يحصل التضامن الأجتماعي ويتوحد الشعور العام، وترسخ ملكات إجتماعية يسود بها العدل الاجتماعي والسلام العام.

الصوم، مبدأ أدبي سام، ومواساة شاملة، ومساواة كاملة لمختلف الطبقات أمام القانون الآلهي وعبادة إسلامية كفيلة بتثقيف عامة المسلمين وإيجاد عناصر الرجولة الكاملة فيهم لحد يجعلهم يتحملون بجلد وصبر أشد المحن وأعظم الكوارث، و يندفعون الى التضيحة في سبيل البر و إقامة أعمال الخير من فيض فضل الله عليهم.

الصوم بمركزه الديني وهيبته الأدبية له شأن عظيم في تحديد التمعن في صنوف المتاع المادي ، وتوجيه العقول والأذواق إلى صالح الفرد في ضمن صالح المجتمع ، وتكوين أمة ذات غرض إنساني سام متزنة الجوانب لا تطغى فيها الخشونة والقسوة والأثرة على الرأفة والشفقة والأيثار ، والثمرة النهائية لهذه العبادة الأسلامية توحد الوجهة ، وإجماع الكلمة ، وقيام دولة الحق على وجه الأرض .

فأتضح أن الأسلام بحق دين إجتماعي ، اخلاقي ، سياسي ، عمراني ، إقتصادي ، معتدل وجامع للسعادات المزدوجة ، توجه صاحب الأسلام نحو المغرب ثم الى المشرق ، ثم قال ما بين المشرق والمغرب قبلتي ، الأسلام جعل فارقا بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، فكان هذا منشأ وزارة المعارف وقال الله تعالى : (وأعدوا لهم ما إستطعتم من قوة) فكان هذا منهاجاً لوزارة الدفاع ووزارة الصنايع ووزارة المواصلات والأشغال ، ووزارة الأقتصاد ، وفي قوله تعالى (وإن جنحوا للسلم فأجنح لها) تدليل للوزارة الخارجية ، و قال الله تعالى (أوفوا بالعقود) أي بالعهود والعهد ما يصدره الملك والأمير الى ولاته (كعهد امير المؤمنين علي (ع) الى مالك الأشتر واليه في مصر) والوفاء بالعهد ضمان للأمن العام وهذا إشارة الى وزارة الداخلية وفي قوله تعالى (فأحكم بينهم بالعدل) إشارة الى وزارة العدلية .

الأسلام : دين العلم ولذلك قرر لزوم تحصيله والعلم كمال نفساني وصفة

إبداعية للنفس الناطقة ، والعلوم — وهي كمالات النفس الناطقة المجردة ذاتاً — لا تتحيز في مكان ولا تختص بجهة ، لأن المكان والجهات من لوازم المادة ، فالعلوم كالنفس المتصفة بها لا توصف بأنها شرقية ولا بأنها غربية توصيفاً حقيقياً ، ولكنها توصف بهما توصيفاً مجازياً لأجل أن تدوينها أو تعليمها كان في الغرب أو في الشرق ، وهذا توصيف عرضي خارج عن حدود ذواتها ومن باب وصف الشيء بصفة متعلقة فلا يوجب تكثراً ولا تبايناً في جواهر العلوم ، و بما أن النفس الناطقة مفطورة بطلب الكمال والعلم مطلقاً حثت الأديان سيما الدين الأسلامي الخالد على طلب العلم ولو بالصين ، وجعل طلبه فريضة على كل مسلم من دون تفريق بين ما كان تدوينه في الشرق وبين ما كان تدوينه في الغرب ، و لكن يجب رعاية الترتيب في تعلم العلوم ورعاية استعداد الطالب ، لأن العلم بمنزلة الغذاء للروح فكما أن أغذية الجسد تختلف بأختلاف الحالات والمناسبات ، فالصالح من الأغذية للشاب لا يصلح للطفل الرضيع ، والصالح للصحيح لا يصلح للمريض والصالح للمزاج القوي لا يصلح للمزاج الضعيف ، فكذلك العلوم يجب أن يلاحظ في تعليمها و تعلمها إستعداد المتعلم بروحه ونفسه ومحيطه وبيئته ، وأن يراعي الأصلح منها فالأصلح ، والأهم فالأهم ، وهذا سر تقسيمها إلى ابتدائية ومتوسطة وعالية ، وهو السبب لرعاية الأقدمين الترتيب الطبيعي في موضوعات العلوم لكي يتكون لمتعلم بسبب العلم السابق في الترتيب إستعداد تحصيل العلم اللاحق على وجه يترتب عليه الأثر المقصود

منه ، ولأجل ذلك أوجب الحكماء والفلاسفة أن يقدم تهذيب الأخلاق وتقويم الفكر ببعض العلوم الرياضية التي مبادئها حسية ، على الشروع في دراسة علم المنطق ، ويقدم تعلم المنطق على دراسة الفلسفة ، ويخشى أن يؤدي إهمال الترتيب الى الفوضى الثقافية التي تخشى مغبتها .

إن مناهج التعليم في الشرق العربي والأسلامي — حيث أنها من وضع الأغيار وبعضها من وضع العدو الذي لا يريد الخير لهذه البلاد بل لا يريد لها إلا الجبل ليسهل الأستعمار — لم يفتح لها ولا بقدر سم الخياط منفذاً الى تلك الناحية الضرورية من الثقافة الحقيقية خوف أن يتسع فيتسرب المتعلمون اليه ويخرج الشرق من قبضة الغرب وسيطرته ولو بعد حين .

فيجب على من دخل هـذه المدارس أن لا يقتصر على مناهج التعليم المقررة فيها ، فأن هـذه المناهج سقيمة وعقيمة وحشو للأدمغة بلفائف لا تجدي في علم ولا عمل ، ولذا لا نجد في المتخرجين منها على كثرتهم في كل عام ثقافة صحيحة ولا وطنية صادقة ولا إلتزاماً بالدين والأخلاق ، بل لا نجد على الأكثر إلا شباباً مستهتراً يركض وراء ملاهيه وقتل الوقت في نواديه وقهاويه فلا بضاعة ولا صناعة ولا فن ولا زراعة ، والبلاء مخيم على البلاد ، فمن واجب المتعلم أن يشق لنفسه طريقاً ، ويفتح بالجد والنشاط والعمل المتواصل أبواباً من الأبداع والأختراع ، وأن يكون حريصاً على العلم العملي والفن النافع في إستخراج أسرار الطبيعة وكنوز الكائنات ،

وإياه أن يطوي سني دراسته ليحصل على وظيفة يعيش من راتبها ويرتضع من أخلافها فيكون رجلا إتكالياً ساقط الهمة صغير النفس فيموت فيه روح الطموح وعزة النفس وعلو الهمة ، والوظيفة أسوء لجام للأحرار يكم أفواههم ويميت شعورهم وإحساسهم ، وكم رأينا من يتوقد حماساً وغيرة وكانت الآمال معقودة على نهضة أمثاله حتى اذا كبلوه بأغلال الوظيفة لم نسمع له بعد ذلك ذكراً ولم نجد له عيناً ولا أثراً .

فعلى الشعوب والحكومات الاسلامية والعربية أن تعيد النظر في وضع مناهج صحيحة للتعليم وللاصلاح العام قبل أن يؤخذ على أيديها فلا تستطيع أن تستعد وحينئذ تشعر بمضض الاهمال في الوقت الذي لا يفيد هذا الشعور ولا يدفع الضيم . فليست الثقافة أن نعرف أوهام المشرق والمغرب وإنما الثقافة أن نعرف ما يجب أن يعرف . وما أقول هذه الحقائق وحدي وإنما يعرفها خلق كثير لا يصدهم عن الجهر بها إلا الخوف من الاتهام بالتعصب والرجعية ، فأن من المعلوم أن الاخلاق الحسنة المستندة الى العلم الصحيح دولة أعز من دولة السلطان ، والمعاش أخلاق يحسنها من يعرفون كيف تجمع الثروة وكيف يخلق الانصار والاعوان؟ وقوة الرجل أن يقف حيث وقفته الفطرة وهذا الاصلاح العام المنشود لا يستوحى من الخيال . ولا يفرض من قوة خارجة عما هو الموجود إنما هو يجب أن يكون وليد الحقيقة والوضع القائم وصنيع المؤثرات الاجتماعية والفكرية ومقتضيات الاحوال والنزعات الشرقية والتعاليم الاسلامية . وأن يقوم بها الراسخون

في العلم الذين لهم المعرفة الشاملة القائمة على مقررات العقل السليم والبحث العلمي والتفكير الحر ومعرفة نفسيات الأمم العربية والاسلامية المرتكزة في الشرق على الدين مثل إرتكاز نفسيات الامم الغربية على القومية والوطنية المحضة . وأن يكون لهم الأحاطة بأسرار التشريع الأسلامي العظيمة . ولا يتوقع هذا الأصلاح من الذين طرحوا من أول نشأتهم في حجر من يجرعهم الألحاد والرذيلة ولم يعرفوا شيئاً من الاخلاق الصحيحة الصالحة لبلادهم ولم يعرفوا شيئاً عن الأسلام وحقائقه وأسراره ، غير أنهم سلموا لهـذا الحاضن على أثر الفطام ، فصبغوا بصبغته يظنون أن أول ما نفث فيهم في مؤسسات الثقافة أو في مراكز الدعايات الهدامة ، من السم أو السحر لم يقله أحد قبل من غشهم ، حتى قاموا يتبجحون بما خدعوا به يعدونه كشفاً جديداً ونظرية حديثة تليق بعصر النور والعلم ، فصارت مداركهم مهابط الوساوس ومخازن الدسائس ، واستحالوا الى زنادقة خونة ملحدين يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي الآخرين وهم لا يعقلون ، وصارت علومهم العصرية ناراً محرقـة أحرقت عواطفهم وعقائدهم ومكارمهم . وأخذوا يتسابقون الى الشر مسيرين وهم يظنون أنهم مخيرون لقد عميت عليهم المسالك وهم لا يفقهون فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

ويجب أن لا يتوقع هذا الاصـلاح الشامل من حملة الألقاب العلمية العالية الذين أكملوا علومهم في معاهد الغرب العالية وقضوا شطراً من العمر

في بلاد أوربا وعرفوا سر سحر باريز والبعض منهم ادرك ليـلة مرقص الفنون الجميلة في باريس وخلاصة المنظر في تلك الليلة رجوع الأنسان الى الطبيعة دون تقيـد بأي قيـد كان ويفعل فى تلك الليلة كل ما يمكن فعله ولاحرج ولاغضب.

زارني في دمشق وفـد مسلم من حملة الألقاب العلمية الباريسية وطلبوا مني بأسم الكرامة الأسلامية أن أمنع الناس من البكاء في مجالس عزاء سيدنا الحسين إبن فاطمـة بنت رسول الله ﴿ ص ﴾ بحجـة أن البكاء من مختصات النساء ولا يليق بالرجال ، وأن بكائهم يجلب شماتة غير المسلمين علينا ، فقلت لهم : ساعدوني فى جواب المسلمين الذين سنطلب منهم ترك البكاء في مجالس العـزاء ، فيما إذا قالوا : ليس البكاء في الشرق الأسلامي من مختصات النساء ، وقد ذكر التأريخ كثرة بكاء الأنبياء والأولياء والأئمة والخلفاء والعلماء ، وجاء في القرآن الكريم ﴿ وليبكوا كثيراً ﴾ وليس هذا الطلب إلا نزعة غربية ، ومع ذلك نحن مستعدون لأمتثالكم بترك البكاء ، على شرط أن يترك هـؤلاء الأسـاتذة المقـترحين رقصهم الذي تعلموه في معاهد ومراقص الفنون الجميلة في باريس ، اذ لاشك في أن الرقص من مختصات النساء ولا يليق بالرجال ، ولا يرقص إلا من كان همه الترف والنعيم والأصباغ والتلوين وتصفيف الطرة وصقل الجبين والغرة ، وترديد الجعود وتوريد الخدود ، وتعديل القوام ، وحلق اللحية والشارب ، إقتداء بالأجانب ، والعكوف على مراسح اللهو والأنس والطرب ، والترف ليس

مما يزيل النعم فقط بل ويجلب الذل و السقوط ، والتخنث والأنوثة ، فهل أنتم فاعلون ، فسكتوا ثم إنصرفوا ».

إخواني : إني حينما أجد في نفسي هدوء الفلاسفة لما أنعم الله تعالى علينا من معرفة أسرار دينه وتفاسير كتابه المبين ، وحقايق العلوم الحقة، يلجئني ما أشاهده من وضع المجتمع الأسلامي والعربي الى صياح المصلحين هذبوا من تتولون أمره ففي إصلاح الفرد إصلاح الأمة ، وفي تهذيب الشعب إصلاح الرؤساء والحكام ، رأيت جماعة تشكوا من عدم قيام الحكومة بوظائفها ، فقلت لها ان لكل شيء خاصية فهو صالح ما دامت موجودة فيه ، وإذا زالت الخاصية عنه أصبح فاسداً ، و عدم قيام الحكومة بوظائفها عبارة عن فسادها ولكن شكايتكم هذه إعتراف منكم بفساد أنفسكم بمعنى عدم قيامكم بوظائفكم لقول رسول الله (ص) « كيفما كنتم يولى عليكم » وقال رسول الله (ص) « إذا فسد العالم فسد العالم » والمقصود من فساد العالم تركه وظيفته أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال الله تعالى : « لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن الأثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون » .

فمن واجب كافة المسلمين أن تقتدي بالعلماء الربانيين والعظماء الصادقين والمراجع المخلصين الذين تطأطأ لفضلهم الرؤوس وتخشع لهيبتهم القلوب جديرين بكل إعتبار وإحترام وتعظيم ، يفيدون الأمم الأسلامية في دينها ودنياها بعلم صحيح ، وإرشاد مفيد ، وإصلاح متين ، وفي طليعتهم علماء

النجف الأشرف كعبة العلوم الدينية والفلسفية ، تقصدها الوفود الأسلامية من جميع القارات ليتفقهوا في الدين وينشروه في العالم ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ، وإن النجف الأشرف قلب الأسلام النابض ، وعلمه الخفاق ، ومصباحه الوهاج الذي تعاقبت عليه الأجيال والقرون وهو يرسل أشعة العلوم والأيمان والتقى ومكارم الأخلاق الى مشارق الأرض ومغاربها ، وبفضل علماء النجف الأشرف إنتشرت روحانية الأسلام في أقطار الأرض، وإهتدت الأمم الأسلامية والعربية الى ما فيه مصلحتها وهكذا أخذ المهتدون سمتهم في طريق الحياة الخالدة مقتدين بنوابغ أعلامه الذين شقوا الصالح منها في وسط المشاكل المدلهمة والظلمات المتكاثفة ، وتوالت الأجيال على هذه الأمم وهي تستنير بشموسه وأقماره ونجومه السواطع فتنسج على منوالهم ، وتعوذ بهم في الطوارىء ، إلى أن أصبح مجموعهم قليلا جداً وباتوا أشبه بالكواكب السيارة بعد أن كانوا شهباً متناثرة ، فحرصت الأمم الأسلامية على مكانتهم الرفيعة ومنزلتهم السامية وغدت تتمسك بهم في مزالق الشبه ، ومهاوي الشكوك ، تقوم إذا قاموا وتقعد إذا قعدوا .

الأسلام دين الأتحاد ، وقرر أن التفرقة تكشف عن فقدان العقل ، قال الله تعالى : « تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » والأسلام سلاح لا يغلب ولكن هل سمعتم أن سلاحاً يقاتل بغير جند ، أو جند ينتصر بلا نظام ، الأتحاد نظام الأمة الأسلامية وأهم العوامل

المؤثرة في إخفاق الدعايات المبثوثة ضد التعاليم الأسلامية في هذا الزمان الذي فشى فيه داء الألحاد في العالم وإشتدت فيه الوطأة وعظم المصاب . وأصبحت الأمم الأسلامية على شفا جرف الهلاك لابد لها في هذا الموقف من أحد المصيرين . إما نصر يكونه الأتحاد وتعلوا به الى مدار الأفلاك أو خذلان يخلقه التنازع والأختلاف تهوي به الى مقر الأسماك . ومن المعلوم الواضح أن الأختلاف إنما هو في فهم الدين لا في صميم الدين ، والأتحاد عماد الدعوة الأسلامية وبها تحل المودة والرحمة والأئتلاف ، محل الوحشية والجفاء والأعتساف ، وبالأتحاد تحصل الألفة وتجمع الكلمة ، ويوجد التفاهم وتسهل الدعوة الى تعاليم الحق ، قال الله تعالى : (وإعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وقال الله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وقال عليه السلام (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا إشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) فصلاح حال الأمة الأسلامية بأنضمام أفرادها وشدة ارتباط بعضهم ببعض إرتباطاً يوجب لها الوحدة الحقيقية تعيش بروح واحدة ، وترمي إلى هدف واحد وتكون بمثابة الجسد الواحد السالم بحيث يسعى كل فرد من المجموع لخدمة المجموع ، وإذا تألم فرد منه تألمت سائر أفراد المجموع ، وهناك تصير الأمة بأفرادها كأنها بنيان مرصوص فتتضاعف القوة وتتوحد ، ولا يتسرب إليها الفساد ، وتدرء الأخطار والكوارث عنها بفضل قوتها المجتمعة ، وصارت أمة صحيحة حية صالحة قوية لها مجدها وكيانها وعزها وشأنها كما

كان المسلمون كذلك في صدر الأسلام فلما بلغ عددهم ثلاثين ألفاً دوخوا العالم وملكوا قرني الشمس في نصف قرن وأسسوا إمبراطورية إسلامية عظيمة ، أما اذا إنقطعت علاقة الفرد من المجموع وزال ذلك الرباط ، وتمزقت تلك الوحدة وصار كل فرد فضلا عن أنه يشتغل لنفسه ويعمل بمفرده يسعى لهدم أخيه والأضرار به وخرابه فقد خرب بيت الجميع وإنهدم صرح الأمة من أساسه وهوى على رأسه وفسدت الأمة بأجمعها ، وزال عنها كل عز وملكة ، ووقعت في أسوء الهلكة وأصبحت فريسة للذئاب ، كما تشاهدون أننا اليوم اربعمأة مليون مسلم ولا نجد لنا أثر حياة المسلمون عبيد وأسراء حيث ما تلقاهم ، وتتلخص نقائص المسلمين اليوم في جهلهم بدينهم الأسلام وإهمالهم العمل بمقرراته وإنا لنتسائل هل هذا معنى إنقطاع علاقة المسلمين بالأسلام ؟ وإذا كان الأمر كذلك فإلى أين سينتهي المطاف بالمسلمين ؟ فى صدر الأسلام كان الأسلام في مقابل الكفر وأصبح الآن فى مقابل النفاق ، « أللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الأسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله ، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة الى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة » . الأسلام نظم علاقة الأنسان بالخالق والخلق ، ومزج بين مصالح الدين والدنيا ، وهذب الأخلاق ، وصان الحقوق ، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأفاض على الناس من نور تشريعه ما لم ينزل مثله على سائر الأنبياء ، اذ إستقصى الشئون الأجتماعية الشاملة على جانب الشؤون الفردية والأعمال

الأخروية ، وأوضح أن البشر إنما خلق لحكمة سامية هي عبادة مبـدع الكائنات وحده « والعبادة » إما إعتقادية قلبية كالأيمان بالله وبرسوله (ص) أو بدنية محضة كالصلوة والصوم ، أو (مالية) كالزكوة والخمس ، أومركبة من مالي وبدني كالحج والجهاد ، والعبادات لا تقام على وجهها إلا بوسائل هي صحة الفكر ، وسلامة البدن ، وذات اليد ، ولهـذه الوسائل وسائل تسبقها كالزراعة ، والصناعة ، والتفقه في الدين ، وبعض العلوم النظرية كالمنطق أو الكونية كالطب والهندسة وسائر العلوم الرياضيـة ، وكل ما يتعلق بأمور الدنيا وأمور الآخرة ، وليس في إستطاعـة الفرد من الناس أو الرهط من الناس الاستقلال بهذه الوسائل كلها ، فأحتاج الناس بمقتضى فطرتهم وما خلقوا من أجله الى التعارف والتعاون ولا تعارف ولا تعاون إلا بالأجتماع ، فالأجتماع هو الذي تقتضيه الفطرة ، وبه تنتظم العـلوم وتبلغ المدنية الفاضلة أشدها ، فيتهيأ للناس أن يعبدوا الله على بصيرة ويتقربوا اليه بضروب من الأعمال الصالحة لا تحصى ، وبما أن الأسلام دين الفطرة إهتم بذلك فقرر توزيع الأعمال ، قال الله تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفـة ليتفقهوا في الدين ولينـذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) وهـذا تقرير للاجتماع ، ويظهر إيثار الأسلام للأجتماع على العزلة في كثير من الأحكام و الآداب ، فانظروا الى مادعى اليه على وجه التوكيد من اقامة الصلوات الخمس في جماعة ، ثم ما فرضه من الأجتماع العام في يوم من الأسبوع لصلوة الجمعة ، وعين للحج وقتاً في السنة فكان

في حكمة هذا التعيين إلتقاء أمم الأسلام من بلاد وأقطار مختلفة على صعيد واحد لكي يتكون به مؤتمر اسلامي عام في كل سنة ، وشرع ليوم عيد الفطر وعيد الأضحى صلوة تؤدي في جماعة وتوصل بوعظ وارشاد ، وشرع اقامة ولائم في مثل عقد النكاح أو البناء ، ويوم سابع الولادة ، وحث على اجابة الدعوة ، ودعى الى الأجتماع في أوقات السرور كأيام الأعياد ودعى الى الأجتماع في أوقات المكاره والشدائد ، كالأجتماع لصلوة الكسوف ، والأجتماع لصلوة الميت وتشييع جنازته حتى يكون الأجتماع مالئاً لمواطن السرور والحزن ، ولا يبقى للعزلة الجافية مظهر في حال ، دعى الأسلام الى الأجتماع وشرع للأجتماع بصورة عامة وللأجتماع الأقتصادي بكيفية مخصوصة أحكاماً عادلة ، وآداباً فاضلة ، وحقوقاً متكافئة متبادلة ، كالحث على القرض الحسنة ، والمهادات ، وقضاء الحاجات والأحسان ، مضافاً الى تشريع الزكوة والخمس وسائر الحقوق الشرعية التي تستهدف ازالة الفقر والحاجة عن المجتمع الأسلامي وهي أنجع دواء للفوضوية . وتحريم الربوا والميسر ووضع عقوبات للأعتداء على الأنفس والأموال والأعراض الى ما يشاكل هذا من الأحكام القضائية والنظم الأساسية والآداب التي تحمي الاجتماع من كل نقيصة وتجعله مصدر خير وسعادة . وعالج بها مشكلة الفقر التي هزت الأمم والعالم . وفيها تجلى المثل الأعلى للعدل الأجتماعي الأقتصادي . وأصبح النظام الأقتصادي الاسلامي أكبر معجزة كافية لمعالجة الفقر وما يتبعه من الجهل والمرض .

ولأهمية الأستغناء الأقتصادي إعتبره الأسلام دعامة الأستقلال المعبر عنه في الفقه الأسلامي بكلمة « حفظ بيضة الأسلام » ونظم الأسلام للمرء حياته من بدء تكوينه الى حين وفاته حتى لقد دخل مع الرجل بيته وحكم بينه وبين زوجته ، وبين ماله عليها وما لها عليه ، وفصل فيما عسى ان يقع بينهما من الخصومات ، بل حكم بينه وبين نفسه ، ثم لم يدعه بعد وفاته فقسم ميراثه ، وبين طرق تكفينه ودفنه ، الى غير ذلك مما ينتظم به شؤون الأفراد والجماعات ويهيء للمسلم أن يعيش عيشة راضية ، وحيث أنه تشريع آلهي فالعمل به طاعة مستوجبة للثواب ومخالفته معصية متوعد عليها بالعقاب الأخروي زيادة على ما قرر فيه من عقوبات دنيوية ، ولا غرو فقد شرعه الله لعباده وهو أعلم بهم وبحاجاتهم من أنفسهم . ولا يخفى ان التعاليم الأسلامية ـ من أصلية وفرعية ـ تتطلب مؤلفات كلامية وفقهية مترتبة على ترتيب طبيعي تجلب الأنظار وفي أسلوب مؤثر يلائم روح العصر ، وهذا هو الذي حدا بنا أسوة بالمجتهدين الأماميين الى ان ألفنا كتاب (التوحيد) في علم الكلام ، ورتبنا بعض مؤلفاتنا الفقهية ورسائلنا العملية ترتيباً طبعياً يبدأ بما قرره الأسلام من آداب وأحكام للجنين منذ (إنعقاد النطفة في الرحم ، فأحكام شهور الحمل . ثم أحكام الولادة . فمسائل الرضاع ثم احكام الفطام وما بعده فأحكام التربية وتهذيب أخلاق الطفل ثم ما يلزم عمله في السنين من السادسة الى العاشرة من عمره ثم أحكام البلوغ وما تجب مبادرته الى تعلمه والعمل به من حين بلوغه الى حين وفاته. ثم احكام

الوصية وأحكام الأموات . وتنتهي الى احكام الميراث .

ويمكن الأنتباه من هذا البيان الى أن الأجتهاد في الفقه الأسلامي من لوازم الدين الاسلامي العام الخالد . وسد بابه مناقض لأغراض الأسلام الجوهرية في هذا الزمن الذي، لم يبق فيه طريق لمعرفة أحكام الله تعالى سوى الأستنباط من كتاب الله المجيد وسنة الرسول (ص) والأئمة الأطهار . وحيث أن ذلك لا يمكن أن يكلف به جميع المكلفين لكي لا يختل النظام في معاش الناس ومعادهم . لا جرم صار الناس على صنفين . فصنف على عهدته تعيين الاحكام الشرعية واستنباطها من الادلة الشرعية وصنف على عهدته سائر الأمور التي تتوقف عليها إستقامة النظام الدنيوي والثاني يرجع الى الاول في أخذ الأحكام المتعلقة به . فالاول هو المجتهد والثاني هو المقلد . وهذه سنة الله في عباده وبلاده ، مضافاً الى استقلال العقل به . وهذا لا يختص به أهل ملة بل هو جار في جميع الملل والأديان وذلك لان تقليد الجاهل في كل امر من العالم به أمر فطري وطبيعي مرتكز في نفوس العقلاء حتى صار من سيرتهم لزوم رجوع الجاهل الى العالم في جميع الأمور . وقد قرره الأسلام وهو دين الفطرة والطبيعة مع التصرف في الكيفية بأعتباره عدة شروط لمرجع التقليد أحدها شرط حياة المجتهد في جواز تقليده إبتداء حسبما تقتضيه مادة السؤال الوارد في قوله تعالى: ﴿ فاسئلوا اهل الذكر إن كنتم لاتعلمون الخ ﴾ ومن الواضح أن الألتزام بتقليد الحي في كل عصر يبعث نشاطاً عاماً واهتماماً جديداً تاماً بالدين

في كل جيل ، ثم إن من الواضح أن سلطان الخالق (جلت قدرته) على مخلوقاته أسمى أنواع السلطنة ، وأعلى أنحاء الولاية ، ولقد تفرعت من هذه الولاية الآلهية والسلطنة الربوبية ولاية النبي (ص) وهي المنوه بها في قوله تعالى : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » . ثم تفرعت من ولاية النبوة ولاية الأمامة المشار اليها في حديث الغدير المروي بالطرق الصحيحة المتواترة في كتب الفريقين ، فقد مهد رسول الله (ص) لولاية الأمام بقوله : « ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : بلى ، فقال (ص) من كنت مولاه فهذا علي مولاه » إلخ ، لكي يكون هذا التمهيد قرينة قطعية على أنه صلى الله عليه وآله وسلم أراد معنى الأولى بالتصرف من كلمة المولى وبذلك أظهر أن ولاية الأمام فرع لولاية النبي (ص) ومرتبة منها ، ولأجل ذلك أمر الله تعالى بطاعته في قوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » ويؤيد ذلك ما جاء في أحاديث مستفيضة من أن الأمام حجة الله على الناس وأن له سلطنة مطلقة على الرعية من قبل الله تعالى وهذه الولاية أصل مذهب الشيعة الأمامية ودعامته التي بني عليها ، وإن الشيعة تعتقد بأن الأمامة أصل مذهبي يوجب علو الدرجات في الآخرة ، ولكنها ليست من أصول دين الأسلام لأنها ثلاثة وهي التوحيد ، والنبوة والمعاد ، فكل من إعتقد بتوحيد الله تعالى وبنبوة خاتم الأنبياء محمد (ص) وبالمعاد الجسماني وإعترف لسانا بالشهادتين وعمل بما جاء به النبي (ص) فهو مسلم عند الشيعة له ما للمسلمين وعليه ما عليهم وإن لم يعتقد بالأمامة ،

قال الأستاذ الأكبر لعلماء الشيعة في « كتاب اصول الاسلام والايمان»
(فائدة) اعلم أن أصول الاسلام عنـد فقهائنا ثلاثة ، التوحيد ، الرسالة ،
المعاد ، فمن أنكر واحداً منها يكون خارجاً عنه ، كما أن الشيعي معتقد بهذه
الاصول الثلاثة أعني التوحيد والنبوة والمعاد فهو مسلم عنـد جميع طوائف
المسلمين من أهل السنة وان لم يعتقد بالخلافة ، فالخلاف في الخلافة والامامة
ليس خلافاً في أصول الدين الاسلامي عنـد الفريقين ، وليس يسوغ في
حال من الاحوال أن يقتتلوا على خلاف في الخلافة أصبح في ذمة التاريخ
ولا يستطيع القتال والنزاع ان يعيده الى الوجود بعد ان انحلت الخلافـة
واصبحت هي الخلافة نفسها مسألة تاريخية بحتة ، واصبح كل الخلاف خلافاً
في التاريخ وخلافاً في الأجتهاد وفي فهم الدين لا خلافاً في صميم الدين
الأسلامي ، هذا في اصول الدين الاسلامي ، واما في فروع الدين فأن
الآراء والمذاهب الفقهية التي تتوزع المسلمين اليوم مع سلامة جوهرها من
كل شائبة ، أدت الخلافات فيها الى فتن بين أشياعها في أدوار شتى وسالت
بين اهلها دماء غزيرة في بقاع كثيرة من الأرض وقـد كان حصة مصر
وسوريا منها موفوراً ، فكثيراً ما أدى الجدال بين الشافعية والحنفية وبينهم
وبين الحنابلة الى معارك سالت فيها الدماء ، فاذا كانت قد هدأت هـذه
الثائرة بينهم منذ نحو جيل فما ذلك إلا بسبب التطور الذي حصل في العقول
في مدى القرن الأخير ، وهذا التطور نفسه هو الذي يلهم النفوس اليوم
وجوب تضييق مسافة هذه الخلافات التي تؤدي الى ظاهرة الأختلاف في

الأعمال الموجبة للفتن ، وأقوى ظاهرة ما نراه بين الشيعة والسنة ، فقد تباعدوا وطال عليهم الأمد في هجر بعضهم لبعض ، وتوالت على ذلك عصور ليست بالقليلة فكان في الأمر متسع للاراجيف المختلفة والتمويهات الكاذبة والدعايات الفارغة الجوفاء ، واخذ كل منهم يعزو الى أخيه أقوالا أبعد في التصور مما كان يشاع في الأساطير كل ذلك لعوامل سياسية خلقها بعض الملوك وتأثرت لها الأجيال وتوارثها الأعقاب فتفرقت شيعاً لأسباب أقل ما توصف به أنها لا تثبت للنقد والتحليل ، ولآراء فقهية إتسع صدر التاريخ الاسلامي لألوف منها نشرها اصحابها في مختلف الممالك الأسلامية ولم يكن لها أثر سوى مقارعة الحجة بالحجة ومناهضة الدليل بالدليل ، وليس فيها ما يدعوا الى إثارة حرب أوسفك قطرة من دم ، أو الى تجريح أو تشهير أو تكفير ، ولا يوجد رأي في الفروع عند مذهب الشيعة يكون مخالفاً لجميع المذاهب السنية الاربعة ، فالخلاف الفرعي بين مذهب الشيعة الامامية وبين المذاهب السنية الاربعة لا يزيد على الخلاف بين هذه المذاهب الاربعة بعضها مع بعض ، ولقد وقع الخلاف بين الشافعية والمالكية عن البسملة هل هي جزء من القرآن او ليست جزءاً منه ، فلو كان هذا الخلاف وقع بين الشيعة والمالكية فماذا تكون الحال ؟ كان اقل شيء يقع هو ان يكفر المختلفون بعضهم بعضا هذا خلاف على القرآن والتواتر ومنكرهما كافر وخلاف يتعلق بالصلوة وهي فقار الاسلام وعمود الدين . ولكنه حدث بين الشافعية والمالكية . وقام بين السلف فلم يكفر بعضهم

بعضاً ، ولم يمنع احد من الصلوة وراء مخالفة ، ذلك لأن سوء التفاهم بينهما لم يبلغ درجته مع الشيعة ، ولأن السلف كان رائدهم جميعاً الانصاف العلمي والأخلاص للحق ، فكان المخالف يرى أن صاحب الرأي الآخر يبني ما رآه على دليل قام عنده أو أثر صح لديه ، ولا يخطر له أنه خالف لشهوة او غرض ، وهذا الأنصاف والاخلاص للعمل والحق هو الذي نسعى اليه فالخلاف مع الأنصاف لا يجر إلى التفرق ولا الى الفتن ، فمن المؤسف جداً أن يتخذ من هذه الأختلافات العرضية بعض الطوائف الأسلامية أداة هـدم لمعالم الدين الأسلامي وكيانه الأجتماعي وسهاماً ترمي بها من سواها تصيب الصميم ، وغـير خفي أن الأغراض الاسلامية المعنوية والعمليـة لا يمكن تحقيقها إلا بتنقية ايمان المسلمين من الشوائب المفرقة وتوجيهه توجيهاً نافعاً ، وتنمية وسائط الأخاء الأسلامي ، وتقريب وجهات النظر في المذاهب الاسلامية ، وجمع كلمة طوائف المسلمين التي تجمعها كلمة التوحيد وقواعد الأسلام ، ويؤلف بينها كتاب الله وسنة رسوله (ص) والتمسك بالثقلين فجدير بنا أن نوجه ندائنا (اولا) الى إخواننا السنيين ، ونقول أن الشيعة مع اعتقادهم بالنص في الأمامة ، وربط ما بعد وفاة النبي (ص) الى ما قبلها لا يعتبرون الأمامة من جملة أصول الاسلام ، بل يقولون أن كل من اعتقد بالوحدانية والرسالة والمعاد وما جاء به النبي (ص) من الله فهو مسلم ولو لم يعتقد بالامامة والمسلم أخو المسلم ، فأهل السنة ، مع إعترافهم بعـدم النص على الخلافة وإنها حدثت بعد وفاة النبي (ص) وأما قبلها فلم يكن في الاسلام

والمسلمين إسم من الخلافة ولا من الخليفة كيف يتوقفون في الحكم بأسلام الشيعي المعتقد بالوحدانية والرسالة والمعاد ، وبجميع ماجاء به نبينا محمد (ص) من الله تعالى ولو لم يعتقد بالخلافة أو لم يخلص للخلفاء ؟ ويجعلون هذا مانعاً من تحقيق الوحدة الأسلامية ، ثم نوجه نداءنا (ثانياً) الى إخواننا الشيعة ونقول إن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (ع) هو المؤسس لهذه الوحدة الأسلامية التي ندعوا اليها فلقد جاء صريحاً في (نهج البلاغة) في خطبته المعروفة بالشقشقية ما نصه :

« ولكني أسففت إذ اسفوا وطرت اذ طاروا » يريد أنه سكت عن مطالبة حقه ووافقهم ولم يخالفهم في شيء ، فكيف يتوقف شيعي عن قبول ما أسسه امام الشيعة الأعظم ابو الأئمة وسراج الأمة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام .

أما وإن الخلافة منحلة ، والأمام عليه السلام غائب ، وما يعود الى درجات الآخرة فحكمه الى الله مالك يوم الدين ، وما يعود الى الشؤون الدنيوية والأجتماعية فلا مندوحة من أن يقوم بها الأمم الأسلامية وعلماؤهم الذين أصبح واجبهم في كل جهة مضاعفاً ، ومسؤليتهم عن الدين الذي هم حفاظه أكثر خطورة من قبل ، فقد كان العلماء فيما مضى يكتفون بألقاء ما عندهم من العلم الى تلامذتهم فيؤدون بذلك كل الواجب عليهم ، أما اليوم فهم مسؤلون عن دفع الشبهات التي يلقيها الاجانب على الأسلام ، وعن إرشاد النشء وتثبيت العقيدة عنده ، والحيلولة بينه وبين الأفتتان بما

يملك خصوم الأسلام من القوى المادية والمدنية الباهرة ، ومن واجب علماء الدين ومراجع المسلمين أن يستقصوا احوال الشعوب الأسلاميـة ، وأن يقفوا على جل ما هي عليه من خير وشر في كل لحظة ليبصروها في سبيلها ويبعثوا في صدورها الهمم والغيرة ، ويتقدموا عنها بالدفاع والأحتجاج حتى يجمعوا كلمتها وينالوا ثقتها (ومن لم يهتم في شؤون المسلمين فليس منهم) وأن يدفعوا عن الدين بأنفسهم واموالهم ، وأن ينفروا خفافاً وثقالا ينشرون الأسلام في البلاد ، وينصرونه ويدفعون عنه إفتراء المبشرين في جميع الجهات ليعزهم الله وينصرهم ويثبت أقـدامهم ، ولو قام العلمـاء بواجبهم الديني (مخلصين له الدين) لتوحدت المقاصد ، وإجتمعت الكلمة وإتسعت الأفكار ، وزكت النفوس ، ونجحت الأعمال ، وتحققت الآمال لأن العلماء ينصحون بنصح الله ، ويتكلمون بلسان رسوله ، ومن لا نصح له فلا همة له ومن لا همة له فلا دين له ، وفي الحـديث الصحيح (الدين نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) وهذا الحديث يقضي على العلماء أن يتدخلوا في كل شأن من شؤون العقائد ، وأن يدفعوا كل فرية يفتريها الخصوم على أهل التوحيد ، وأن ينصحوا في كل وقت وحين ، وأن ينتشروا في الأرض لنشر كتاب الله تعالى غير وانين ولا سائلين في آباء ولا ابناء ولا إخوان ولا أزواج ولا عشيرة ولا أموال ولا تجارة ولا مساكن يرضونها ، قال الله تعـالى : (قـل إن كان آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال إقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن

ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) وإني في سفري هذا الذي لا شك في أنه من سبل الجهاد قمت بما أمكن من واجبي ودعوت الأمم الأسلامية الى الأتفاق والوحدة فوجدت الأقبال العام في مصر والهند وفلسطين والأردن ولبنان وسوريا

وما شاهدته في سوريا من الحالة يستدعي الغبطة والسرور فهنالك أمة حية تمكنت من المحافظة على آدابها القومية وأخلاقها الدينية طيلة مدة الأستعمار فنهضت كالأمم الراقية تعمل لحفظ كيانها ، والحياة سارية في جميع طبقاتها ، وإني أهنىء الأمة السورية الكريمة بما نالته من الحياة الدستورية نتيجة مثابرتها ومساعي زعمائها . وفي الختام نبتهل الى الله (جلت قدرته) في أن يحقق للعرب والمسلمين ما عقدوه علينا وعلى سائر أعلام الدين وقادة المسلمين من كبار الآمال في الحال والأستقبال إنه سميع مجيب والسلام عليكم ورحمة الله .

الخطبة الثالثة

(محاضرة الأمام الزنجاني في الجامع الأموي في دمشق وتعليقات الصحف عليها)

نقلا عن جريدة « فتى العرب » الدمشقية العدد (٨٣١٨) ١٥ شوال

١٣٥٥ ـ ٢٨ كانون أول ١٩٣٦ .

(يوم الوحدة الأسلامية)

(المسلمون الذين فرقتهم السياسة في قرون يوحد صفوفهم الأمام الزنجاني في ساعة) .

. . . وكانت المحاضرة الرائعة التي ألقاها الأمام المجاهد الشيخ عبد الكريم الزنجاني مرتجلا في الجامع الأموي من أفضل المحاضرات الرائعة النافعة التي شهدتها دمشق ، وكان للبراهين الفلسفية والمنطقية والأستنتاجات العميقة الغور من القرآن الشريف وللبيان الساحر الذي للأمام الزنجاني أبلغ أثر على الجماهير الغفيرة من عيون دمشق وعلمائها ورجال الحل والعقد فيها ، ومع أن المحاضرة دامت زهاء ساعتين فقد كان المستمعون يرجون ان تكون أكثر من ذلك وكان « شباب محمد » أسبق الشباب العاملين في سبيل الوحدة الأسلامية إلى الألتفاف حول الأمام الزنجاني والسعي لتحقيق فكرته السامية ، فكرة الوحدة الأسلامية (لا التقريب بين المذاهب الأسلامية فحسب كما جاء في الدعوة التي وجهت لأستماع محاضرة الأمام الزنجاني في الجامعة) فقد اعدوا تحت قبة النسر في الجامع الاموي منبراً عالياً للأمام الزنجاني تزاحم الناس والعلماء حوله بالمناكب بين جالس وقاعد — وقد تجاوز عددهم أربعين ألف نسمة — فألقى الامام الزنجاني عليهم درساً بليغاً دعى فيه لجمع كلمة المسلمين ولأداء أجر الرسالة والوحدة الاسلامية، بأساليب علمية جذابة ، وإمتد الدرس نحواً من ساعتين خلب به

الألباب واسترعى الأعجاب ، وخضع جميع المستمعين لرسالته السامية ، ثم وقف العلامة المجاهد الأستاذ الشيخ بهجت البيطار وأثنى على الأمام الزنجاني ثناء جميلاً، وقال إن سوريا التي لم تعرف معنى للتفرقة بين المذاهب الأسلامية تبتهج بأعلان الوحدة الأسلامية على ضوء إرشاد الأمام الزنجاني وسئل المستمعين هل يجيبون اقتراح الأمام الزنجاني ويؤيدون الوحدة الأسلامية على الكيفية التي يدعوا اليها الأمام الزنجاني ويحرصون عليها، فكان الجواب من الجميع بالأيجاب ،ثم تزاحم الناس بالمناكب يصافح العلماء الأمام الزنجاني ويشكرونه على جهاده الجبار ، ومساعيه الحسنة وعمله المبرور ثم يشكرون الأستاذ البيطار لأنه عبر عن رأيهم أحسن تعبير في كلمته القيمة ، وقبل الناس من مختلف الطبقات يد الأمام الزنجاني ، مظهرين له الطاعة وشاكرين له مساعيه وداعين له بالتوفيق ، وخرج الأمام الزنجاني ومعه البيطار وظبيان وسائر العلماء في مظاهرة دينية رائعة الى خارج المسجد حيث هتف شباب محمد لرسول الوحدة الأسلامية وسار موكب الامام الزنجاني بين الصفوف المزدحمة وهتافها الى الدار التي يقيم فيها يرافقه عدد كبير من الأساتذة والعلماء والعظماء ، هذه خلاصة ما شهدته دمشق في يوم الجمعة ١٣ شوال سنة ١٣٥٥ و ٢٤ كانون الأول سنة ١٩٣٦ الذي أطلقنا عليه إسم « يوم الوحدة الأسلامية » و صفوة القول ، أن ما فرقه السياسة في قرون أزاله الأمام الزنجاني في ساعة ختمت (والحمد لله) بأعلان وحدة الأمة الأسلامية ، وجمع شملها و كلمتها ، وقد كان جهاده مبروراً

وسعيه مشكوراً ، وسلاحه الذي تسلح به ـ وهو الأخلاص في العمل ، والدعوة بالحكمة ، والتضحية بالنفس والنفيس لأجل تحقيقه والسعي للوصول اليه بالعلم الصحيح ، والعقل الراجح ـ أمضى من الأسلحة التي إستعملتها السياسة في قرون ، وظنت أنها صدعت الصفوف صدعاً لا يمكن أن يجبر كسره ، ولكن رسول الوحدة الأسلامية الأمام الزنجاني الحكيم وضع الجبر على الكسر ، ونحن ننتظر من الأمام الزنجاني أن يواصل مساعيه المشكورة وجهاده الخالد حتى يضم مؤتمر واحد جميع المذاهب والفرق الأسلامية ، ويعيد إلى الأسلام مجده ، وينظم الوحدة الأسلامية تنظيماً صحيحاً وما المؤتمرات العربية ، والوحدة التي سعينا ونسعى لتحقيقها من إقليمية وقومية إلا نواة للوحدة الأسلامية الكبرى .

وقد رأى العرب من عطف مسلمي إيران والهند والأفغان على قضيتهم الفلسطينية ما يثلج الصدور ويبشر بصون حرمات هذا الجزء من وطنهم من أن تعبث به الصهيونية الشريرة الفاسدة .

وسبق أن قلنا أن سوريا لا تعرف معنى للتفريق بين المذاهب الأسلامية سيما بعد أن آمنت برسالة الامام الزنجاني الأصلاحية ، وقد أهدانا أمس فضيلة الأستاذ الشيخ محمد علي ظبيان المسلم المخلص المؤمن برسالة الأمام الزنجاني كراساً ضمنه عقيدة المسلمين في سوريا وهذا نص المادة السادسة منها :

« أعتقد أن المسلمين جميعاً أمة واحدة يربطها العقيدة الأسلامية وأن

الأسلام يأمر بالاحسان الى جميع الناس ، و أتعهد بأن أبذل جهدي في توثيق رابطة الاخاء الأسلامي بين جميع المسلمين وإزالة الجفاء والأختلاف بين طوائفهم وفرقهم » فأكبرنا إيمان سوريا برسالة الأمام الزنجاني ، واستمرارها على العمل المتواصل لتحقيق الوحدة الاسلامية ، وأن يلمس رسول هذه الوحدة و المجاهد من أجلها « الامام الزنجاني » هذا السعي ، ويرتاح اليه ، وتجد فكرته السامية تربة صالحة في سوريا فتنموا وتترعرع وتؤتي أكلها بأذن ربها .

(عيد الوحدة الأسلامية)

والذي نقترحه على جمعية التمدن الاسلامي ، وعلى مجلتها المسماة بأسمها والتي سدت فراغاً كبيراً في عالم الصحافة عندنا أن تحتفل بمثل هذا اليوم في كل عام ، وأن يتعاقب على منبر الخطابة فيه الخطباء ، ـ على إختلاف مذاهبهم التعبدية ـ حتى إذا ما تمت الوحدة في جميع بلاد العالم الاسلامي أقر المؤتمر الأسلامي الذي يتولى الأمر هذا العيد يعيده المسلمون ويدعونه « عيد الوحدة الأسلامية » .

* * *

نقلاً عن مجلة « التمدن الأسلامي » الدمشقية : ذو الحجة عام ١٣٥٥ العدد العاشر : السنة الثانية .

زار دمشق من كبار مجتهدي النجف الأشرف الأستاذ الأمام الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني ، داعياً الى توحيد كلمة المسلمين حاثاً على توثيق

عروة اهل السنة والشيعة بصورة خاصة، فلقي أجمل الترحيب، وألقى مرتجلا محاضرة قيمة في هذا الموضوع في مدرج الجامعة السورية، فازدحم المدرج ورواقه بنخبة البلد الصالحة، ونظراً لما رآه من الأقبال ألقى ايضاً عقب صلوة الجمعة تحت « قبة النسر » في مسجد بني أمية درساً عاماً يحوم حول ما يدعوا إليه، وإنتهى الدرس وقد إستدر الدموع، وغير الأفكار والعقائد وإرتجل فضيلة الأستاذ الشيخ بهجت البيطار ملبياً دعوة الأمام الزنجاني وداعياً الى الأخاء الأسلامي، ونظراً لما رآه من بالغ الحفاوة والتأييد أجاب دعوة ثالثة، فذهب الى (حي الميدان) فألقى في (جامع الدقاق) — أول مسجد بناه المسلمون بعد فتح الشام — درساً عقب صلوة الجمعة من يوم ٩ شعبان ١٣٥٥ وخطب بعده في هذه المرة ايضاً فضيلة الشيخ محمد علي ظبيان ملبياً دعوة الأمام الزنجاني إلخ.

* * *

نقلا عن جريدة (الف باء) الدمشقية ٢٤ كانون الأول ١٩٣٦.

(شباب محمد يوجهون دعوة عامة للشعب)

لقد عرف الشعب الدمشقي خطورة المهمة التي زار دمشق من أجلها الأمام الجليل الشيخ عبد الكريم الزنجاني، ألا وهي توحيد الطوائف الأسلامية، وإعادة الدين نقياً كما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تشرف بزيارته فريق من شباب محمد ورجوه أن يتكرم بألقاء درس عام في الجامع الأموي عقب صلوة الجمعة في ١٢ شوال ١٣٥٥

و ٢٥ كانون الأول ١٩٣٦ فتفضل بتلبية التماسهم ، وتحقيق طلبهم فشباب محمد يشكرون لفضيلة الأمام الحكيم الزنجاني أريحيته هذه ، ويدعون الشعب الكريم لاستماع حكمه الفياضة ، والارتشاف من مواعظه الشافية .

* * *

(أتم الزنجاني خطبة الأمام السجاد)

قال العلامة الشهير السيد محسن الأمين العاملي مرجع الشيعة في دمشق في مجمع حاشد بالشيعة :

« لم يذكر التاريخ أن شيعياً إرتقى منبر الجامع الأموي منذ بنائه في صدر الأسلام الى الآن سوى إمام الشيعة السجاد علي ابن الحسين زين العابدين (ع) ولكن السياسة الأموية قطعت خطبة الأمام السجاد (ع) ولم يستطع أحد من الشيعة أن يصعد هذا المنبر وأن يتم تلك الخطبة المقطوعة منذ تاريخ قطعها الى الآن ، والذي أود أن أسجله بمداد النور والفخر لزعيم الشيعة الأمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني هو أن سماحته هو الشيعي الوحيد الذي إرتقى هـذا المنبر في الجامع الأموي خطيباً لأول مرة في تاريخ الشيعة ، وفي تاريخ الجامع الأموي وفي تاريخ دمشق ، وأتم على ذلك المنبر تلك الخطبة السجادية التي قطعتها السياسة الأموية على الأمام السجاد عليه السلام في سنة ٦١ هجرية وجاء هذا الأتمام بعد مرور ١٢٩٥ سنة على قطعها .

نص الخطبة الثالثة

(وهي الخطبة التي ألقاها الأمام الزنجاني في الجامع الأموي في دمشق)

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر ولا تعسر وإحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ، وإجعلني من جندك فأن جندك هم الغالبون ، و إجعلني من حزبك فأن حزبك هم المفلحون، وإجعلني من أوليائك فأن أوليائك لاخوف عليهم ولا هم يحزنون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما فتح لنا من أبواب العلم بربوبيته، ودلنا عليه من الأخلاص في توحيده ، ومن علينا بمحمد (ص) خاتم أنبيائه دون الأمم الماضية والقرون السالفة بقدرته وحكمته ، ووفقنا لأداء أجر رسالته ، صلى الله عليه وآله وصحبه وعترته وسلم . قال الله تعالى :

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا وإختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فأما الذين إسودت وجوههم ، أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، وأما الذين إبيضت وجوههم ففي رحمة الله ، هم فيها خالدون ». (آل عمران)

إخواني : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : ما سأحدثكم في هذا اليوم قد يكون بعضه مخالفاً للتقاليد التي ترسخت لكم ، ولكن يمكنكم أن تعتقدون أنها الحقيقة بلا مراء .

إن الأسلام دين عام خالد أسست أصوله على حكم العقل السليم كما قررت فروعه مطابقة لمقتضيات الفطرة والطبيعة ، ولقد ثبت في علوم الطبيعة أن المحيط لا يمكن أن يؤثر بتغيير في جوهر سلولات الفكر ، فالتكامل لا يحدث تغييراً في العقل نعم يمكن أن يحدث كمالا و نضوجا فيه فلذلك لم يتغيير ولن يتغير حكم من الاحكام التي إستقل بها العقل مادامت الدنيا فلا يمكن الى الأبد تغيير في أصول الأسلام المقررة طبق العقـل السليم سيما بعد إقترانها بالقرآن المعجز الخالد الذي يساير الاسلام بنفسه لا بمجرد ذكر لخبره ، فكان لابد في بقاء الأسلام الخالد مصوناً من التغيير ، وبقاء تعاليمه محفوظة من التحريف وإستمرار تطبيقها عملياً مطابقاً للحق الواقع ، من مراقبة عموميـة شاملة إجتماعية كاملة فلأجل ذلك شرع الاسلام وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع المسلمين وجوبا كفائياً يسقط بعد قيام من فيهم الكفاية فأصبحت مجموع الأمة الأسلامية تراقب كل فرد من المسلمين ، وهذا هو الواجب الأهم الذي كنا به خير أمة أخرجت للناس ، وفي (نهج البلاغة) من كلام أمير المؤمنين عليه السلام : (فأن الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين يديـكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فلعن الله السفهاء لركوب المعاصي والحلماء لترك المناهي) ولكن وجوب هذه المراقبة

مشروط بشروط (منها) معرفة المعروف شرعاً ومعرفة المنكر، و (منها) الأمن من الضرر على الآمر والناهي أوغيرهما من المسلمين بما لا يتحمل عادة، وغيرهما من أمور إستقصاها الفقه الاسلامي وهي شروط يصير بها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة للخير الذي أراده الله تعالى «وإنه لحب الخير لشديد» وبما أن الاوامر والنواهي الشرعيـة واردة على نهج القضايا الحقيقية فتتعلق على الموضوعات النفس الأمرية لا على الموضوعات الخارجية ولا على الموضوعات الذهنية، ومن الواضح أن تقييد المتعلق يستلزم التقييد في موضوع الحـكم الشرعي، وتقييـد الموضوع يوجب تحديداً في الحكم يخرجه عن الاطلاق حسبما فصل في علم أصول الفقه، فوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس حكماً عاماً ولا مطلقاً (لأنهما لا يجبان إلا على مستجمع الشروط الشرعية وحينما يكونان وسيلة للخير) ولهذا اوجبهما الله في الآية الشريفة على أمة من المسلمين وهي العارفة بالشروط المقررة المار ذكرها، وأقحم فيها جملة (يدعون الى الخير) فلو كان غرضه تعالى الاطلاق لقال: فلتكن منكم أمـة يأمرون بالمعروف وحيئـذ إنتفى التناسب بين الآيتين المتواليتين، ولكنه تعالى قال: «فلتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف إلخ فظهر من ذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يكونان وسيلة للخـير وقد يتخذان أداة للشر و (الاول) واجب، وهو ما كان مستجمعاً للشروط المقررة في الاسلام والمؤدية الى الخير المطلوب للشارع و يوجب

الأتحاد والاتفاق وهو المأمورية في الآية الأولى ، و (الثاني) حرام وهو الذي تنقصه الشروط المشروعة فيؤدي الى الشر والتفرقة والأختلاف بين المسلمين المذكور في الآية الثانية ومن هذا ظهر وجه التناسب بين الآيتين كما ظهر سر إقتحام جملة (يدعون الى الخير) وتبين ايضاً سبب تخصيص الحكم والوجوب العيني بأمة من المسلمين مع ثبوت الوجوب الكفائي على جميعهم وثبت ايضاً وجوب منع غير العارف بالشروط عن التصدي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي الحديث الصحيح عن عبدالله ابن المبارك قال أخبرنا الأحلج عن الشعبي قال : سمعت النعمان ابن بشير يقول على المنبر : ياأيها الناس خذوا على أيدي سفهائكم ، فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن قوماً ركبوا البحر في سفينة وإقتسموها فأصاب كل واحد منهم مكان ، فأخذ رجل منهم الفأس فنقر مكانه ، فقالوا : ما تصنع ؟ فقال مكانى أصنع به ما شئت ، فأن أخذوا على يديه نجى ونجوا ، وإن تركوه غرقوا وغرق » .

أيها الأخوان ، نحن في هذا العصر أحوج ما نكون إلى أن يعرف بعضنا آراء بعض ، وعلى ضوء المعرفة يقوى الأتصال ، ويدوم الأخاء ، وما كان شيء يحزنني ويهيج بلابل صدري سوى ما أشاهد من إتخاذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة لأيجاد الخلاف بين المسلمين فنرى فرقاً متعددة متناحرة في الأسلام ، وكل منها ينتسب اليه ويستدل به على معتقده ، وكل منها ينطق بالشهادتين ويدين بالشعائر والأركان الأسلامية

من صلوة وصيام وزكوة وحج وما يتبع ذلك من معاملات وحدود وآداب ثم تراهم بعد ذلك يتبارون في النضال ، ويحاول كل فريق أن يفني الفريق الآخر ، فأذا لم يستطع السبيل الى ذلك عمد الى التفسيق والتجريح ثم الى التشهير والتكفير ، بل رأينا أن المسلمين يلقون من إخوانهم المسلمين أضعاف ما يلقون من أعدائهم الأذى والأضطهاد ، بينما نرى الطوائف الأخرى وان تباينت في كثير من أصولها ، وتشعبت في أكثر فروعها ، لا يمنعها ذلك من ضم صفوفها وإتحاد كلمتها في حين أن كثيراً منها يدين بعقائد التفريق والتمييز بين الطبقات كما هو معروف في الديانة الهندوكية وبرغم ذلك فهم يتبادلون كل معونة في إدراك خيرات الحياة والأستمتاع بطيبات الوجود من بذل وتضحية وإيثار حتى أدركوا من أسباب النجاح مبلغاً يحسدون عليه في التقدم أدبياً ومادياً وصناعياً وتجاريا وبالجملة علماً وعملا بينما نرى المعارك تفتك بالألوف من المسلمين في بعض البلاد تلبية لدعوة التفريق التي ينشرها الجهال بالحقائق وبأخطار العواقب بأسم النهي عن المنكر أو الأمر بالمعروف وبالأحرى ما تخيله منكراً وهو من المعروف او توهمه معروفاً وهو من المنكر في الواقع ، رغم أن الأسلام دين التسامح ومنذ نشأ الأسلام الى اليوم عرف تسامحه لا مع الفروع من شجرته والمذاهب من ملته بل مع الخارجين عنه والتابعين لغيره من الأديان ، الأسلام الذي كان من أول يوم يصل أسباب المحبة والأخاء بين البشر لا يمكن أن يأذن للمسلمين أن يحفر بعضهم خنادق لبعض لأن هـذا أحب فلاناً

وذاك مال إلى فلان ، وإذا كان الأسلام هو واضع الحجر الأول في بناء حرية الفكر فجدير به في هذا العصر أن يكون أول من يرفع علم هذه الحرية وقد إتسع صدره لألوف من الآراء نشرها أصحابها في مختلف ممالك العالم الأسلامي ولم يكن لها أثر سوى مقارعة الحجة بالحجة ومناهضة الدليل بالدليل فجدير بالمسلمين ان يحافظوا على هذا التراث المجيد تراث التساهل والحرية والعمل على جمع الكلمة بدلا من تمزيقها . ولكن المسلمين إلتووا عن هذه الحجة فوقعت بينهم الخصومات الأليمة لأسباب أقل ما توصف به أنها لا تثبت للنقد والتحليل ، والكل يدين بالأسلام ويتوجه بقلبه الى الله وبوجهه الى القبلة ويتمسك بالقرآن الكريم و بالسنة النبوية (ص) وهذه التي سموها فوارق ليست ترجع في الحقيقة إلا لأحد أمرين ، إما لعوامل سياسية قديمة تأثرت بها الأجيال وتوارثها الأعقاب ، وإما لآراء فقهية وهي قائمة حتى اليوم وليس فيها ما يدعوا إلى إثارة حرب ، وأقوى ظاهرة ما نراه بين الشيعة والسنة فقد تباعدوا وطال عليهم الأمد في هجر بعضهم لبعض ، وتوالت على ذاك عصور ليست بالقليلة ، فكان في الأمر متسع للأراجيف المختلفة والتمويهات الكاذبة والدعايات الفارغة وأخذ كل واحد منهم إلى أخيه أقوالا أبعد في التصور مما كان يشاع في الأساطير أليس من العجب أن يظن إنسان بأنسان أن له ذنبا ، أو أنه نجس العين ، أو أن جبرئيل أخطأ الطريق في تسليم الرسالة ، والقرآن الكريم في كل بلد إسلامي شيعي أو سني يقول : « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون

من المنذرين » ثم يقول : « محمد رسول الله » ولكن فقد التواصل وانعدام التقارب من شأنه أن يؤدي إلى هذا العبث المنكر ، وهذا نص دعاء إمام الشيعة زين العابدين السجاد علي بن الحسين عليه السلام لأهل الثغور من المسلمين في العهد الأموي مع العلم بأنه كان موتوراً من الأمويين الذين قتلوه أباه الحسين وإخوته وأعمامه وأسرته وسبوا نسائهم ، « أللهم صل على محمد وآل محمد (ص) وحصن ثغور المسلمين بعزتك ، وأيد حماتها بقوتك ، وأسبغ عطاياهم من جدتك ، أللهم صل على محمد وآل محمد ، وكثر عدتهم ، واشحذ أسلحتهم ، واحرس حوزتهم ، وامنع حومتهم ، وألف جمعهم ، ودبر أمرهم ، وواتر بين ميرهم ، وتوحد بكفاية مؤنهم ، واعضدهم بالنصر وأعنهم بالصبر ، والطف لهم في المكر ، أللهم صل على محمد وآله ، وعرفهم ما يجهلون ، وبصرهم ما لا يبصرون ، أللهم صل على محمد وآله ، وأنسهم عند لقائهم العدو ذكر دنياهم الخداعة الغرور ، وأمح عن قلوبهم خطرات المال الفتون ، واجعل الجنة نصب اعينهم ، ولوح منها لأبصارهم ما اعددت فيها من مساكن الخلد ، ومنازل الكرامة ، والحور الحسان ، والأنهار المطردة بأنواع الأشربة ، والأشجار المتدلية بصنوف الثمر ، حتى لا يهم أحد منهم بالأدبار ، ولا يحدث نفسه عن قرنه بفرار ، أللهم أفلل بذلك عدوهم ، واقلم عنهم اظفارهم ، وفرق بينهم وبين أسلحتهم ، واخلع وثائق أفئدتهم ، وباعد بينهم وبين أزودتهم ، وحيرهم في سبلهم ، وضلهم في وجههم ، واقطع عنهم المدد ، وأنقص منهم العدد ، واملأ أفئدتهم الرعب

وأقبض أيديهم عن البسط ، وإخزم ألسنتهم عن النطق ، وشرد بهم من خلفهم ، ونكل بهم من ورائهم ، واقطع بخزيهم أطماع من بعدهم ألّلهم عقم أرحام نسائهم ، ويبس أصلاب رجالهم ، واقطع نسل دوابهم وانعامهم ولا تأذن لسمائهم في قطر ولا لأرضهم في نبات ، أللهم وقو بذلك محال أهل الأسلام ، وحصن به ديارهم ، وثمر به أموالهم وفرغهم عن محاربتهم لعبادتك ، وعن منابذتهم للخلوة بك حتى لا يعبد في بقاع الأرض غيرك ولا تعفر لأحد منهم جبهة دونك ، ألّلهم أغز بكل ناحية من المسلمين على من بأزائهم من المشركين ، وأمددهم بملائكة من عندك مردفين ، حتى يكشفوهم الى منقطع التراب قتلا في أرضك أو أسراً أو يقروا بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، ألّلهم واعمم بذلك أعدائك في أقطار البلاد من الهند والروم والترك والخزر والحبش والنوبة والزنج والصقالبة والديالمة وسائر أمم الشرك التي تخفى أسمائهم وصفاتهم وقد أحصيتهم بمعرفتك ، وأشرفت عليهم بقدرتك ، ألّلهم إشغل المشركين بالمشركين عن تناول أطراف المسلمين ، وخذهم بالنقص عن تنقصهم ، وثبطهم بالفرقة عن الأحتشاد عليهم ، ألّلهم أخل قلوبهم عن الأمنة ، وأبدانهم من القوة ، وأذهل قلوبهم عن الأحتيال ، وأوهن أركانهم عن منازلة الرجال ، وجبنهم عن مقارعة الأبطال ، وإبعث عليهم جنداً من ملائكتك ببأس من بأسك كفعلك يوم بدر تقطع به دابرهم ، وتحصد به شوكتهم وتفرق به عددهم ، ألّلهم وإمزج مياههم بالوباء . واطعمتهم

بالأدواء وإرم بلادهم بالخسوف . وألح عليها بالقذوف . وافرعها بالمحول . وأجعل ميرهم في أحص ارضك وأبعدها عنهم، وإمنع حصونها منهم أصبهم بالجوع المقيم والسقم الأليم ، أللهم وأيما غاز غزاهم من اهل ملتك أو مجاهد جاهدهم من اتباع سنتك ليكون دينك الأعلى وحزبك الأقوى وحظك الأوفى فلقه اليسر وهيىء له الأمر ، وتوله بالنجح وتخير له الأصحاب وإستقوله الظهر، وأسبغ عليه في النفقة ، ومتعه بالنشاط ، وأطف عنه حرارة الشوق ، وأجره من غم الوحشة ، وأنسه ذكر الأهل والولد، وآثر له حسن النية ، وتوله بالعافية . وأصحبه السلامة . وأعفه من الجبن . والهمه الجرأة وارزقه الشدة . وأيده بالنصرة . وعلمه السير والسنن . وسدده في الحكم وأعزل عنه الرياء . وخلصه من السمعة . وأجعل فكره وذكره وظعنه وإقامته فيك ولك . فأذا صاف عدوك وعدوه فقللهم في عينه ، وصغر شأنهم في قلبه . وأدل له منهم ولا تدلهم منه . فأن ختمت له بالسعادة وقضيت له بالشهادة فبعد أن يجتاح عدوك بالقتل وبعد أن يجهد بهم الأسر وبعد أن تأمن أطراف المسلمين . وبعد أن يولي عدوك مدبرين . أللهم وأيما مسلم خلف غازياً أومرابطاً في داره أو تعهد خالفيه في غيبته . أو أعانه بطائفة من ماله . أو امده بعتاد أو شحذه على جهاد . أو أتبعه في وجهه دعوة . أودعى له من ورائه حرمة فأجر له مثل أجره وزناً بوزن ومثلا بمثل . وعوضه من فعله عوضاً حاضراً يتعجل به نفع ما قدم وسرور ما أتى إلى أن ينتهي به الوقت إلى ما أجريت له من فضلك وأعددت له من

كرامتك . أللهم وأيما مسلم أهمه أمر الأسلام وأحزنه تحزب اهل الشرك عليهم فنوى غزواً أوهم بجهاد ، فقعد به ضعف أو أبطأت به فاقة أو أخره عنه حادث أو عرض له دون إرادته مانع فأكتب إسمه في العابدين ، وأوجب له ثواب المجاهدين ، وإجعله في نظام الشهداء والصالحين ، أللهم صل على محمد وآل محمد صلوة عالية على الصلوات مشرفة فوق التحيات صلوة لا ينتهي أمدها ، ولا ينقطع عددها ، كأتم ما مضى من صلواتك على أحد من أوليائك إنك المنان الحميد المبدىء المعيد الفعال لما يريد »

أنظروا رحمكم الله إلى هذا الدعاء الذي دعى به إمام الشيعة للمسلمين في أواسط القرن الأول الهجري وأكثريتهم الساحقة كانت من السنيين لا من شيعته ، ودققوا النظر العميق في مضامينه العالية ، وما تضمنه من أصول فن الحرب واسباب الأنتصار ، وموجبات المعنوية للجيش الأسلامي الذي إبتهل الأمام الى الله تعالى جلت قدرته ان يحقق ما عقده المسلمون عليه من الفتح وكبار الآمال من مختلف الطوائف الأسلامية ، وهل يعني هذا سوى الوحدة الأسلامية ، والتضحية بالنفس والنفيس في سبيل كافة المسلمين من الشيعة والسنة ، حتى تعلموا ان دعوتنا الى الوحدة الأسلامية وإهدار الفروق والأختلافات ليست حدثاً جديداً إقترحناه في هذا الوقت لأغراض خاصة وفرضناها على الشيعة او على المسلمين فرضاً إعتباطياً بل هذا من سيرة الشيعة الأمامية التي ساهمت في تشييد اركان التوحيد وتثبيت كيان الأسلام منذ الصدر الأول حتى الآن ، تبعاً لأمامهم السجاد زين العابدين

عليه السلام وسائر أئمتهم منذ القرن الأول الهجري بل منذ صدر الأسلام بل من عهد النبي (ص) الذي غرس بيده بذرة التشيع في حقل الأسلام وإنما رجعت بكم الى الوراء ثلاثة عشرة قرناً لأعتقادي بأنه لا سبيل الى تنظيم المستقبل سوى تشخيص الحاضر . ولا يمكن تشخيص الحاضر بدون معرفة الماضي . كما ان معرفة الطبيب ماضي مريضه خير وسائل التشخيص والعلاج .

إخواني : الشيعة الأمامية اعرف المسلمين بأسرار التشريع الاسلامي وبطون كتاب الله المعجز الخالد تعلموها ممن لم يشرك بالله طرفة عين ، وكان اول من آمن من الرجال برسول الله (ص) ولم يتجاوز عمره ثلاثة عشر سنة ، وهو الكاتب الأول للوحي الآلهي ، وإعتبره القرآن نفس النبي (ص) في آية المباهلة وعلمه رسول الله (ص) علومه فقال (ص) : انا مدينة العلم وعلي بابها ، وقال (ص) : علي مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي . وقال (ص) (من آذى علياً فقد آذاني) وقال (ص) « من كنت مولاه فعلي مولاه » وقال (ص) اسعد بن مالك الشهيد وقد شكى علياً الى رسول الله (ص) : « فو الله لقد علمت انه جيش في سبيل الله » ولا يختلف الرواة والمحدثون في ان النبي (ص) طالما ردد هذه العبارة وهو ينظر إلى علي « هذا أخي » . وقال عمر بن الخطاب : « كنا ننظر الى علي في ايام النبي (ص) كما ننظر الى النجم » . وقد اشار علي (ع) الى تعهد رسول الله إياه بخطبته التي تسمى بالقاصعة وفيها يقول

« وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره ويكنفني في فراشه ، ويمسني جسده ، ويشمني عرفه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ، ولا خطلة في فعل ، ولقد قرن الله به ، صلى الله عليه وآله ، من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره ، ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الأسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخديجة ، وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة ، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلت يارسول الله ، ما هذه الرنة ؟ فقال : « هذا الشيطان أيس من عبادته إنك تسمع ما أسمع ، وترى ما أرى ، إلا أنك لست بنبي ، ولكنك وزير وإنك لعلى خير ، الى أن قال عليه السلام : وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم ، سيماهم سيما الصديقين ، وكلامهم كلام الأبرار ، عمار الليل ومنار الليل ، متمسكون بحبل القرآن ، يحيون سنن الله وسنن رسوله ، لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغلون ، ولا يفسدون ، قلوبهم في الجنان ، وأجسادهم في العمل . فلا يوجد لدى الشيعة مشكلة في أحكام الأسلام وقضاياها المتنوعة إلا وإنهم يعرفون حلها وتعليلها .

ومن أمثلة ذلك أن الله تعالى أمر رسوله بالمشورة حيث قال تعالى : (وشاورهم في الأمر) وهذا لا يلائم اللوم الذي نزل به القرآن لقبوله (ص) مشورة أصحابه في الأسرى ، وكذلك لا يلائم قبوله المشورة في وقعة أحد التي من بعدها نزلت آية المشورة ، عدم قبوله مشورتهم في الحديبية وقوله (ص) بالغضب (أنا رسول الله) ، ولكن الشيعة على بينة من الأمر ويعلمون أن في صدر الآية دلالة على المقصود إذ قال الله تعالى : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فأعف عنهم وإستغفر لهم وشاورهم في الأمر » أي تأليفاً لقلوبهم وللمستشار شروط يكون باستجماعها جديراً بالمشورة وقبول رأيه كما في أحد. وحينما لم تتوفر تلك الشروط لا يقبل رأي المستشار كما وقع في الحديبية ، فهذه المشورة قررت أخلاقياً في المصاديق لا في الكبريات الكلية ، نظير أحل لكم الطيبات . ولكل فرد حرية في إختيار ما يرغب فيه من الطيبات . وفي تفاسيرنا للقرآن الكريم أن الانسان أكرم الكائنات على الله تعالى خلقه في أحسن تقويم و حلاه بالعقل السليم فقال تعالى: « ولقد كرمنا بني آدم » فأثبت التكريم الآلهي لنوع الانسان ، وبهذا التكريم إمتاز الانسان عن سائر الموجودات وصار أشرفها وأختص بالقدرة على إستخدام ما في الوجود وتسخير المادة وقوى الطبيعة ، ولكن الانسان مع هذه المنح كلها ضعيف الجسد ، تؤلمه النسمات ، واهن الجلد تستفزه الخطرات ، شديد الهلع تستطيره الهواجس قال الله تعالى : « وخلق الانسان ضعيفاً » وقال أمير المؤمنين : (ما أضعف

بني آدم ، تؤلمه البقة ، وتنتنه العرقة، وتقتله الشرقة) وهذا الضعف لا ينافي تكريمه ، ولا تناقض بين الآيتين كما زعم بعض الجاهلين ، بل هذا الضعف منشأ كرامته ومنبع سعادته ، لأن الضعف يولد الحاجة ، والحاجة تفتق وجه الحيلة فيستعمل عقله ومواهبه وغرائزه وأفكاره ، في الأختراع والأكتشاف ويتأكد بهذه الآية الكريمة ما قرره علم الأجتماع من أن القوة البدنية تؤخر التطور الأجتماعي . وضعفها يعجله لأن الفرد الضعيف يضطر الى الأستعانة بالجماعة، والى الدهاء والحيلة . وهما من أدوات الأجتماعية كما يتأيد ما قرر في علم الأقتصاد من أن الحاجة هي منشأ الفعالية البشرية . والباعث الأصلي للحركة الأقتصادية فهي إذاً المحور الوحيد الذي تدور عليه المعاملات الكونية لأن الأنسان المتأثر بعامل الحاجة يشعر طبعا بوجوب العمل على تهيئة الأساليب التي تكفل له وفاء حاجاته . فالحاجة منشأ أقوى شعور دافع للأنسان الى الكدح والمثابرة على العمل وتغلب ميله الفطري الى الراحة والسكون . ولذلك كانت الحاجة هي العنصر الأصلي في الفعالية الأقتصادية . والباعث الأقوى للرقي الأجتماعي فهي أم الأختراع . ولولاها لبقي الأنسان هملا خاملا لا فرق بينه وبين العجماوات والحاجة وليدة الضعف فأذاً الضعف منشأ كرامة الأنسان . والسبب لأهتمام علماء الشيعة بتفسير القرآن الكريم أنهم وكافة الشيعة يعلمون أن القرآن الكريم كتاب الله أي خطابه لعباده ورسالته الى الناس كافة ومن حق الرسالة أن تقرأ بدقة وعناية . ومن واجب الخطاب أن يفهم ليعمل بما فيه . لأن القرآن

كتاب الله الذي أنزله على رسوله الأمين ليبلغه للناس . ويبينه لهم وقد جمع فيه كل ما يكفل سعادتهم في معاشهم ومعادهم ولم يغادر شيئاً مما يضمن لهم الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة إلا بينه لهم كل البيان . فهو نور يهدي به الله من إتبع رضوانه سبل السلام . ويخرجهم من الظلمات الى النور بأذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم وقد يسره للذكر ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب فلا يجوز للمسلمين أن ينصرفوا عن فهم القرآن المبين وتدبره . وأن يكتفوا بأستماعه إذا قرأه قارىء حسن الصوت ليطربوا بألحانه وأنغامه لا لينتفعوا بفرقانه وتبيانه ويقفوا على معانيه وأسراره ومراميه وما فيه من هدى ونور وأدب سام . وخلق كريم . ودعوة الى الحق والخير والفضيلة وقصص عذب فيها العبرة والموعظة الحسنة . وما دعاهم الله الى النظر فيه من آياته الكونية التي بثها في الآفاق وأقامها في ملكوت السماوات والأرض ليزدادوا تبصرة وذكرى . وإيمانا مع إيمانهم أجل إن الأقبال على تلاوة القرآن والأستماع اليه والتدبر فيه يزيد الأيمان ويثبت دعائم اليقين ويجلوا البصيرة . ويقف الأنسان في مقام الأيقان . فيعبد الله كأنه يراه . وإذا بلغ الأنسان هذه الدرجة طهرت نفسه من وضر الآثام . وإمتلاء قلبه إيمانا وتسليما . فأزداد إقبالا على الله وحرصاً على مرضاته وبعداً عما يسخطه وإذاً يكف عن الناس يده ولسانه . ولا يظلمهم بقول ولا فعل . ويمنع عنهم أذاه . وإذاً يصبح المسلمون اخوانا متوادين . متحابين. متراحمين . يفرح بعضهم لفرح بعض . ويألم بعضهم لألم بعض . وإذاً يستتب الأمن

وتسود الطمأنينه . ويستقر النظام . ويعرف كل ما له وما عليه . ويؤدي واجبه . ويقف عند الحد الذي رسمه له الشارع الحكيم . فيستريح الحاكم . وتقر عيون المحكومين . ويجب التنبيـه على أن الشيعة ترضيها أن تحتكم الأمم الأسلامية في مواضع الخلاف إلى الله ورسوله (ص) لقوله تعالى : « فأن تنـازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » وقال تعالى : (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله) وغير خفي أن الرد الى الله تعـالى هو الرد الى كتابه المبين . وأن الرد الى الرسول هو الرد الى السنة المطهرة فأنهما مصادر التشريع الأسلامي واليهما يرجع سائر الأدلة ، وكلاهما لا يشق علينا تناولهما ولا يعيينا الرجوع اليهما ، ولا يعجزنا الاحتجاج ببيانهما ومن المعلوم أنه لا يمكن الاستغناء عن السنة والاكتفاء بالكتاب وحده لقوله تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه إبتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم الخ » ونسأل الله تعالى أن يلهمنا الأنصاف ، وأن يجنبنـا الأعتساف ، وأن يعصمنا من أن نكون كهؤلاء الذين قال الله تعالى فيهم : (وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ، وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين ، أفي قلوبهم مرض ، أم إرتابوا ، أم يخافون أن يحيف الله عليهم و رسوله بل اولئك هم الظالمون » ونبتهل الى الله تعالى أن يوفقنا برحمته لنكون من الذين قال

فيهم : (إنما كان قول المؤمنين إذا إدعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، واولئك هم المفلحون) .

ايها المسلمون ، دعامة الأسلام كلمة التوحيد ، وهي علم الأسلام وشعاره ولا يحسب الأنسان من أهل التوحيد عند الله والناس إلا إذا نطق لسانه بكلمة (لا إله إلا الله) وآمن بها قلبه ، وكلمة التوحيد تدفع بالمسلمين الى توحيد الكلمة ولهذا قلنا سابقاً دعامة الأسلام ، كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة ، ومعنى كلمة اشهد ان لا إله الله ، (أشهد أن لا معبود بحق الا الله) وهذا التوحيد الذي يشهد به جميع طوائف المسلمين يقال له في الأصطلاح (التوحيد الذاتي) وأما طائفة الشيعة الأمامية من المسلمين فهي معتقدة بهذا التوحيد في ذاته تعالى الذي هو مفاد (لا إله إلا الله ، ومعتقدة ايضاً بالتوحيد في صفاته تعالى ، وهذا مفاد (لا هو إلا هو) ومعتقدة بالتوحيد في افعاله تعالى ، وهو مفاد (لا حول ولا قوة إلا بالله) ومعتقدة ايضاً بالتوحيد في آثاره ، وهو مفاد (لا مؤثر في الوجود إلا الله) فالشيعي يقول (اشهد أن لا إله إلا الله في ذاته وفي صفاته وفي افعاله وفي آثاره ويعتقد إعتقاداً جازماً لا تشوبه شائبة شك ، انه لا خالق إلا الله ، ولا رازق إلا الله ، ولا مدبراً للأمر إلا الله ، ولا متصرفاً في ملكوت السموات والأرض إلا الله ، ولا مستحقاً للعبادة إلا الله ، وأن الأمر كله لله ، وأن الفضل بيد الله ، وهذا هو التوحيد الخالص ، بل أعلى درجات التوحيد نعم إذا أمر الله بتعظيم شخص كما قال تعالى : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا

لآدم) فهذا التعظيم وهذا السجود لآدم بسبب أمر الله به عبادة لله تعالى لا لآدم ، وإذا أمر بتعظيم الكعبة والطواف حول البيت فالتعظيم والعبادة لله لا للأحجار ، واذا أمر بتعظيم حرم رسول الله وروضته المقدسة وروضات آله بقوله تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) فهذا تعظيم لله ، لا للروضة ، وإذ ورد في الحديث الصحيح المروي عن طريق الفريقين أن رسول الله (ص) قال : (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) فأن عمل أحد المسلمين بالأحتياط وإمتنع عن السجود على السجاجيد لعدم صدق الأرض عليها ، وأخذ قطعة من الأرض ووضعها على السجادة وسجد عليها لأنها من جملة ما يصدق عليه اسم الأرض إمتثالا لأمر رسول الله (ص) فهو مسلم محتاط في دينه ومطيع لله ورسوله ، بسجوده على تلك القطعة من الأرض وليس ساجداً للحجر والأرض ، حتى يكون مشركا ، والركن الثاني ، للأسلام كلمة (أشهد ان محمداً رسول الله) ويقصد بها الشيعي أنه يعتقد مخلصاً من كل قلبه أن محمداً صلى الله عليه وآله هو رسول الله الذي أرسله الى الناس كافة ليبلغهم رسالة ربهم ، فبلغ عليه الصلوة والسلام رسالة ربه ، ولم يكتم منها حرفاً ، ولم يدخر وسعاً في هداية أمته الى سبيل الفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة ، ولم يترك شيئاً يقرب الى الجنة ويبعد عن النار إلا أمر به ، ولم يدع شيئاً يقرب الى النار ويبعد عن الجنة إلا نهى عنه ، فاستحق بذلك أجر الرسالة المقرر بقوله تعالى : (قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) ولا

يكمل إسلام المرء إلا بأدائه أجر الرسالة ، ومن لوازم الأيمان برسالته (ص) الأعتقاد بأن السعادة كل السعادة في طاعته ، وأن الشقاء كل الشقاء في مخالفته ، من أطاعه فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله ، وأنه لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، فلا يأمر إلا بما أمر الله به ، ولا ينهى الا عما نهى الله عنه ، ويجب أن لا يقدم على قوله (ص) قول أحد مهما ترسخ قدمه في العلم ، ويعلى كعبه في التقوى ، ويلزم ان يكون أحب الى كل مسلم من ولده ووالده والناس اجمعين ونفسه التي بين جنبيه والا لم يكن مؤمناً .

أيها العلماء الزملاء والفضلاء ، سمعت في بلدكم قائلا يقول :

« ان كان الحق يثير عليك العامة فاكتمه) وقال الله تعالى: (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ، فأولئك أتوب عليهم ، وأنا التواب الرحيم) وقال تعالى : (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (اذا ظهرت البدع فعلى العالم ان يظهر علمه والا فعليه لعنة الله وملائكته ورسله والناس اجمعين) أخبروني : متى يتعلم العامة ان كتمنا الحق عنهم واحتجبناه دونهم واخفيناه عليهم وما أدري أأنتم قادة العامة . أم العامة قادتكم أأنتم مرشدوا العامة

أم العامة مرشدوكم، أأنتم مرجع العامة أم العامة مرجعكم، ولو أنكم تعاونتم على إعلاء كلمة الحق، وكنتم يداً واحدة ورأياً واحداً لم تجد العامة بداً من النزول على حكمكم، والاهتداء بهديكم، ولكنكم تخاذلتم وارتبتم واختلفتم، وغفلتم عن وصية ربكم «أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا (فيه) فسلط عليكم من يخيفكم، هل آثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، رضا العامة فلم يصدع بالحق الذي أمر الله أن يصدع به؟ وهل حرص على رضا الناس فكتم ما أمره الله أن يبلغه؟ وماذا عمل بقول الله تعالى: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» نبئوني بعلم إن كنتم صادقين، وهل كان الناس الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلا عامة أميين بشهادة القرآن الكريم، قال الله تعالى: «هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين». فلو أنه (ص) خاف ثورتهم أو رهب جانبهم، أو أشفق من تنكرهم وإعراضهم عنه، للبث الحق مكتوما إلى يوم يبعثون أم تريدون أن يظل الحق خفيا على الناس جميعاً الا فريقاً من العلماء كما كانوا يصنعون الكهنة القدماء يوم كانوا يعرفون الحق، ولكنهم كانوا يخزنونه على العامة، ليظلوا في غيهم يعمهون، ولينعموا هم بما كانوا يقدمونه لهم من القربان والنذور، وثمرات النخيل والأعناب، وما ذرء الله من الحرث والأنعام، والأصفر الرنان، فتمتلىء به جيوبهم، وتخصب به

جنبات دورهم ، ويملكون به الضياع ، ويشيدون به القصور ، وينعمون في ظلال الثراء ، والناس عنهم غافلون ، ألم يقل لكم ربكم (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) فما لكم لا تتأسون بنبيكم (ص) في شجاعته ومضاء عزيمته ، وقوة جنانه وصدق ايمانه ومتانة يقينه وزهده واقدامه . وحرصه على اعلان الحق . ولو كره المبطلون . أيها الأعلام . اعلموا أن محاربة اللادينية مع الدين قديمة جداً . فلقد سبق أن حاربت اللادينية الدين الموسوي . والدين العيسوي . وتغلبت عليهما لكثرة نقاط الضعف الموجودة فيهما بسبب التحريف الواقع في التوراة . وفي الأنجيل ولأمور خرافية لا يقبلها العقل قد دست في تعاليمهما . فاغترت اللادينية وهاجمت الأسلام أيضاً وسرعان ما غلبت على أمرها تجاه القرآن المصون من كل تحريف . وتجاه تعاليم الأسلام المحكمة والمرتكزة على العقل . والفطرة والطبيعة . فأضطرت اللادينية والتجأت الى فكرة شيطانية تتلخص في انصراف اللادينية عن التعرض والأعتراض على القرآن وتعاليم الأسلام وأعلنت في الغرب أن الأسلام عبارة عن أعمال المسلمين ـ وكانوا يعلمون جيداً (أن الأسلام شيء ، وأعمال المسلمين شيء آخر) و(أن الأسلام محجوب بالمسلمين) ـ وشرحوا للغرب أعمال المسلمين من الكذب والظلم وشرب الخمر والقمار ورذائل الأخلاق وشوهوا بذلك سمعة الأسلام في الغرب وفي العالم الغير الاسلامي ولما رأت أن هذه المغالطة لا تؤثر في الأمم الأسلامية بسبب وجود القرآن الكريم والتعاليم الأسلامية في أيديهم دبرت فكرة شيطانية أخرى للعالم

الأسلامي ، محورها وسوسة المسلمين عامة ، والنشء الأسلامي خاصة ، بأن علماء المسلمين الذين هم الوسائط بينكم وبين شارع الأسلام ، وهم حراس الأسلام ، ونواب النبي (ص) والأئمة (ع) وأنهم أعرف المسلمين بحقيقة الأسلام فيلزمهم الألتزام بالعمل بتعاليم الأسلام بدقة فائقة لو علموا أن الأسلام حق وصدق ، ولكنهم (يعني العلماء السوء) في حالة تشاهدونها من إقبالهم الى الدنيا وزخارفها ، وعدم مبالاتهم بالآخرة ، وعدم إكتراثهم بأحوال المسلمين .

فاتخذت اللادينية من أعمال العلماء السوء غير الربانيين وسيلة الى صرف المسلمين عن دينهم الأسلام ، ولقد نجحت اللادينية بهذا التدبير الشيطاني في البلاد الأسلامية أيضاً كما نجحت بالفكرة الشيطانية المار ذكرها في الغرب وأوربا ، فهل أنتم منتبهون .فيجب علينا جميعاً أن نلتزم بتطبيق اعمالنا على أقوالنا المطابقة للدين ، لكي لا يكذب الفعل القول ، وهذه حقيقة التبليغ الواجب علينا ، وإذا قيض الله تعالى مصلحاً شجاعاً يدفعه صدق إيمانه ، وقوة يقينه وبرهانه ، الى ان يصدع بأمر الله ، ويجهر بكلمة الحق ، ويوحد كلمة المسلمين ، ويعيد لهم مجدهم السابق ، والأخاء الأسلامي ، وتعاظم الناس ما قال ، فجاؤوكم يستفتونكم في أمره ، فيجب أن لا ترتعد فرائصكم جبناً وفرقاً ، وأن لا تكتموا الحق ، ولا تحملوا على المصلح حملة شعواء ، إبتغاء مرضاة العامة ، ونزولا على حكمهم ، وإعلموا أيها الأعلام أن كلامي هذا نداء عام الى المسلمين وعلمائهم ، وفي الوقت ذاته أعترف بأنكم أقمار

العلم ، وشموس الفضيلة وحملة مشعل التوحيد ، وأنصار الحق ، وأعلام النهضة ، ومن المخلصين للدين الذين بمؤازرتهم تتقدم الأعمال ، وتتقوم الآمال ، وتشاد صروح الأيمان ، ومجد الأوطان ، وغير خفي عليكم أن المسلمين إنتهوا في عصورهم الأخيرة الى حالة تفتت أفلاذ الصخور ، فما ترى فرقة من فرق الأسلام إلا وهي مكفرة لغيرها ، وقد استغل المبشرون ، وأبالسة الألحاد هذه الثغور المفتحة أمامهم فنفذوا منها الى القلب ودخلوا على المسلمين في حصونهم المنيعة ، فرموهم بمختلف الشظايا ، وغمروهم بكل أنواع الدعايات المذهبية ، وقد نظموا جيشهم على أساس إختلافنا ، واقاموا جماعتهم على أنقاض وحدتنا ، وبقينا حائرين ، نلتمس الخلاص ، ونطلب النجاة ، ولو نجونا من أنفسنا لما خشينا غيرنا ، وقد رأيت كما بينت آنفاً أن سبب الخلاف ليس أمراً ذا بال ، خصوصاً بين الشيعة والسنة ، وإني لا أنادي بألغاء الفروق ، ولا أحاول طمس معالم الفرق ، فليس في مقدور أحد الآن أن يفكر في محوها وإلغائها ، فهذا الجامع الأموي التاريخي أشاهد في حائطه الجنوبي أربعة محاريب ، أحدها للحنفية والثاني للمالكية والثالث للشافعية والرابع للحنبلية وهذه معالم الأختلاف الثابتة ، فهل من المقدور توحيدها ؟ ولكني أريد أن يمد كل منهما يده الى الآخر كأخوين لا يتقي أحدهما الآخر على أساس أن لكل مسلم ، ثم لكل إنسان بعد ذلك مذهبه ما دام لا يضر الآخرين ، وأريد أن يتحرر الناس من قيود الاحقاد القديمة ، وأن يحسنوا المعاملة والمجاملة فيما بينهم ، وفي مقدور كل منهم أن

يبين لأخيه وجه الصواب إن كان على خطأ ، أو الحق إن كان على الباطل وضرورة العقل تحكم بأنه اذا كان أحد الأخوين على خطأ وجب على أخيه أن ينهض له بالنصح لا بالحرب، فعندما تصفوا القلوب، ويتوفر حسن النية ، يصبح التفاهم ميسوراً ، والنجاح مقدوراً بهذا أمر الاسلام ، وبهذا تقضي ضرورة العصر ، وبهذا تقوم الحياة في الشرق ، وبهذا أيضاً يتسم النصر من جديد ، ولما كانت الأقاويل التي ينسب كثير منها الى الشيعة غير صحيح ، فقد أردت بهذه البيانات أن أجمل شيئاً منها لايضاح أن هذه الأقاويل لا تصور الحقيقة وأنها لا تزيد على الخلافات المذهبية العادية وأردت أن يعرف أهل السنة شيئاً عن أحوال اخوانهم المسلمين في البلاد النائية عنهم ، حتى لايستغرب أمر يحدث مما قد يعرض للانسان اذا رأى ماخالف مذهبه . وهو لا يدري مصدره وحقيقته. مثلا : إنكم تشاهدون الشيعة القاطنين في دمشق يواظبون على اداء فريضة الجمعة وليس ذلك إلا لأنها واجبة في مذهب الشيعة تعيينا في قول وتخييراً بينها وبين الظهر في قول آخر . وقد يلاحظ في بعض بلاد الشيعة لا يؤدونها . ويكتفون بصلوة الظهر . لكونهم من القائلين بالتخيير وللنظرة الأولى يتبادر الى الذهن أن هذا التارك للجمعة مخالف لفريضة هي من أعظم الفرائض وأجلها وبذلك تقع في سوء الظن الذي هو جرثومة الجرائم كلها. فاذا عرفت أنه تركها لأن من شروط وجوبها التعييني حضور الامام المعصوم من أهل البيت عنده تبينت أن تركه للجمعة لم يكن عن عمد أو تقصير، وإنما كان لشبهة مذهبية

قد يوجد مثلها عند غيرهم . ففي أحد القولين عند الحنفيـة إشتراط المصر لصلوة الجمعة . وقد يتركها الحنفي بناء على هذا الرأي من مذهبه فلا يعـد مقصراً .

فليعلم المسلمون أن هنالك شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . تلك الشجرة هي الأسلام . وغارسها محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهم جميعاً مهما إختلفوا فروع هذه الشجرة فاذا تفرقت الفروع صوحت بها العواصف حتى تسقط الأوراق والأزهار فليس للدين الأسلامي غاية في هذه الدنيا سوى المحبة التي يدركون بها رضوان الله في دار الآخرة لتكون هذه المحبة وسيلة طبيعيـة لأتحاد المسلمين وجمع كلمتهم . ولما كان شأن رجال الدين يقف بهم على ذروة المراقبة والنظر فيما يضمن لكافة شعوب المسلمين ركني حياتها المادي والروحي وثمرات تلك الحياة الصالحة . وثمراتها اليانعة والعمل على ما يداوي عللها . ويسد خللها . ويمنع زللها . وبصعـد بها عارجاً في مراقي الكمال الأسلامي وفضائل الأنسانية كي لا تطغى عليها المادة فتغرقها في ضلالها عن خالقها وتجمع بها النزوات والنزعات في شهواتها فتنسيها أماناتها وواجباتها وأخلاقها واتحادها فترجع القهقري من حيث تظن التقدم وترسب في حضيض الرذيلة من حيث تبغي السمو فرأينا من أهم واجبنا الديني زيارة الأقطار العربية . والعواصم الأسلامية فتحملنا مشاق السفر الطويل وزرنا مصر . وفلسطين . وشرق الاردن . ولبنان . والهند . وايران وغيرها وفاوضنا زعمائها وعلمائها وملوكها وامرائها واهـل الحل

والعقد فيها ولقينا من الجميع حفاوة بالغة في الأقطار العربية والأسلامية التي دانت برسالتنا الأصلاحية حول الوحدة والوئام، وضد التفرق والأنقسام وأجابت دعوتنا الى التقارب والسلام ، وقد تقاربت وجوه النظر بين الطوائف الأسلامية من السنة والشيعة بفضل مساعينا وكان من نتائج هذا التقارب التشريعات الحديثة التي صدرت في مصر بشأن الأحوال الشخصية وقد استنبطت من مذاهب إسلامية متعددة ومنها مذهب الشيعة الأمامية وهذا الأستنباط هو في الواقع اجتهاد فتحت الشيعة بابه واحتفلت مشيخة الازهر تكريماً لنا فقالت الصحف المصرية :

إن هذه هي المرة الأولى بعد أكثر من ألف سنة التي تجتمع فيها كبار العلماء السنيين برآسة أكبر زعيم ديني وهو شيخ الأزهر لتكريم عالم الشيعة ، معترفين بأن مذهب الشيعة الأمامية أحد المذاهب الأسلاميـة ، ومن هذا يتضح لكم مدى نجاحنا في جمع كلمة المسلمين وتقريب وجهات أنظارهم وتثبيت كيان الشيعة الأمامية ، واعتراف طوائف المسلمين وعلمائهم بهذا المذهب الاسلامي بالقول والعمل تمهيداً للوحدة الاسلامية ، بعد أن عرفناهم أن الأختلاف بين الشيعة وبين السنة لا تزيد على إختلاف طوائف السنة بعضها مع بعض ، فقد قال الشافعي ومن وافقه : أن (بسم الله الرحمن الرحيم) آية من الفاتحة ، ومن اول كل سورة كتبت فيها ، وقال مالك : أنها ليست آية من الفاتحة ولا من اوائل السور .

واما الحنفية فحكموا بأنها آية من القرآن تامة في غير سورة النمل ،

أنزلت للفصل بين السور ، ولكنها ليست آية من الفاتحة ، وذهب مالك الى منع قرائتها في الصلوة المكتوبة جهراً كانت أو سراً ، لا في استفتاح أم القرآن ، ولا في غيرها من السور ، وأجاز قرائتها في النافلة ، وقال ابو حنيفة يقرؤها سراً مع ام القرآن في كل ركعة ، وروي عنه أنه يقرؤها في الاولى فقط ، وقال الشافعي وأحمد : يقرؤها وجوباً : في الجهر جهراً ، وفي السر سراً ، ولم يكفر بعضهم بعضاً بأنه إختلاف في القرآن ، واختلاف في أجزاء الصلوة وهي عمود الدين ، لعدم سوء الظن بينهم ، مثل مايوجد بينهم وبين الشيعة ، ولكن الشيعة الأمامية تحسن الظن بكافة المذاهب الأسلامية عامة ، وتقدر الأمة السورية الاسلامية خاصة ، لأن إمام الشيعة امير المؤمنين ، علي بن ابيطالب (ع) الذي إعترف الشرق والغرب بعظمته ، حتى إعترف بها عدو الأديان الأكبر (الدكتور شبلي شميل) وقال ما نصه : .

(الأمام علي إبن أبي طالب ، عظيم العظماء ، نسخة مفردة ، لم ير لها الشرق ولا الغرب صورة طبق الأصل ، لا قديماً ، ولا حديثاً) قال (ع) في أهل الشام كلمة سيرددها الدهر الى الأبد ، مفخرة عظمى للأمة السورية الكريمة ، وهذا نصها في نهج البلاغة : (لوددت لو أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم ، فأخذ مني عشرة منكم ، وأعطاني رجلا منهم .) .

لكن في بعض العواصم الأسلامية العربية سمعتهم يقولون لى : إن التفاهم الذي حصلتموه مع مختلف طوائف المسلمين في هذه البلاد . لا يمكن

حصوله لكم في دمشق الشام لأن أهل دمشق أمويون يحبون بني أمية ولا يخلصون لآل محمد رسول الله (ص) وأنتم الشيعة تحبون آل بيت النبي (ص) وتكرهون أعدائهم . فالطرفان على طرفي نقيض . وإني إستغربت منهم ذلك وقلت لهم : (نحن نعتقد أن أهالى دمشق وسوريا من خيرة المسلمين وكل مسلم يتلوا القرآن الكريم . الذي ينص بأن مودة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم . أجر رسالته . قال الله تعالى : (قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) ولا أعتقد أن لا يؤدي المسلم أجر الرسالة . فشاء الله أن أقف في هذا الموقف وأطالبكم امام هذا الحشد العظيم بأجر الرسالة ، فأن أديتموها حالا فأني أستطيع أن أعلن ذلك بصوتي الضعيف الذي يصل المشرق والمغرب بفضل الله تعالى ، وأزيل هذه الوصمة المشينة عن بلادكم ، وإن تنكرت لي طائفة منكم ، فأن عذرها واضح ، إذ لم يطرق أسماعها هذا الكلام من قبل ، ولم يدعها أحد الى ما دعوتها اليه ، قد سمعت كلاما غير مألوف لم تسمعه من أب ولا جد ، وإني أضطر إزاء تنكرها الى أن أقترح من العالم الأسلامي تنقيص عددها عن اربعمأة مليون مسلم وحذفها عن سجلات المسلمين ، (أيها الناس) أجيبوا داعي الله وأغتنموا هذا الموقف التاريخي . وإعلموا أن لخطابي هذا مدلولا بليغاً يتصل بالتاريخ ويتصل بأعظم مدنية آلهية ازدهرت بواسطة الرسول الأعظم في الشرق العربي . وإمتد نورها الى العالم أجمع . وصارت مصدراً لمدنيات أخرى نراها اليوم . (سكت الأمام الزنجاني وأجال بصره على الألوف المحتشدة

مترقباً منهم الأجابة أو الرفض ، فوقف العلامة المجاهد الشيخ بهجة البيطار فتكلم كلاما بليغاً استدر الدموع أثنى فيه على الأمام الزنجاني ونعته برسول الوحدة الأسلامية وقال إن سوريا تخلص بآل الرسول وتودهم ولم تقصر في أداء أجر الرسالة ولا تعرف معنى للتفرقة بين المذاهب الاسلامية الخمسة وتبتهج بأعلان الوحدة الأسلامية على ضوء إرشاد الأمام الزنجاني وطلب من الحاضرين أن يؤيدونه بأداء أجر الرسالة وتأييد الوحدة الأسلامية فتجاوبت الأصوات العالية من جميع جهات الجامع بأعلان الأجابة والقبول لأقتراح الأمام الزنجاني وطلبوا من الأمام أن يسمح لهم بأن يقبلوا يده الشريفة وتزاحموا بالمناكب يصافح العلماء الأمام الزنجاني ويشكرونه على جهاده الجبار ومساعيه الحسنة . وعمله المبرور ثم يشكرون الأستاذ البيطار لأنه عبر عن آرائهم أحسن تعبير . وقبل الناس من مختلف الطبقات يده معلنين له قبولهم لأرشاده وولائهم لآل الرسول (ص) وشيعتهم فرحين على إهتدائهم بنور علمه مثنين على جهوده هاتفين بحياته ولرسالته) .

ثم طلب منهم الأمام الزنجاني أن يجلسوا في إماكنهم ويستمعون الى بقية خطابه . فأطاعوا أمره وعادوا جميعاً وجلسوا وأنصتوا : فأستأنف الأمام الزنجاني وشكر جميع الحاضرين على أدائهم أجر الرسالة وتفنيدهم إفتراءات الجاهلين ثم قال : غير خفي على كل أحد أن أجر رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله يجب أن يكون خالصاً لا يشوبه غش أصلا لكي يليق يليق بمقامه السامي لوضوح أن العملة المزيفة لا تروج في الأسواق فأسمحوا

لي أن أشرح لكم هذا الموضوع . قال الله تعالى : (قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) وروي في الصحيحين والامام أحمد في مسنده . والثعلبي في تفسيره ، عن ابن عباس رضي الله عنه : قالوا : يارسول الله ، من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال (ص) : (علي ، وفاطمة ، وإبناهما) فعلم أن مودة علي وفاطمة وإبنيهما الحسن والحسين ، هي أجر الرسالة ، ومن كان في قلبه مودة الحسين ابن فاطمة بنت محمد يجب أن يتبرء من شمر قاتل الحسين (ع) (وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) فمودة الحسين لا تجتمع مع إعذار قاتله وعدم البراءة من شنيع فعله وتعليل ذلك بأن قاتله إجتهد وأخطاه في رأيه ، وتصير مودة مزيفة لا تليق أن تكون أجراً للرسالة ، فيجب عليكم البراءة من قاتل الحسين (ع) ولعن قاتله ، لكي تصفوا مودتكم ، (وسكت الأمام الزنجاني ، وأجال ببصره نحو القوم كأنه يطلب اليهم أن يتبرؤا عن قاتل الحسين وأن يلعنوه ، فعلت أصواتهم بالبراءة من قاتل الحسين واللعن عليه) فقال الأمام الزنجاني : وكذلك يجب عليكم أن تتبرأوا ممن أمر شمراً بقتل الحسين (ع) وهو عبيدالله بن زياد الوالي على الكوفة ، فتنادوا باللعن والتبري (بأصوات عالية) ثم قال الأمام الزنجاني إن التاريخ سجل كتاباً لعبيد الله ابن زياد ، هذا نصه :

« ياحسين بلغني نزولك بكربلاء وقد كتب إلي أمير المؤمنين يزيد أن لا أتوسد الوثير ، ولا أشبع من الخمير ، حتى ألحقك باللطيف الخبير ،

أو تنزل على حكمي وحكم يزيد » فلا تصفوا مودتكم للحسين إلا بالبراءة عن يزيد أيضاً (فتبرأوا منه أيضاً بعد تريث وتردد) .

ثم قال الأمام الزنجاني : يجب على كل مسلم في السيرة الحالية ، أن يفهم دينه من طريق المنطق ، وأن لا يترك للعاطفة مجالا في صفوف المنطق ، ولا صعوبة للطبقات المستنيرة في ذلك ، لمعرفتهم أن تقوية الشعور الديني إنما تكون بأعزاز مركز الدين أمام البحث العلمي والتفكير الحر ، وتيارات التقدم العقلي ، وتأييده تأييداً يقوم على إحترام العقل ، وإعطائه حقه الكامل في البحث النزيه ، إلتماساً للمعرفة فيعتمد هذا التأييد على مقابلة الدليل بالدليل ، وعلى الأقناع بطرق الأقناع الصحيحة ، مع البعد عن الوسائل الأرهابية ، والتضليل ، وعن الأرتكاز الى السلطة الروحية المستبدة ، وتحديد ما بين العلم التجريبي وبعض تعاليم الأسلام من خلاف ، والتصدي لحسمه على أساس حب الحقيقة ، والحرص عليها ، في لباقة لا تدع ما ينسب الى الدين يجهر بما يخالف المحسوس المشاهد ، ولا تدع العلم يدعي لنفسه بلوغ الكمال ، والحال أن ما أكتشف بالأمس ينقضه إكتشاف اليوم ، وأما الطبقات العامة ، فيجب عليها الأبتعاد عن الجمود ، فان الجمود يؤدي الى الجحود ، وإن الأوهام التي ما أنزل الله عليها من سلطان ، لا نظنها تتسلط الى الأبد على عقول الناس ، فأن العلم والدليل يزعزعها ، وإن كانت متأصلة في الأجيال ، والزمان والحق يهدمها وان كانت راسخة كالجبال وإننا نرغب اليكم بذلك علماً بمسيس الحاجة . وضرورة إستبقاء

هذا الرمق الأخير من حياة الأسلام والمسلمين . والرجاء أن لا تأخذوا كلامي على غير مأخذه . ولا تحملوه على غير محمله .

إخواني : أجد شايعاً في بلدكم هذه الكلمة : (سيدنا معاوية) وأنتم أمة عربية . وبالتحليل تنقلب هذه الكلمة الى كلمة (سيد العرب معاوية) وهذا اللقب العظيم . إما منحة إلهية منحه إياه رسول الله (ص) . وإما منحة تاريخية . و (الأول) تنفية السنة النبوية . فلقد ورد في الحديث عن أنس قال : قال النبي (ص) : « من سيد العرب ؟ قالوا : أنت يارسول الله (ص) . قال (ص) : « أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب) وعن عائشة أم المؤمنين عن النبي (ص) أنه (ص) قال : (أدعوا لي سيد العرب علياً) قلت له : أو لست أنت سيد العرب يارسول الله ؟ قال (ص) « أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب » وروى ابو نعيم الحافظ قال : قال النبي (ص) أدعوا لي سيد العرب علياً . فظهر أن لقب سيد العرب في الأسلام منحة إلهية مخصوصة بعلي ابن ابي طالب (ع) لا لمعاوية و (الثاني) ينفيه التاريخ وتوضيح ذلك ما ذكره في خطط الشام : الجزء الأول الصفحة ٣٧ من أن معاوية إغتنم الفرصة السانحة في مقتل عثمان ليعيد الأمر الى بني أمية ، ويصبحوا أمراء في الأسلام ، كما كانوا أمراء في الجاهلية ، وأخرج معاوية الخلافة عن اصولها ، وكانت بالعهد لأفضل الصحابة ، اوبالشورى بينهم لمن يقع إختيارهم عليه ، وجعلها كالملك يورثها الأب لأبنه اومن يعهد بها اليه من خاصته ، او كسروية ، او قيصرية

على سنة كسرى وقيصر كما قالوا ، وآثر ابنه يزيد بالتعهد دون من سواه ، وبذلك نقم على معاوية كثير من الصحابة والتابعين الأنصار والمهاجرين ، وكان ممن مالاء معاوية على تحقيق رغائبه ، عمرو بن العاص ، قريبه وعامله على مصر ، والمغيرة ابن شعبة عامله على الكوفة ، وهما الداهيتان اللذان قال فيهما الحسن البصري : إنهما أفسدا أمر هذه الأمة ، لأحتيال الأول برفع المصاحف يوم صفين ، وتقرير التحكيم ، ولأن الثاني كان من الداعين لأخذ البيعة ليزيد ، وإستلحق زياد بن ابيه بأبي سفيان بحجة أن أبا سفيان كان احد الخمسة الزانين بأمه وجعله أخاً لنفسه ، خلافاً لقول رسول الله (ص) (الولد للفراش وللعاهر الحجر) لغرض الأستعانة من دهائه في استخلافه إبنه يزيد ، فأنكرته الأمة العربية الكريمة التي تحافظ على أنساب الفرس ، وأبت أن يكون في أمرائها مجهول النسب وولد الزنا ، فأغضب إستنكارهم زياداً ، وألف كتاب (مثالب العرب) إنتقاماً من العرب ، ونسب فيه كل ذميمة الى العرب ، كما ذكره الآلوسي في كتاب (بلوغ الأرب) وذكره ايضاً في (كتاب سر إنحلال الأمة الأسلامية) وكذلك في (تاريخ الفتح الأسلامي) وبعد ترجمة مثالب العرب الى الألسنة الغربية ، أخذ الغربيون يعيرون العرب بأنهم رجال أقوال لا رجال أعمال ، وبأنهم ثرثارون لا فعالون ، وبأنهم يملئون العالم جعجعة ولا يخرجون له طحناً ، وبأنهم دائماً في عالم الخيال يسبحون ، في حين أنهم عن الحقائق غافلون ، وقالوا : (لم يكن في العالم قوة لا مادية ولا معنوية ولا أدبية حتى تعارض الأسلام

في القرنين السادس والسابع الميلادي « القرن الأول والثاني الهجري »
فلولا تنافس أمراء المسلمين العرب ، والحرب الداخلي ، كان الأسلام
يستوعب الغرب ، لأن الدين السائد كان الوثنية ، وقليل اعتنق النصرانية
ولم يكن راسخاً فيهم ، ولكن التعصب والتنافس طبيعي في العرب حتى الآن
وهذا منع الأسلام عن الأنتشار العام ، وأوجب زوال العباسيين من
العراق ، والأمويين من الشام ومن الأندلس ، والفاطميين من مصر ،
بسبب التنافس بين أمراء العرب ، وهذه الفضايح للعرب بعض آثار كتاب
مثالب العرب تأليف زياد ابن أبيه ، وكان سبب تأليفه معاوية لأنه إدعى
أن زياد أبن ابي سفيان ، وأخو معاوية ، فأنشدكم بالله ، أليس لقب « عدو
العرب » أجدر بزياد ابن أبيه مؤلف مثالب العرب ، وبمعاوية ابن ابي سفيان
السبب الباعث لتأليف مثالب العرب ، من لقب (سيد العرب ؟) وأزيدكم على
هذا أن سيد العرب يجب أن يكون عربياً لا رومياً ، وقد ذكر جمع من المؤرخين
ومنهم الهيثم ابن عدي ، أن أبا عمرو إبن أمية كان عبداً لأمية إسمه
« ذكوان » فأستلحقه ، ونقل ابو الفرج الأصبهاني ـ وهو من الأمويين ـ
ما تقدم فلم يتعرض له بنقد ، واليه ينتهي نسب معاوية ، وقد بذل معاوية
جهوداً كثيرة في سبيل تصحيح نسبه فلم يفلح ، ويدل عليه صريحاً كلام
الصادق الأمين أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه الصلوة والسلام ،
في كتاب له عليه السلام الى معاوية جواباً عن كتاب منه اليه ، وهذا نصه :
وأما قولك « إنا بنو عبد مناف » فكذلك نحن ، ولكن ليس أمية

كهاشم ، ولا حرب كعبدالمطلب ، ولا أبو سفيان كأبي طالب ، ولا المهاجر كالطليق ، ولا الصريح كاللصيق ، ولا المحق كالمبطل ، ولا المؤمن كالمدغل ولبئس الخلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم » .

والصريح : صحيح النسب في ذوي الحسب ، واللصيق : من ينتمي اليهم وهو أجنبي عنهم ، وهذا نص صريح في الأستلحاق الذي تقدم ، والذي أراد معاوية تغطيته بالتمويه لكي يتخلص من عاره ، فصارحه أمير المؤمنين « ع » بالحقيقة المكشوفة ، ولهذه الغاية أيضاً أمر يزيد ابن معاوية عامله في المدينة بان يأخذ البيعة له من الأمام زين العابدين علي ابن الحسين بهذه العبارة « بايعت ابن عمي يزيداً » . إخواني : إن معاوية قد بذل جهوداً عظيمة وتدابير عميقة مدة أربعين سنة ، في بلدكم هذا واستعمل العاملين القويين ، السيف والدينار ، والرغبة والرهبـة ، والدهاء ، في توطيد دعائم الملك الأموي ، وتشييد عرش الأمويين ، وإعطائهم صولجان الملك وتاج الخلافة ، بكم الأفواه ، وعقل الألسن ، وإرجاف القلوب ، ومشق الحسام لضرب الهام على أقل كلام فحـدثت بدع وشاعت أوهام ما أنزل الله عليها من سلطان فأدى ذلك الى تعطيل الشعائر الدينية وقلب حقائق الأسلام الأصلية . والفرعية . والجوهرية . والعرضية . بل إلى محو تعاليم الأسلام . وزوالها عن عالم الوجود وتبديلها بالقوانين السياسية حتى في عاصمة المسلمين وفي أقدس بقاع العالم فأقبلت الأمة الأسلامية على عهد تراكمت فيه حنادس الظلام وانقلب في عقل المسلم وضع الدين ،

وتغير في مداركه طبعه، وتبدلت في فهمه حقيقته، وانطمست في نظره طريقته، وحق فيه قول أمير المؤمنين علي عليه السلام «إن هؤلاء القوم قد لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوباً» وكان غرض معاوية من ذلك كله خلافة يزيد، وكانت النتيجة من خلافة يزيد قتله الحسين ابن فاطمة بنت محمد رسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولما قرره العقل والفلسفة، من أن «وجود الكائن يستند الى أسبق عاله» فقتل الحسين «ع» مستند في الواقع الى معاوية، لأنه أوجد حوادث كان يتطلب منطق تلك الحوادث في ذاك العصر المكافحة الجبارة، والتضحية البليغة لأعادة الاسلام الى محوره الحقيقي، وتثبيت قواعده الحقة من جديد، وحماية بيضة الأسلام من أن تمتد اليها يد عدو لا يرعى فيها عهداً، ولا تأخذه بها رأفة فأضطر الحسين عليه السلام في تلك الظروف العصيبة الى حماية شريعة جده سيد المرسلين ﴿ص﴾ وحفظها من الأضمحلال، وقام بأعمال تاريخية تحار فيها الأفكار، ووقف موقفاً ما حدثنا التاريخ بمثله، ولا سمع الدهر بنظيره وأدى ماعليه من النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين وأدى وديعة الحق وأمانة الصدق والأنتصار للحقيقة وازهاق الباطل ونهض ﴿ع﴾ نهضته التاريخية الخالدة فبعث بها الحياة الخالدة الى نفوس الأمم الأسلامية والعربية جيلا بعد جيل الى آخر الدنيا ونفث بأرادته الآلهية روح الأيمان والقوة في إرادة هذه الأمم فهي مدينة له ﴿ع﴾ مدى الدهر بالشعور بوجودها وكرامتها الدينية والدنيوية وبحقها في الحياة العزيزة بعزة الله فجدير بها أن

تسجل نهضة الحسين التاريخية بمداد من النور الخالد. أنشدكم بالله هل من
الجدير ببلدة إسلامية كدمشق أن يجعل فيها يوم شهادة الحسين عليه السلام
عيداً؟ ويطلق عليه إسم « عيد رأس السنة الهجرية » وأن يستمر فرح
العيد من أول محرم الى العاشر منه ﴿ عاشوراء ﴾ ﴿ أ للهم إن يوم عاشوراء
يوم تبركت به بنو أمية وإبن آكلة الاكباد ﴾ أهكذا يؤدى أجر الرسالة؟
مع العلم بأن في موقف الحسين يوم عاشوراء قابل الحق كله الباطل كله
ولما قتل ولده وإخوته وأهل بيته وبقي وحيداً فريداً نادى بأعلى صوته
﴿ هل من ناصر ينصرنا؟ هل من ذاب عن حرم الرسول ﴿ ص ﴾ فهز
صوته الأمم والحكومات والأجيال كلها هزاً قوياً إعجازياً لأنه كان صوت
ضميره ونواته في تربة هي في أعماق إحساسه الرباني الأسلامي الأنساني
فكان في صوته بعض نفسه القدسية الكبيرة الفياضة القوية الجبارة التي
كأنها مولد كهربائي عظيم يبعث الحرارة والنور والقوة والنشاط الديني في
القلوب أو كأنها قوة مغناطيسية عظيمة تجذب إلى مركزها قلوب العالمين
ومشاعر الأجيال إلى يوم القيامة فلا يستطيعون عنها تحويلا. نعم صرخ
الحسين ﴿ ع ﴾ صرخته الداوية على وجه الظلم والطغيان والنفاق والكفر
معلناً أن الحق يعلو ولا يعلى عليه وأظهر للعالم الأسلامي سر قول
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « حسين مني وأنا من حسين » لأن
سيد شباب أهل الجنة « الحسين ع » أسس بنهضته بنياناً مرصوصاً لميثاق
الله العظيم الذي أوحي الى جده الرسول الأعظم والذي ترتكز عليه آمال

الأنسانية وتبعث منه الحقائق الكاشفة عن المثل الأعلى للكمال والمترجمة عن جلال الجمال النفسي الخالد المنبعث عن الذات في حدود الذات . وسيردد الدهر الى الأبد نشيد الحسين الآلهي الذي اهتدت وتهتدي به الأمم حتى تقوم دولة الحق على وجه الأرض بأمر الله فسلام الله على الحسين سيد الشهداء والمثل الأعلى للأمام الهاشمي المحمدي العلوي الفاطمي المصلح المجاهد في سبيل الدين واحياء شريعة جده سيد المرسلين « ص » والخير العام . والسلام على عباد الله الذين اصطفى والحمد لله رب العالمين .

اخواني : ربما يخطر في أذهان بعضكم أن معاوية كان يظهر عصبية للعروبة . وهذا ينافي كونه دخيلا على العرب ولصيقاً بهم . والجواب أن من تتبع ضوء التاريخ يرى بوضوح أن معاوية وسائر عتاة أمية لم يقوموا في وجه الهاشميين ليؤسسوا دولة اسلامية ولكنهم قاموا ليعفوا كل أثر يشير الى محمد « ص » بالعظمة والتخليد . فلم يكن ليشبعهم ملك يرجعون في تشييده الى تعظيم محمد « ص » ونفس الأموي كانت أكبر وأبعد من أن تقر لهاشم بالفضل على أمية ولذلك كان في صميم العزم القائم في نفوسهم أن ينشئوا ملكا لا يرجعون بشيء منه الى هاشم . فكان من الطبيعي أن يمحقوا كلمة الأسلام لأنه وليد محمد الهاشمي ولذلك استهتروا بالدين واستباحوا حرمته . ثم أباحوها للشعوبية . وعمدوا الى أقوى دعامة يقوم عليها الأسلام فهدموها ألا وهي نبذ العصبية على العجم والاحتفاظ بالمادة العليا من القانون الآلهي القائلة « ان أكرمكم عند الله أتقاكم »

نعم عمدوا الى قتل هذه الروح التي حاول محمد «ص» ـ بأمر الله تعالى ـ ان يوحد بها العالم تحت لواء العدل الأنساني . لغة . وخلقاً . وعقيدة . حاول معاوية والأمويون من وراء عصبيتهم للعروبة هدم الاسلام وانشاء دين جديد وبالاحرى ملك جديد ينتمي الى امية لا إلى هاشم ولذلك كان ملوكهم يتذمرون اذ يسمعون ذكر محمد «ص» على لسان المؤذن خمس مرات كل يوم ولذلك اصبحت شهادة الحسين «ع» حادثة ليس في طوق الزمن ان يسجلها لبطل انقذ ديناً وامة من الفناء بما ضحى في سبيلها من دم . ان الأسلام لولا الحسين «ع» لتلاشى قبل ان يمر به قرن . فمصلحة الأسلام والمسلمين تقضي بضرورة تعزيز المواكب العزائية ايام محرم . وتعزيز المجالس التي تعقد لذكرى شهيد الحق حسين ابن علي عليهما السلام فأنها خير وسيلة لتثقيف المسلمين وتهذيبهم . وتعزيز الدين في نفوس اهله وانها مآتم كالمعاهد الثقافية المتنقلة زماناً ومكاناً لا تنفك الأمة عن أن تراها حقاً ولا ينفك الحق عن ان يراها ضرورة للمجتمع . وهذا ما يتطلبه اجر الرسالة اعني مودة الحسين الخالصة والمجردة عن الشوائب . وهذا هو المأمول منكم ان تحبوا الحسين «ع» وان تبرؤا من قاتله ومن الآمر بقتله ومن الممهدين لهم بقتله الذين مر ذكرهم وبذلك ترضون الله ورسوله «ص» وان تساهموا الشيعة في مجالس عزاء الحسين «ع» الذي بذل نفسه لأجل سعادتكم في دار الآخرة . «فسكت الأمام الزنجاني حينما دوت كلمات المودة للحسين «ع» وكلمات البراءة من قاتليه والآمرين بقتله والممهدين

لذلك في افق المسجد الجامع الأموي ، وقد غصت أروقته وصحنه وسائر الأماكن الملحقة به بالجمهور العظيم المحتشد فيه ليسمع جديداً ويرى جديداً وكانت تتلقف هذه الكلمات الألوف المتجمهرة في الأسواق والأزقة المحدقة بالمسجد ، والشرفات المطلة عليه من جواره » وبعد أن هدأت الأصوات ، إستأنف الأمام الزنجاني كلامه ، وشكر الحاضرين لأنهم أعطوا أجر الرسالة كاملا غير منقوص ، ووعدهم أن يحمل رسالة إعجابه بهم وباسلامهم الى العالم الأسلامي على متون الأجواء وغوارب الأرجاء ، وسفير الأثير ، وبريد الأبردين ، ناشراً بها ما توغل في مشاعره ، وتغلغل في جوانحه ، من الاكبار والتقدير لما غمره من عواطفهم وإجابتهم لرسالته الأصلاحية ودعوته الى الوحدة الأسلامية ، ثم قال الأمام الزنجاني :

أيها المسلمون : إن ما شاهدته من حرصكم على معرفة الحقيقة حدا بي الى أن أطوف بكم الى نهاية المطاف ، من الظواهر التي تلفت نظر الباحث في نشأة الأمبراطورية الأسلامية أن رجال الأعمال الذين قاموا بوظائفها في عهدها الأول كانوا من خريجي المدرسة المحمدية في صحراء العرب ، ولم يتعلموا في جامعات ولم يدرسوا نظم السياسة ، ولا فنون الحكم ومع هذا قاموا بأعمالهم خير قيام ، ونجحوا في سياستهم أسمى نجاح ، وما كان إنتصار قادتهم في ميادين الجهاد أروع من إنتصار ساستهم في إدارة شئون البلاد ، وتجلت آيات نجاحهم في مختلف شئون الدولة ، في الرئاسة العامة في ادارة الولايات ، وسياسة الشعوب ، سياسة ثبتت دعائم ملكهم ومدت

في فتوحهم، وجبتهم الى الأمم التي دخلت في سلطانهم، ورأت تلك الأمم من هؤلاء البدويين وعدلهم، وحسن سياستهم، ما لم يروه من ساسة الدولتين العريقتين في النظم والحضارة، دولة الفرس ودولة الرومان، وفي التعليم وبث نور العلم قام المتخصصون من رجاله بنشر العلم بين أفراد الأمة حتى أوجدوا روح التنافس العلمي بين مختلف الأمصار وكانت المدينة ومكة. والكوفة. والبصرة. ومصر. ودمشق. تموج بحركة علمية مثمرة ما لبثت حتى أنجبت عدة من المجتهدين عجزت معاهد التعليم الحاضرة. بمناهجها ونظمها عن أن تنجب منهم واحداً. وفى القضاء. والسياسة المالية وسائر شئون الدولة توجت أعمالهم بالنجاح وهذا النجاح الذي وصل اليه عمال الدولة الاسلامية أول عهدها له أسباب عدة (أولها) حسن اختيار الموظف فقد وضع أساسه القويم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بفعله وبقوله، روي عن ابي ذر الغفاري رضى الله عنه أنه قال: قلت يارسول الله ألا تستعملني، فضرب بيده على منكبي وقال (ص): (ياأبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذ بحقها وأدى الذي عليه فيها، وروى ابو موسى الأشعري، قال دخلت أنا ورجلان من بني عمي على النبي (ص) فقال أحد الرجلين يارسول الله (ص) أمرنا على بعض ما ولاك الله عليه، فقال الرسول (ص): إنا والله لا نولي على هذا العمل أحداً سأله، ولا أحداً حرص عليه، فأعتذر أبو موسى، وقال لم أعلم بما جاء آله، وروي، أن رسول الله (ص) قال: (من قلد

رجلا على جماعة ، وهو يجد في تلك الجماعة من هو أرضى منه ، فقد خان الله وخان رسوله ، وخان المؤمنين ، وذلك لأنه بعمله حرم الجماعة من مزايا أكفئهم ، وربما أدى التمادي هذا الى إماتة الكفاءات فالرسول (ص) عد التعدي على الأكفاء بتعيين من هو دونهم كفاءة ، خيانة لله وللرسول « ص » وللجماعة المؤمنين ، لأن في هذا إضاعة مصالح الأمة ، وإهداراً لكفاية أرباب الكفاءات ، فتضعف العزائم ، وتسوء سمعة الأمة الأدارية ، وتضيع مصالحها ، لهذا كان الرسول « ص » لا يولي عملا إلا من تحقق أنه أحق به ، لكفاءته ، قوة وخلقاً ، وعلى هـذا الأساس في الأختيار سار بعد الرسول « ص » أصحابه ، قال عمر : يوماً لأصحابه ، وهو يستشيرهم في إختيار عامل ، « أريد رجلا اذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم ، واذا كان أميرهم كان كأنه واحد منهم » فقالوا : نرى بهذه الصفة ، الربيع ابن زياد الحارثي ، فنشير به ، فولاه ، فوفق في عمله ، وكان العمال على سياسة الخليفة ، في إختيار أعوانه ، لأنهم يشعرون أنهم مسؤلون عن عملهم ، وكذلك إستمرت الحال على هذا النهج القويم ، الى أن أحاطت بعثمان بطانة السوء من قومه بني أمية ، وزينوا له أن ينفع بني عمه الأمويين بأسناد الأعمال اليهم ، وأختير للأعمال من هو أهلها ومن ليس أهلا لها على أساس العصبية القومية ، ففزع الناس من هـذه السياسة التي ضحيت فيها المصلحة العامة لنفع الأقرباء ، وكان هذا من أهم أسباب الفتنة التي انتهت بمقتل عثمان ، ولما ولي علي « ع » كان له اصالة الرأي ،

ورجحان العقل والدين والمكانة في النفوس ، وعلمه بأصول الحكم وإدارة الدولة ، مما ضمنه في عهده الى مالك الأشتر واليه في مصر ، ما يكفل إستقامة الأمر له ، ولكنه لتصلبه في الدين بدء عمله بعزل من ولاهم عثمان ، وأثيرت الدسائس حوله فلم يستقم له الأمر ، فمن الغريب إستثناء معاوية عن هذا الأساس القويم ، وتعيينه والياً على الشام ، ولم يبلغ عمره عشرين سنة ، مع وجود كبار الصحابة ، وعظماء القواد من المهاجرين والأنصار ، وقد تقدم كلام الرسول « ص » في ذلك .

« وثانيها » اليقظة في المراقبة . وقد وضع أساس اليقظة في مراقبة العمال . الرسول صلى الله عليه وآله فقد كان يعني بسماع ما ينقل اليه من أخبار عماله ويصغي الى شكاية من يشكوهم . ويأخذ عليهم زلاتهم ويحاسبهم إستعمل رسول الله مرة رجلا على الصدقات فلما رجع حاسبه . فقال الرجل هذا لكم . وهذا لي فقال الرسول : ﴿ ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله فيقول هذا لكم وهذا أهدي إلي أفلا قعد في بيت أبيه وأمه فنظر أيهدى اليه أم لا ؟ وقال ﴿ص﴾ : ﴿ من إستعملناه على عمل ورزقناه منه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول ﴾ والغلول : الخيانة في المغنم وكان الخليفة الثاني عظيم المراقبة لعماله . دقيق المحاسبة لهم لا يأخذه في ذلك مانع من الموانع أصلا : تعتع بخالد ابن الوليد عامله على ﴿ قنسرين ﴾ إذ بلغه أنه أعطى الأشعث عشرة آلاف فأمر به فعقله ﴿ بلال الحبشي ﴾ بعمامته وأوقفه بين يديه على رجل واحدة مكشوف الرأس على رؤوس الأشهاد

من رجال الدولة ووجوه الشعب في المسجد الجامع بحمص، يسأله عن العشرة آلاف : أهي من ماله أم من مال الأمة ؟ فأن كانت من ماله فهو الأسراف والله لا يحب المسرفين ، وإن كانت من مال الأمـة فهي الخيانة ، والله لا يحب الخائنين ، ثم عزله فلم يوله بعد حتى مات ، ودعى أبا هريرة فقال له : (علمت أني إستعملتك على البحرين ، وأنت بلا نعلين ، ثم بلغني أنك إبتعت أفراساً بألف دينار وستمأة دينار » قال : (كانت لنا أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت) . قال : « حسبت لك رزقك ومؤونتك ، وهذا فضل فأده » قال : « ليس لك ذلك » قال : (بلى وأوجع ظهرك) ثم قام اليه بالدرة ، فضربه حتى أدماه ، ثم قال : (إئت بها) قال : (إحتسبها عند الله) قال : (ذلك لو أخذتها من حلال ، وأديتها طائعاً ، أجئت من أقصى حجر البحرين يجبي الناس لك ، لا لله ولا للمسلمين ؟ ما رجعت بك أميمة ـ يعني أمه ـ إلا لرعية الحمر) . وفي حديث أبي هريرة : (لما عزلني عمر عن البحرين ، قال لي : (ياعدو الله وعـدو كتابه ، سرقت مال الله ؟ فقلت : ما أنا عدو الله وعدو كتابه ، ولكني عدو من عاداك ، ما سرقت مال الله . قال : فمن أين إجتمعت لك عشرة آلاف ؟ فقلت خيل تناتجت وعطايا تلاحقت ، وسهام تتابعت ، قال : فقبضها مني ، وكم لعمر مع عماله من أمثال ما فعله بخالد وأبي هريرة يعرفها المتتبعون ، عزل كلا من أبي موسى الأشعري ، وقدامة بن مظعون ، والحارث بن وهب ، أحـد بني ليث بن بكر ، بعد أن شاطر أموالهم ، هذه مراقبة عمر لعماله ، لا هوادة

عنده لأحد منهم ، لكن معاوية كان أثيره وخلصه ، على ما كان من التناقض في سيرتيهما ، ما كف يده عن شيء ، ولا ناقشه الحساب في شيء ، وربما قال له : (لا آمرك ولا أنهاك) يفوض له العمل برأيه ، حتى بعد أن رأى بعينه في الشام موكبه القيصري و تجبره وتكبره ، لدرجة إنه ما نزل من فرسه ولم يعظم الخليفة مع علمه بأنه من المؤلفة قلوبهم في الأسلام وأنه يهيىء لنفسه ولآله ملكا .

وهذا لغز من الألغاز الواقعة في تاريخ صدر الأسلام ، ولا أستطيع حله ، وغير خفي أن من أهم عوامل سوء التفاهم ، أن أفعال الناس من المقولات المحسوسة بالحواس ، ولكن الدواعي الموجبة لصدورها منهم أمور نفسية ومعنوية ، وكل فعل حينما يصدر من فاعله قابل الأنطباق الى داع صحيح أو الى داع فاسد ، ففي إستطاعة خصمه أن يسنده الى داع فاسد ، حالما يستطيع غير الخصم أن يسنده الى داع صحيح — ومن هنا ينفسح المجال للخصوم والحساد فيختلقون ما شاؤوا من دواع غير شريفه لأعمال الأعاظم والمصلحين ، ليصيبوا هدفهم من إثارة نفوس الدهماء على المصلحين ، شأن إخوانهم المثبطين في جميع أدوار النهضات الأصلاحية — وخصوم الرجل على قدر عظمته ، فكلما إرتفع الرجل درجة ، أو ظهرت له مزية تألم من أحسوا من أنفسهم العجز عن أن يبلغوا شأوه ، وولعوا بذمه ، وتفننوا في تشويه سمعته ، وتسويد صحيفته ، ولا يزالون به حتى يعطيهم العهود والمواثيق التي يرضونها . أن يعيش عالمًا كجاهل . وحيًا كميت

وأن يكتم علمه في صدره فلا يفضي به الى لسان والى قلم حتى يدركه الموت

وليت من لم يكن بالحق مقتنعاً   يخلي الطريق فلا يؤذي من إقتنعا

ومن جملة تلك الألغاز كلمة (حسبنا كتاب الله) مع ملاحظة أن الأمام علي ابن أبي طالب (ع) أوصى إبن عباس لما أرسله لمناظرة الخوارج أن لا يحاجهم بالقرآن لأن القرآن حمال أوجه . ولأنهم يشغبون به ويجيئون الى صيغ العموم فيه فيطبقونها على الكافر والمؤمن غير ناظرين الى شروح السنة لها فكان علي (ع) يريد مواجهتهم بالنصوص الحاسمة من كلام رسول الله (ص) حتى يقطع جدلهم . صحيح أن القرآن إعتمد في أحكامه وتوجيهاته على التعبيرات العامة والألفاظ المرنة حتى يساير العصور كلها الى قيام الساعة . وهذه آية من آيات إعجازه بيد أن العموم والمرونة شيء غير الغموض والأبهام (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) وقد كان الخوارج على عهد علي (ع) يكفرون المذنب ويتلقون آيات الوعيد فيسيئون تطبيقها على الناس وعلي (ع) وفقهاء الصحابة يدرون أتم الدراية بالملابسات التي صحبت نزول هذه الآيات وهذا سر قوله (ص) إنما يعرف القرآن من خوطب به . وقال (ص) من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار . ومن ثم وصى علي عليه السلام إبن عباس أن لا يحاج هؤلاء الخوارج بالآيات المجردة بل بالسنة الموضحة فهي أشبه شيء بمذكرة تفسيرية للقانون . والسنة تفسير لا مهرب منه . وهل كان السبب لتكون عقيدة الخوارج وحدوثها سوى كلمة (حسبنا كتاب الله)

ومن هنا قيل ، يجب على الرجل العظيم أن يحترز عن الخطأ القليل إذ قد تترتب عليه آثار سيئة عظيمة ، لعلو مقامه ومركزه ، ومن جملة الألغاز التاريخية أن الخليفة الأول كتب الى أهل مكة ، والطائف ، واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد في الشام ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم ، فسارع الناس اليه بين محتسب وطامع ، فعقد ثلاثة ألوية لثلاثة رجال ، وهم يزيد ابن أبي سفيان ، وشرحبيل ابن حسنة ، وعمرو بن العاص ثم خص يزيداً بامتياز ، فقد شيع أبو بكر يزيد ابن أبي سفيان راجلا الى ما بعد ربض المدينة ، فقال له يزيد : إما أن تركب ، وإما أن أنزل فقال أبو بكر : ما أنت بنازل ، وما أنا براكب ، إني أحتسب خطاي في سبيل الله ، إخواني : إني أحاول توجيهكم الى البحث ، إذ لا ينجم عن البحث والتفتيش المصحوبين بالمعرفة والحكمة إلا كل شيء ، مستحسن ومفيد ، لأن البحث أم الحقيقة ، وأهل الحقيقة عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية ، لا عقل سماع ورواية ، وفهموا أن الله تعالى لا يريد التفريق ، والدين لم ينزل للتفريق ، ألا وإني أتممت عليكم الحجة ، وأضأت لكم المحجة ، وبمقدار ما سمحت لي الظروف أزلت الحجاب عن وجه الحق والحقيقة ، وأملي بكم في نهاية المطاف أن تهتموا بجمع الكلمة والوحدة الأسلامية ، والأخاء الديني والتساهل مع كافة المسلمين من مختلف الطوائف الأسلامية ، على سيرة أئمة المسلمين ، في نهج البلاغة ، قال أمير المؤمنين علي (ع) : « فأياكم والتلون في دين الله ، فأن جماعة فيما تكرهون من

الحق ، خير من فرقة فيما تحبون » والله تعالى ولي التوفيق لي ولكم والحمد لله على ما أنعم نعمة لا نحصي شكرها ولا ننسى ذكرها ، إن أردت إلا الأصلاح ما إستطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

* * *

ومما لاحظه بعض المفكرين أن خطبة الأمام الزنجاني أنتجت :

١ ـ إرتفعت التقية عن الشيعة في دمشق وسائر بلاد سورية .

٢ ـ إشترك السنيون في مجالس عزاء الحسين .

٣ ـ تركت حفلات عيد رأس السنة الهجرية في دمشق .

٤ ـ زال سوء التفاهم بين السنة والشيعة .

٥ ـ إعترف فخامة الأتاسي رئيس الجمهورية بلزوم رعاية حقوق الشيعة في سورية .

٦ ـ عبدت الحكومة طريق الزينبية .

٧ ـ بدء التعمير في مقام السيدة زينب الكبرى .

٨ ـ إتحدت كلمة المسلمين في الأهداف المشتركة .

(الخطبة الرابعة)

محاضرة الأمام الزنجاني في جامع الدقاق (١) في دمشق وتعليقات الصحف الدمشقية عليها

نقلا عن جريدة (الأيام) الدمشقية ٤ كانون الثاني ١٩٣٧ . العدد ١٣٨١

ونقلا عن جريدة (القبس) الدمشقية ٣١ كانون الأول ١٩٣٦ السنة الرابعة .

ونقلا عن مجلة (التمدن الأسلامي) الدمشقية : ذو الحجة عام ١٣٥٥ العدد ١٠ .

(درس الأمام الزنجاني)

ألقى الأمام الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني ، درساً بليغاً إجتماعياً ، في جامع الدقاق ، في الميدان الفوقاني ، بعد ظهر الجمعة سمعه الألوف من الشباب المثقف ، والعلماء الأجلاء ، وقد تناوب الأساتذة الشيخ بهجت البيطار . والشيخ سعيد العرفي . والشيخ محمد علي ظبيان . القول بتأييد الأمام الزنجاني في فكرته الطيبة التي يسعى لها . وخرج القوم مستفيدين من الدروس القيمة التي إستمعوها من الأمام والأساتذة الأجلاء .

وتناول الأمام الزنجاني طعام الغداء على مائدة المجاهد الفاضل الشيخ محمد الأشمر . وكان في موكبه العلامة الشهير السيد محسن الأمين

---

(١) جامع الدقاق أول مسجد بناه المسلمون الفاتحون في دمشق .

(نص الخطبة الرابعة)

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه .

قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » .

توطئة :

يزداد الأعتقاد في جميع أنحاء العالم بأنه لن يتحقق سلم عام ونظام مشترك دائم ما لم توجه أعمال البشر وفق تلك المبادىء الأخلاقية التي هي خير مشترك بين جميع الأديان الآلهية الكبرى في العالم . ومعنى أساسي لها . فالعالم الأسلامي في أشد الحاجة الى تطبيق القوانين الأخلاقية الأسلامية كما أنه في اشد الحاجة الى تقوية الجيش. وتجديد الاسلحة وموازنة المال وما اليها من تحسين المرافق واعداد الوسائل، اذ الاخلاق هي الوسيلة الأولى ثم تتبعها سائر الوسائل كما تتبع النتائج مقدماتها وكما يتبع الظل الشاخص . قال رسول الله (ص) : (الخلق وعاء الدين) .

شروط البحث :

ان الباحث في فلسفة الدين . والنظريات العلمية . والحالات المذهبية يجب أن يتصف بمزايا المؤرخ . فيجرد نفسه من جميع العواطف ثم يحلل

المسائل والمباحث تحليلاً فنياً فيعللها بعللها الحقيقية . وأسبابها الواقعية ليتميز عن القصص والروايات الوهمية . ويزداد رسوخاً في نفوس المستمعين وعقول المتعلمين . فلنقف موقف الفيلسوف الحاول تعليل التعاليم الاسلامية بعللها الواقعية . والبراهين العقلية الضرورية . والشواهد الحسية الوجدانية .

ضرورة الدين :

اذا ألقينا نظرة على أهم ما يحتاج اليه البشر في نظام حياته وسعادة ذاته نجده منحصراً في علوم الحياة . والأمنية العامة والصحة التامة ونظم الأقتصاد والعمران والرقي الاجتماعي والروحي والجسمي . والمساواة العادلة والحرية المعتدلة . وتوزيع العدل . وتحصيل سعادة الآخرة . ونجد الدين الأسلامي بكتابه المعجز الخالد لم يترك شيئاً من المذكورات إلا أصابه ولا مصلحة من مصالح البشر الا قررها . ولا داء من أدواء المجتمع الا عالجه وقرر في تعاليمه دوائه . وضبط الغرائز والأهواء والنزعات البشرية بأحسن ما يمكن . فالأسلام دين العلم . ودين العمل . ودين الفطرة والأجتماع ودين النظام والاخلاق قرر وجوب اتخاذ الفضائل ورفض الرذائل .

اثبات ضرورة الدين :

ان للأنسان غريزة تحكم بملائمة بعض الأشياء ومنافرة بعض آخر وتدرك ما يلائمه وما ينافره . يقال لها (الطبع) سواء أصابت أو أخطأت وطلب الملائم يسمى (الشهوة) ودفع المنافر يسمى (الغضب) والغضب ،

قد يختار المضر ويترك النافع ، إن الطبع إذا لم يوافق العقل يسمى (هوى)
وهذه الغريزة في الأنسان مقترنة بالشعور والأدراك ، كما أن الطبيعة
العديمة الشعور في الجماد مبدء الميول والحركات ، و (العادة) عبارة عن ملائم
الطبع لم يكن ، أو كان ولكن قليلا فجعل بالتكرار والتأنيس موجبا للبعث
سواء كان عقليا أو طبعيا ، أو عرفيا ، مقبولا أو مردودا ، والأنسان
محكوم للطبع والعادة كما أنه محكوم للعرف ، والعرف قانون جمهوري وضعته
الجماهير والتزمت تطبيقه والعمل به وتقبيح تاركه ، والعرف ، إن كان
مقترنا بالسلطة يسمى (سياسة) ورب عقيدة تكونت للبشر من الطبع ،
أو العادة ، أو العرف فالأنسان بحسب طبعه وشهوته يميل الى مشتهياته ،
ويرغب في إكتسابها من كل طريق ، وبكل وسيلة ، حقا كان أو باطلا
وغضبه يحمله لدفع كل معارض له لنيل شهواته ، ولو كان بسفك الدماء ،
فيحتاج الى وازع ورادع ، حتى لا ينـال مشتهياته إلا عن طريق الحق
الطبيعي ، ولهذا أودعت فيه غريزة أخرى ، غريزة (العقل) الفطري التي
يدرك بها الأنسان العلوم النظرية ، ويدبر بها الصنائع الدقيقة ، وهو المميز
للبشر عن سائر أنواع الحيوان ، وإن التوسط وحفظ الموازنة بين الأخلاق
هو من شئون القانون العملي ، كما أن عقل الأنسان (المكتسب) هو ما
يفرق به بين الضار وبين النافع فيرجح النافع الآجل على المضر العاجل ،
فالأنسان يرتدع بعقله عما تقتضيه شهوته ، فاذا خالف الطبع العقل وغلبه
الهوى ، فلا يردعه شيء ، وحينئذ يختل نظام العـالم بأختلاف مقتضيات

الطبع والشهوة في جميع أفراد البشر ، ولا يمكن لكل واحـد أن يدافع بسيفه عن نفسه وماله وعرضه ، لأن دفع الشر بالشر موجب لسفك الدماء ولا تكفي سلطة الحكومة ، لأن قدرتها محدودة فضلا عن أنها مخصوصة بالظاهر ، وموظفوها من البشر ، وفي طباعهم الغرائز البشرية ، ولا يكفي (شرف النفس) لتأمين جميع البشر على حقوقهم وحدودهم ، لأن شرف النفس صفة يمتنع صاحبها من إرتكاب القبيح أمام الناس ، كما أن (خسة النفس) توجب عـدم المبالاة ، وليس لصفة الشرف ماهيـة معينة ، ولا حد محدود عند الأمم ، فيؤسس عليها نظام ، يحـدد الشهوات ، لوضوح إختلاف الأمم والطوائف في ذلك ، فالحيل والدسائس والنفاق والكذب يفتخر بها السياسي ويعدها من الشرف ، بينما يعدها غيره من النقائص ، وقتل النفس والسرقة يفتخر بهما أهـل البادية مثلا ، وبما أن كل حادث معلول لعلة ، فللأفعال الأختيارية للبشر غاية تعود الى نفس الأنسان وهو يتصف بالشرف ، ويتجنب من الخسة رغبة منه في توسيع جاهـه وماله وجلب ثقة الناس ، وإجتنابا من نفورهم ، ولذلك نجد فرقاً عظيما بين الطبقات فلا يعد خلف الوعد ونقض العهد من الملوك ورؤساء الدول منافياً للشرف بينما يعـد منافياً لشرف الرعايا والضعفاء ، لأن الملوك والرؤساء مأمونون ومستغنون عن جلب الثقة ، وقليل من يحب شرف النفس والثناء لذاته ، ويقدمه على الشهوات البدنية ، فخصلة الشرف لا تعدل الشهوات ، ولا تمنع الظلم والتعدي ، ولا يكفي لحفظ نظام العالم ، فلا علاج في كبح الشهوات

وإقناع البشر بحقوقه العادلة إلا الاعتقاد بالمبدأ والمعاد، أعني الاعتقاد بالدين الذي يقرر حساب الآخرة، أما اللادينية، فهي تفسد الأخلاق، وتفني الأمم، وتزيل الغيرة والحياء، وتكون جرائم اللؤم والخيانة والخسة والهمجية، ولا يدوم معها شرف النفس.

بيان آخر:

النفس، بمعناها العام، الشامل للنفوس النباتية، والحيوانية، والانسانية كمال أول لجسم طبيعي آلي، ولكل نفس قوى وآلات بها تكون النفس منشأ آثار كمالية، فمن قوى النفس النباتية مثلا القوة الغاذية، وبها تتغذى الشجرة مثلا من الماء والأجزاء الأرضية المذابة فيه التي تصل الى جميع أعضائها وعروقها بالجاذبية، كما تتغذى من اوكسجين الهواء بسبب تنفسها بأوراقها، حتى تتكامل وتبلغ الرشد، وحينئذ تثمر ثمرة لا تشبه شيئاً من تلك الأغذية في طعمها ورائحتها وجوهرها، وهي مستحيلة من تلك الأغذية بسبب النفس النباتية التي عملت تلك الاستحالة، ونظير ذلك ان النفس الناطقة الانسانية تكمل بالعلوم والمعارف ثم تتصرف فيها، وتحيلها الى أفكار أبكار وعلوم ومعارف جديدة لا تشبه العلوم والمعارف التي تغذت بها، وكذلك للنفس الحيوانية قوى مخصوصة، والنفس الناطقة الانسانية المعبر عنها بكلمة أنا، واضحة الوجود والثبوت، وهي جوهر قائم بنفسه وبسيط غير قابل للتجزئة وليست بجسم ولا جسماني حدوثاً وبقاء، ومجردة ذاتاً، لا فعلا فانها محتاجة الى البدن في تدبيرها وتصرفها وأفعالها، ولا حاجة

في إثبات وجودها الى دليل ، نعم أقيمت البراهين على إثبات أوصافها ، لأن للأنسان أعمالا هي أفعال جوارحه ، وليس بعض أفعاله من فعل الجوارح ، كالفكر ، فالفكر من عمل النفس الناطقة ، ولذلك قال (ديكارت) : أنا أفكر إذن فأنا موجود ، وقد منح الله النفس الناطقة قوى وغرائز ، فالقوة الشهوية . منحت للنفس لغرض بقاء شخص الأنسان مثلا . ولأبقاء نسله ونوعه . وكذلك منحت للأنسان غريزة الشعور الديني (العاطفة الدينية) المعبر عنها في لسان الدين بالفطرة . وهذه الغريزة يجبر الأنسان الذي يحس بأنه موجود حي . على أن يفكر في مبدأ حياته . وفي منتهى حياته وهذا الفكر طريق طبيعي للعقل الى معرفة المبدء تعالى شأنه ومعرفة المعاد وهما العنصران الثابتان الجوهريان في جميع الأديان الآلهيـة . بيد أن هذين الأصلين أعني (التوحيد . والمعاد) لم يكونا في دين من الأديان بالشكل الواضح الجلي القويم الذي قرره الدين الأسلامي . حيث قرر الأسلام المعـاد الجسماني الذي لم يستطع أحد من الفلاسفة أن يقيم برهانا عقليا لأثباته . كما أعترف به رئيس الفلاسفة (ابن سينا) وقال في كتاب الشفاء : (المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل الى إثباته إلا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة (ص) وهو الذي للبدن عند البعث . وقد بسطت الشريعة الحقـة التي أتانا بها سيدنا ومولانا محمد (ص) حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن . ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني وقد صدقته النبوة . وهو السعادة والشقاوة التابعتان للأنفس الخ) ونحن

بعون الله تعالى وحسن توفيقه أثبتنا في مؤلفاتنا الفلسفية والكلامية نظرية لم يسبقنا اليها غيرنا فيما نعلم . وهي أن اللوازم التي إعتقد الفلاسفة أنها لوازم المادة . ويستحيل إنفكاكها عنها في جميع أطوارها الوجودية واعتقدوا ان المعاد الجسماني يقتضي وجود المادة في الخارج من دون لوازمها ليست من لوازم المادة في الواقع . وانما هي من لوازم النشأة ووعاء هذا الوجود الدنيوي فمن الممكن أن توجد المادة الجسمية في خارج الذهن وفي نشأة الآخرة بدونها . وحيث أن الزمن يرينا في كل يوم أن الآراء القديمة في قصر الأجسام على خواص معينة وفي حد الغايات بوسائل خاصة آراء باطلة . فينبغي أن لا تعتمد الفلسفة عليها (وأما التوحيد) فاننا نعتقد بأنه لا غنى للطبيعة في تعليل أسرارها عن التوحيد . وأن محل التوحيد من الطبيعة محل الشعاع من السراج أو النتيجة من المقدمتين . وان لم يعترف بذلك الذين يدينون بالفلسفة المادية الحسية التي لا تعتقد بغير ما تلمسه وتحس به أو تدركه أو تتقرب منه . وأما ما كان غير ذلك فهو في هذه الفلسفة خرافة وتضليل وذلك لأن تيار تقديس المادة الذي كان في الغرب تدريجاً يهاجمهم في الشرق فجائياً فيضطرون أن يأخذوا النتائج كما هي. وللمادة قدرة خارقة أذهلتهم فوقفوا أمامه حيرانين ولهانين ويقول علماء التاريخ الطبيعي والكيمياء والفلك : أن الخلية الحية مركبة من أربعة عناصر هي الأوكسجين ، والهيدروجين ، والكربون ، والأزت غير أننا لو أردنا تركيب خلية حية من هذه العناصر مع المحافظة على نسبها

الكيماوية لما أمكننا ذلك لأن الخلية ليست تركيباً كيماوياً فحسب، بل هي جسم حي، ويقول آخر عن الفيل، أنه يستخدم خرطومه كما يستخدم الأنسان يده لأن ضخامة جسمه إستلزمت قصر عنقه، ولما كان تناول الطعام عسيراً عليه فقد مدت الطبيعة في أنفه وهو ما نسميه بالخرطوم، وبه يستطيع أن يلتقط الأشياء الدقيقة حتى الأبرة ويقول آخر عن الفصول أن ميل محور الأرض عن مستوى الفلك سبب حصول الفصول الاربعة التي لولاها لأستحال وجود الحياة. ولكن هذه الآراء غير كافية وهذه العبارات غير موصلة الى التعليل العلمي الصحيح كما أن نسبة القصد والأحكام الى الطبيعة العمياء أمر غير معقول ولا يستطاع الوصول بها الى حل مرضي لأية ظاهرة من ظواهر الكون والاقتناع بهذه الآراء يجعل الأدراك البشري للاشياء ادراكا سطحياً لا يكسب يقينا ولا يوصل الى حقيقة. وبالأخرة يجد الانسان نفسه أمام حقيقة مجهولة ويشغل باله هذه الأسئلة ما سر الحياة؟ ولماذا لا نستطيع تركيبها من عناصرها المكونة لها؟ وكيف تولدت في الطبيعة الجامدة؟ وبأية علة معقولة يمكن تعليلها؟ وكيف تحفظ الحياة وجودها وتسري من كل فرد إلى أمثاله في الأنواع المختلفة؟ وكيف تكونت هذه المجاميع العضوية متناسبة ومترابطة لغاية مقصودة؟ حتى لقد دعيت هذه المجاميع بالمميزات النوعية، وكيف شعرت الطبيعة بحاجة الفيل الى الخرطوم فمدت في أنفه، وما سبب الميل في محور الأرض؟ ولا يوجد في الفلسفة الطبيعية تفسير هذه الأمور التي يهمه تفسيرها، ولا

في اصول العلم الحديث جواباً الى هذه الأسئلة أو دليلا يوصله الى الحقيقة التي يطلبها سوى هذه الألفاظ : الطبيعة ، الحرارة ، البيئة ، الوراثة ، الأثير . . وهي ليست عللا أولية ، بل كل منها مفتقر الى تعليل ، ولا يوجد في العلوم الحديثة ما يشفي للأنسان علة ، أو يروي له غلة ، لأن العالم الطبيعي يفر من البحث عن العلل والأسباب ، مخافة أن يضطره بحثه الى الأعتراف بوجود العلة الأولى التي هي مصدر كل حكمة ومنبع كل إفاضة ، فجاءت بحوثه ناقصة مبتورة ، وقد يضيق به مجال التعبير أحياناً فيلجأ الى هيئات المطاوعة ، مثل إنفصلت الأرض عن الشمس ، إنتظمت حركتها ، تطورت الأحياء على سطحها ، ظاناً أن هذه التعابير تغني عن ذكر الأسباب والعلل ونسي أنها من أفعال المطاوعة التي هي معلولة بالضرورة لأفعال أخرى غيرها ، وقد تضطر فطرته أحياناً الى نسبة الأثر الى المؤثر ، فينسب ما لا يرى للصدفة مجالا فيه الى الطبيعة العمياء ، وهو لو أنصف لرأي خطأه جلياً لا إبهام فيه ولا غموض ، وإنكاره عالم الروح ليس بنتيجة علم من العلوم ، او زبدة فلسفة نشأت في قرن من القرون ووقفت حيث هي بحيث أن من قرأ ذلك العلم أو شارف تلك الفلسفة أنكر الروح والخلود ، كلا ، وإنما ذلك الأنكار حال يعتري النفوس المستعدة له فيسلب عنها أجمل صفاتها ، وهي الطمأنينة للحق ويجعلها مسرحاً لشياطين الشكوك والريب ، حتى أن الواحد من المصابين بهذا المرض ليشك في وجود ذاته ووجود الكون المحيط به من كل مكان وله أسباب

كثيرة منشأها التربية . والمعاشرة . والمحيط . والمجتمع . ومقام دينه من الضغط على العقول والأفكار . أو من الحرية والأطلاق الخ) من الاسباب التي تشكل الطباع والميول . وتصب الرجال في قوالب لا يقدر على بعضها أي علم من العلوم ولذلك نرى الألحاد في الاروبيين في بعض طبقات الأمة أكثر منه لدى العلماء أنفسهم للأسباب الأجتماعية والأدبية التي تعيش الأمة في وسطها وربما يظهر لنا بالاستقراء والتحليل أن تلك الاسباب الأجتماعية والأدبية أشد فعلاً في إحداث تلك الحالة الألحادية من العلوم التي يقصد بها بث الألحاد والجمود . وقد إعترفوا بأن الرأي الذي مقتضاه عدم وجود القصد في الكون عند الداروينيين لا يقوم عليه دليل وهو من الأوهام التي لا أساس لها من العلم ومتى ثبت القصد في الكون فقد ثبت وجود المدبر الحكيم من طريق محسوس لاسبيل للجدل فيه « أفي الله شك فاطر السموات والأرض وكيف يتصور أن يكون صدور الموجودات العالمية عن المبدأ الأول كصدور الضوء عن الشمس ، أو الحرارة من النار ، لأنه يستلزم الغاء الأرادة الآلهية ، ومتى ألغيت هذه الأرادة تبعتها الحكمة والتدبير اللذان هما عنصرا كل ما في هذا الكون من نظام وإتساق ، واللذان لولاهما لكان العالم سائراً يتخبط تبعاً للمصادفات الرعناء ، وهذا لا يتصوره عاقل بعد مشاهدة هذا الأبداع الحكيم في كل جزئية من جزئيات العالم ، إلا إذا تصور أنه إذا وضع كمية من الأحرف الحديدية في علبة ، ثم اقفلها وهزها ردحاً من الزمن وفتحها يجدها قد كونت من نفسها مقالة ليست

منتظمة الكلمات والجمل فحسب ، راقية الأسلوب عالية العبارة ، سامية المرامي والأغراض ، إن هذا القائل يسير بغير هدى ، ويلتمس النور في الليل ، وينشد النظام في الفوضى ، ويتمنى الوصول الى شاطىء الأمان وهو يتخبط في بحر الظلمات ، فلا مناص من وجود صانع للعالم متصف بالقدرة المطلقة والقادر المطلق يكون واحداً ، ولا يمكن تعدد القادر المطلق كما ثبت في علم التوحيد ، والقدرة المطلقة دليل الوحدة (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) .

﴿ ضرورة النبوة والوحي ﴾

إن المثقفين في المعاهد العلمية يعرفون ضرورة الدين بفضل ملكتهم على إدراك غوامض العلوم ، وبغريزة العقل ، وقد قرر في الفلسفة أن الموجودات تتفاضل بشرفها ، ويدور التفاضل والشرف مدار زيادة آثاره الوجودية ، فالنبات أشرف من الجماد ، والحيوان أشرف من النبات ، والأنسان أشرف الجميع لأنه جامع لآثار الجماد والنبات والحيوان ، مضافاً الى زيادة آثار عقله الذي هو منبع كرامته ، قال الله تعالى : (ولقد كرمنا بني آدم) فلا مندوحة للأنسان من أعمال تلائم شرفه ، وعلوم ، وأخلاق سامية ، وهذه هي غاية الأديان الآلهية ، لقد كان الأنسان يكتفي بحواسه الظاهرة لأدراك الحقائق ، فرأى عدم كفايتها لأن سائر ذوي الحياة تشاركه فيها ، فالتجأ الى استعمال عقله ، ونرى أن العقل لا يمكن ان يكون كافياً لأكتناه الحقائق فنحكم بأن الأنسان يحتاج مع عقله الى معلم إلهي

يحد له الحدود ، ويقنن له أنظمة الاجتماع ، وقوانين السعادة في دنياه وعقباه ، فلا مندوحة له عن (الشرع) وهو قانون إلهي إبتعث الله الأنبياء صلوات الله عليهم لتبليغه ، وذلك القانون يحرك النفوس البشرية وقواها نحو الغايات والكمالات الموكولة اليها في عالم التركيب والتكوين من مواصلة نظام الكل مع تذكيرها بمعادها الى العالم الآلهي الأعلى . ويكون الدين أيضاً زاجراً للنفس عن الانحطاط على مقتضيات الشهوة والغضب .

﴿ مزايا الأسلام ﴾

الأسلام أفضل الأديان الآلهية ، ومتكفل لجميع ما يحتاج اليه الأنسان لسعادته التامة ، قرر المساواة العادلة أمام القانون الآلهي ، وفي الحقوق مع تقريره التفاضل بنوع خاص (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقرر الحرية مع تقييدها بما يفيد السعادة أي لا يضر غيره ، وأزال الخرافات من العقول وبهذا عدل الأفكار ، إذ من قبل خرافة لا يمتنع أن يقبل كل خرافة ، ووزع الشرف على الجميع ، فجعل لكل إنسان قدرة الأرتقاء بسعيه وعمله وتقواه الى أعلى الدرجات ما عدا درجة النبوة ودرجة الأمامة ، وبذلك أوجد المسابقة في ميدان الفضائل ، والنشاط في أعمال الآخرة ، إن الأسلام أغمض الطرف عن الأمتيازات الجنسية والعنصرية ، وجعل أساس المزية مبتنياً على الكمالات العقلية والنفسية ، وذم التقليد في أصول الدين والأنقياد من دون دليل وحجة ، ثم قال تعالى : (فاسئلوا أهل الذكر إن

كنتم لا تعلمون الخ) وقال تعالى : (ولولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) وهذا تقرير لحكم العقل بوجوب رجوع الجاهل بشيء الى العالم به ، ولكن الأسلام أضاف شروطاً الى حكم العقل أحدها حياة العالم المرجع للمسائل الشرعية ، ويستفاد ذلك من مادة السؤال في الآية الشريفة الأولى ، ومن مادة الأنذار في الآية الثانية ، الأسلام خاطب العقل ، وحض على اليقين والعلم ، فهو دين منطقي ، لا يوجد في تعاليمه شيء لا يصدقه العقل

الأسلام ، قرر الأخوة الأسلامية في مختلف أجناس المسلمين وهذا هو السبب الوحيد لأيجاد الأمن العام في جميع العالم الأسلامي ، وأمر بطلب العلوم والصنايع ، وأوجب التربية البيتية فقال الله تعالى : (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) وقرر دروساً إجتماعية ومنها قوله تعالى : (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وهو الغني المطلق ، إرشاداً لنا إلى لزوم التناصر والتعاضد والتساعد ، وبقوله تعالى: (خلق السموات والارض في ستة أيام) دلنا على حكمة التدرج ، وهو تعالى شأنه قال : (إنما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، الأسلام دين ألف بين قبائل العرب بعد أن كان بأسهم بينهم شديداً ، وبذلك التأليف استطاعوا أن يدوخوا العالم ، ويثلوا العروش ، ويؤسسوا أمبراطورية اسلامية عظيمة ، ولم يكن عدد المجاهدين منهم أزيد من ثلاثين ألفاً — بيد أنا نرى المسلمين اليوم قد تجاوز عددهم اربعمائة مليون في الحالة المؤلمة ، والأوضاع المؤسفة

وهؤلاء العرب هم أبناء اولئك الأولين في الشجاعة و أمثالهم في الثقافة والمزايا ، فما هو سبب إنحطاطنا وتأخرنا نحن المسلمين ؟ .

﴿ المسلمون بين الماضي والحاضر ﴾

لقد كان السلف مسلمين حقاً ، وكانوا معتقدين بحقيقة الأسلام ، وكانوا يعلمون أنهم إن قتلوا في الجهاد في سبيل الله فهم ملوك الجنة ، وإن فتحوا البلاد فهم ملوك الأرض ، ويعتقدون بأنهم بين الملكين ، إما ملك الدنيا أوملك الآخرة ، أما المسلمون في العصر الحاضر فأنهم مسلمون بالأسم لا بالحقيقة والواقع ، لقد كان المسلمون في الصدر الأول من تأريخهم متمسكين بحقائق الأسلام وكانوا يعملون بهدي الأسلام ونوره وقوته ، ولكن المسلمين في هذا العصر قد حال بينهم وبين شارع الأسلام ثلاثة عشر قرناً ، خلقت خلالها في التعاليم الأسلامية فوارق نمت بسبب جمود الخاصة ، وجهل العامة ، وغذتها يد السياسة ، وسقاها حب الرياسة ، ففرقت المسلمين ، وقسمت الأمبراطورية الأسلامية الى أقطاع وساعدت عليه أمراضهم الأجتماعية والأخلاقية ، وعدم المبالاة ، وفقدان الأرادة وجمود ملكة الأستنباط ، فتجد قسماً من المسلمين جامدين على الظواهر دون معرفة حقيقة الدين وفلسفته ، فجعلوا القشور وآرائهم موجبة للفوارق المذهبية ، وتجد قسماً آخر جامدين على تقليد الغرب متخذين من الثقافة الغربية والعلوم الجديدة قشوراً تاركين اللباب ، وهكذا تكونت الستائر الحاجبة حقيقة الدين الأسلامي ، فتفرق المسلمون فرقاً وأحزاباً ، وصرنا بالتخالف مصاديق

لما حذرنا الله تعالى منه بقوله تعالى : (ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكم) فأصبحنا ضعفاء .

﴿ العلاج لهذا الأخطاط ﴾

أولا توجيه الشعور الديني توجيهاً نافعاً ، وتنقيته من الشوائب ، وجعل التدين آلة فعالة في تهذيب الناس ، وتمكين العوامل المعنوية من التأثير في الحياة الأنسانية الراقية ، وتصيير الفضائل العملية التي قررها الأسلام كلها نظما عملية ، (ثانياً) إقناع الشباب بأن يسلك طريقاً وسطاً لا جامداً على القديم ، ولا مسرفا في تقليد الجديد ، حتى يحتفظ بعقيدته ، ويدافع عن الأسلام بأعتباره صديقاً للعلم والمدنية ، ليفوزوا بالحضارة الحديثة من غير أن يفقدوا في سبيلها عقيدتهم ومميزاتهم وفضائلهم (ثالثاً) إرشاد النشء وتثبيت العقيدة عنده بصوغ تعاليم الأسلام - التي هي آيات ثابتة وصور صحيحة لا يمكن فيها تغيير ولا تبديل - في أساليب عصرية رائعة مؤثرة وترسيخها في أذهان المسلمين سيما أذهان الناشئة في مدة وجيزة قبل حياته المدرسية لتستفيد من دراسة العلوم الطبيعية والعصرية ، وتكون هذه العلوم لديها أسلحة عصرية وقوة أسلامية يرهب بها عدو الله وعدو الأسلام وأعداء الأنسانية ، وإلا تستحيل تلك العلوم ناراً تحرق عواطفها وعقائدها وأفكارها ، فيخسرون الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين ، (رابعاً) نشر حقائق التعاليم الأسلامية على أساس الفطرة حسبما كان في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وإعادتها الى صورها التي كانت

في صدر الاسلام ، وتعميم التخلق بالأخلاق الأسلامية ، وإيجاد التوحيد في فرق التوحيد ، (خامساً) تقوية الشعور الديني في الطبقات المستنيرة ، باعزاز مركز الدين أمام البحث العلمي والتفكير الحر وتيارات التقدم العقلي وتأييده تأييداً يقوم على إحترام العقل واعطائه حقه الكامل في البحث النزيه إلتماساً المعرفة ، فيعتمد هذا التأييد على مقابلة الدليل بالدليل وعلى الأقناع بطرق الاقناع الصحيحة ، مع البعد عن الوسائل الأرهابية ، وعن الأرتكاز على السلطة الروحية المستبدة ، (سادساً) توضيح أن الاسلام ليس ديناً بالمعنى الذي يعرف في أوربا ويأخذه بعض الشباب المثقف في أقطار الشرق الاسلامي تقليداً بلا فهم ولا علم ظانين أنه كسائر الأديان لا يصح أن يتخذ أساساً في الحياة الأجتماعية ، لكن الاسلام (دين) يصل الأنسان بربه و (شرع) ينظم علاقات الناس بعضهم ببعض و (سياسة) يحدد صلات المسلمين بغيرهم من الأمم ، و (أخلاق) ترفع الانسان الى أسمى غاية من مراحل الكمال الممكن .

﴿ الدعوة الى جمع الكلمة ﴾

فلننهض لتوحيد صفوفنا ، وإيجاد القوى المادية والأدبية حسبما أمرنا الله تعالى بأعدادها بقوله تعالى : (وأعدوا لهم ما إستطعتم من قوة) وليأتين كل واحد منا بما يقدر عليه ولو كان ضئيلا ، فمن تراكم ذرات التراب تكونت أعظم الجبال ، ومن تراكد قطرات الماء تألفت البحار ، ولا يخفى أن إنحلال الخلافة الشكلية جعل الأتحاد السياسي للمسلمين كغير الممكن

لأن المملكة الاسلامية الامبراطورية تقطعت ، وأصبحت كل قطعة من بلاد المسلمين تتبع سياسة حليفتها أو مستعمرتها من الحكومات الغربية القائمة على القوميات المختلفة والمطامع الأستعمارية التي ليس في الامكان إتفاقها وإتحادها ، ولا مناص لحكومة القطعة الأسلامية المستقلة من أن توحد سياستها مع حليفتها الغربية ، وفي الوقت ذاته أوجد إنحلال الخلافة إمكان الأتحاد الديني للمسلمين ، الذي لم يكن ممكناً مع وجود الخليفة الذي كان في يده كل شيء من أمور المسلمين ، وهو كان مالكا له سياسة وكان ينفذها باسم الدين ، أما وقد إنحلت الخلافة ورجع الأمر للمسلمين ، فقد أصبح في أيديهم هذا الأتحاد الديني عن طريق تهيئة الأتحاد في الحالات الأجتماعية والتعاون على تهذيب الاخلاق ، وتقريب وجهات النظر في المذاهب الأسلامية ، وتوحيد الكلمة الدينية ، والدفاع عن العقائد الاسلامية المشتركة التي هي الأسس القوية لجميع المذاهب الاسلامية ، ولأجل ذلك رأينا من الواجب أن ندعوا جميع فرق المسلمين الى هذا الأتحاد ، وهذه الوحدة ، ونحن نرى إمكان هذا التوحيد ، لأن أصول الدين عند الشيعة والسنة ثلاثة ، التوحيد ، النبوة ، المعاد ، ومن إعتقد بها فهو مسلم عند الجميع ، وأما الامامة ، والعدل ، فهما أصلان مذهبيان لدى الشيعة يعتبران لكمال الأيمان ، وفروع الدين من العبادات المتفق عليها عند الفريقين هي الصلوة والصوم ، الزكوة ، الحج ، الجهاد لحفظ بيضة الأسلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا الأخير من أهم التعاليم الأسلامية الموجبة لبقاء

الاسلام خالداً الى آخر الدنيا ، ويشترط فيه أن يكون وسيلة للخير ، لقوله تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) وأما إذا كان طريقاً للشر ، كما إذا أوجب تفرقة بين المسلمين ، و وسيلة للفوارق المذهبية فهو حرام ، وهو المراد بقوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا وإختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات . واولئك لهم عذاب عظيم) أي بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هما وسيلتان للخير . أو باتخاذهما وسيلة للتفرقة والشر ولقد وافق على دعوتنا هذه . علماء هذه البلدة . وأمراؤها وزعماؤها وشيوخها . وشبابها . وكهولها . وشاهدنا الأقبال عليها عاماً شاملا . حتى بتنا لا نخاف عليها إلا من إنقطاع الحركة بعد سفرنا ومغادرتنا هذه البلدة ولذلك أرى أن تؤلف لجنة خاصة لتقوم بهذا الأمر والدعاية له . على أن ترتبط هذه اللجنة مع اللجان الاخرى في سائر البلاد .

أما اللجنة المركزية - التي اتفقنا عليها مع فضيلة شيخ الجامع الازهر - فاننا سنضع لها برنامجاً يؤدي الى عقد مؤتمر إسلامي عام تمهد باللجان المنوه عنها لعقده وتسهيل مهمته و (إن اردت إلا الاصلاح ما إستطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . والسلام عليكم ورحمة الله .

(الخطبة الخامسة)

التي إرتجلها الأمام الزنجاني في مؤتمر العلماء المنعقـد بدمشق بتاريخ (١١ـ ١٣ رجب ١٣٥٧ هـ) و (٦ـ ٨ ايلول ١٩٣٨) وتعليقات الصحف الدمشقية عليها . نقـلا عن جريدة الأنشاء الدمشقية ١٣ رجب ١٣٥٧ و ٨ ايلول ١٩٣٨ العدد ٥٤٦ السنة الثانية ونقلا عن جريدة (الأيام) الدمشقية العدد (١٦٤٦) ٨ ايلول ١٩٣٨ . ونقلا عن جريدة (الاستقلال العربي) الدمشقية ١٤ رجب ١٣٥٧ و ٩ ايلول ١٩٣٨ العـدد ٢٣٩ ـ ٣١٤ ـ ١٣ .

أجاب الأمام الزنجاني دعوة للحضور في (مؤتمر العلماء الأول) لكي يمثل فيه الشيعة الأمامية . وعبثاً حاولت الحكومة الفرنسية المستعمرة أن تحول دون وصول الأمام الزنجاني الى المؤتمر . وحذرت الأكثرية النصرانية في لبنان من مساعي الأمام الزنجاني لتحقيق الوحدة الاسلاميـة . وعبثاً تعنتت وإعتزت باساليبها الاستعمارية لتمنع الأمام الزنجاني من دخول سوريا ولبنان . فأن زعماء العرب والمسلمين . وملوكهم وفي طليعتهم جلالة الملك غازي الأول ملك العراق إستطاعوا أن يفتحوا الطريق — رغم جهود المستعمر — للأمام الزنجاني . فدخل سوريا وحضر في مؤتمر العلماء الأول بأعزاز وإجلال لا مزيد عليهما .

عقد مؤتمر العلماء الاول في دمشق جلسته الأولى في الساعة الرابعة بعد ظهر أمس المصادف ١١ رجب ١٣٥٧ برآسة أكبرهم سناً وهو الاستاذ الشيخ طاهر الأتاسي مفتي حمص . وشقيق رئيس الجمهورية السورية السيد هاشم الأتاسي . وكانت رغبات جميع اعضاء المؤتمر متفقـة على انتخاب الامام الزنجاني رئيساً . ولكن سماحته قال : ان المصلحـة تقضي بتعيين فضيـلة الشيخ طاهر الاتاسي رئيساً — لمناسبات لا تخفى — فأمتنعت الاكثرية اولا . ثم وافقت نزولا عند إرادة الامام الزنجاني .

وفي الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر أمس (الأربعاء) عقد مؤتمر العلماء الأول جلسته الثانية وبعـد افتتاح الجلسة القى الأمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني كلمة أشار فيها الى المؤتمرات التي عقدت منـذ سنين دون أن يستفيد منها أحد في العالم الأسلامي وقال :

إذا أراد هـذا المؤتمر أن يحصر أبحاثه ومقرراته بالشؤون الأقليمية فأنه لا يعمل عملا ولا يسجل شيئاً . وذكر أن هذا المؤتمر سيكون أفضـل من المؤتمرات السابقة . ويكون مؤتمراً عالمياً تاريخيا بمقرراته الدينية . لأن الدين من الشؤون العامة العالمية . وتكلم عن رسالته التي يدعو اليها وهي الوحدة الأسلامية وأفاض ببيان ضاف عن مذهب الشيعة الأمامية البالغ عددهم في العالم ثمانين مليونا . وتحدث عن المخابرات التي تمت بينه وبين فضيلة المراغي شيخ الجامع الازهر وسائر علماء المسلمين . ثم تلى الكتب المتبادلة بينه وبين زعماء الاقطار الاسلامية والعربية بشأن الوحدة الأسلامية وتأليف مجلس

اسلامي أعلى وقدمها الى المؤتمر فأحيلت الى اللجنة التحضيرية .

(نص الخطبة الخامسة)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي أكرم العلماء وجعلهم ورثة الأنبياء وفضل مدادهم على دماء الشهداء وصلى الله على أشرف انبيائه محمد وآله الأئمة وأصحابه الأمناء وبعد فقد قال الله تعالى: « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » طالما كنت أتمنى أن يقوم العلماء من جميع المذاهب الأسلامية بواجبهم . فيلتقوا في مؤتمر عام تتجدد دوراته من حين لحين في مختلف الممالك الأسلامية ليتشاوروا في إصلاح التعليم الديني . ويضعوا الخطط للدفاع عن الجبهة المشتركة ويتعاونوا في العمل لصالح الاسلام والمسلمين الأجتماعي جريا على سنة عصرنا الحاضر ليكون عملهم أدعى الى الرضاء العام وأفعل في الوصول الى الحقائق وأرى أن أحسن الوسائل لضمان مستقبل لهذا التعاون بين علماء المستقبل أن ينشأوا تحت نظام من التعليم والتربية متشابه ليسهل ذلك عليهم التفاهم والعمل لتحقيق المقصد الأسمى ويحصل بذلك توحيد الثقافة . ووحدة الشعور والمشاعر فيزول الأختلاف والأفتراق عن أساسه لأن من أهم الواجب على العلماء أن يبذلوا أقصى جهودهم لجمع كلمة المسلمين الذين تجمعهم عقيدة التوحيد ومقاصد الأسلام للحصول على

روح الأتحاد في العمل لحفظ العقائد الأسلامية المشتركة ، ومكافحة الألحاد والفوضى الأخلاقية ، ولتنظيم العمل الأجتماعي ، والوحدة الروحيـة ، ورفع كيان المسلمين الى المستوى الأعلى في حياتهم الأجتماعية ، والعمل على تقريب وجهات النظر بين الطوائف الأسلامية المختلفـة بحيث يشعر الكل أنهم إخوان في الأسلام يحتاجون الى التضافر والتعاون بدلا من المخاصمة والعداء ، ودفع الشبهات التي يلقيها الأعداء على الأسلام وإرشاد النشء وتثبيت العقيدة عنده ، والحيلولة بينه وبين الأفتتان بما يملك خصوم الأسلام من القوى المادية والمدنية الباهرة ، أيها الأعلام : أرى من الواجب في هذه الكلمة التي رغبتم الينا في أن أفتتح بها هذا المؤتمر أن ألفت أنظاركم الى المؤتمرات التي عقدت منذ سنين دون أن يستفيد منها أحد في العالم الأسلامي ، وإذا أراد هذا المؤتمر - مؤتمر العلماء - أن يحصر أبحاثه ومقرراته بالشؤون الأقليمية ، فأنه لا يعمل عملا ولا يسجل شيئاً وأتمنى أن يكون هذا المؤتمر أفضل من المؤتمرات السابقـة ، وأن يصبر مؤتمراً عاماً تاريخياً بمقرراته الدينية ، والدين من الشؤون العامة العالميـة ، لا سيا دين الأسلام في مبادئه الأنسانية السامية العليا ، وفي قواعده الحكيمة الرفيعة العامة ، وفي أهدافه الأصلاحية التنظيمية الأجتماعية الكبرى لا يقتصر على أن يكون عقيدة فردية خاصة ، بل هو أيضا عمل وأمل ، وهمة وإنتظام ، وحسن تدبير للحياة المشتركة بين من يعيشون تحت سماء واحدة تظلهم ، وفوق ارض واحـدة تقلهم ، ورسالة إجتماعيـة عامة الى

البشر قاطبة ، جاءت تحمل الأحترام للأنسان مطلقاً ، والرحمة العامة بين الناس مهما إختلفت أجناسهم ومذاهبهم ، ليعيشوا بعيدين عن العصبيات الذميمة التي تقطع عليهم طريق التعاون في العمل المفيد المجموع ، تلك العصبيات التي أينما وجدت اليوم فأنما هو أثر سيء ، وطابع كريه من طوابع الأستعمار القديم والحديث الذي يئس اليوم من أن يبرر مقاصده الغاشمة فلم ير وسيلة أكبر مفعولا في إخفاء تلك المقاصد وسترها عن أنظار الضعفاء المبينة لهم ، سوى إيجاد النعرات المذهبية ، والعصبيات الطائفية ، ليلهيهم عن شؤنهم وشجونهم ، متباكياً بدموع الكذب على من يسميهم بالأقليات زاعماً حمايتها لتثبيت أقدامه فوق مخانق الجميع ، على نحو الأسلوب الشيطاني الذي قال فيه نبينا (ص) : « أما بعد أيها الناس فأن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه يطمع فيما سوى ذلك ، فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم ، فأحذروه على دينكم » واذا كان الأستعمار قد حاول أن يمس بهذه الفكرة الخبيثة وطنية رجال السياسة في شيء ما ، فقد إستهدف أيضاً أن يجني على الدين الأسلامي في المراكز الأسلامية جناية كبرى في وصمه ، وتشويه سماحته ورحابته في مبادئه الحيوية الأنسانية العامة والبريئة من كريه العصبيات وفكرة العدوان ، ذلك لأن الدين الأسلامي ـ وهذه مبادئه ـ لا يجتمع مع الأستعمار في مكان أو زمان ، وهو أكبر ضمان للعمل الدائب على طرده ، وحفظ وحدة الصفوف في الحياة المشتركة بين المسلمين قال الله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى

وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم : (الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله) لذلك وجب على علماء الأسلام أن يبادروا الى وظيفتهم في مضاعفة الجهود لعرض حقائق الأسلام وصحائفه الناصعة التي تتكفل بخدمتين عظيمتين هما ، حسم دسائس الأستعمار ، وتمتين الأسلام في نفوس أبنائه ذلك التمتين الذي من نتائجه تحقيق إتحاد شامل بين المسلمين على أساس العقيدة الأسلامية النبيلة لا على أساس المجاملات الفارغة ، الأمر الذي لا يحمل سوى علماء المسلمين العمل في مضماره ، ولما كان تعاقب الحوادث المؤسفة قد أفقد المسلمين كثيراً من مقوماتهم الدينية والأخلاقية والأجتماعية حتى أصبح منظوراً في حياتهم من هذه النواحي نواقص كثيرة ، يجب تلافيها في ظواهرها وخوافيها ، وكان التطور الزمني الذي يسايره الأسلام يقضي بأن يكون ذلك التلافي منظماً وعاماً في جميع المراكز الأسلامية ، قائماً على أيد قوية دائمة في جبهة موحدة مشتركة من علماء المسلمين ، شعر العلماء بضرورة التعارف والتوافق ، وعرفوا أن التفكير بأيجاد كيان منظم لهم أضحى في مقدمة الأمور التي يتطلبها هذا العصر المادي الذي لا يقدر إلا القوة ولا يهتم إلا بالمنظمات ذات البرامج الموضوعة والأعمال البارزة والصوت الداوي ، أما من يعمل في زوايا البيوت ، وبين جدران المعابد والمدارس ، ولا يصل صوته الى المجتمع الصاخب ، الذي يعيش فيه العالم اليوم فلا حظ له في الحياة ، ولا نصيب له من مباهجها ونعمائها ، وإن أشد

ما يأسف له العقلاء أن يرى علماء المسلمين قد سلكوا تلك الطريقة الخاطئة في العزلة والأنزواء والصدوف عن الأهتمام بشؤن المسلمين الدنيوية الى جانب الشؤن الدينية ، رغم أن هـذا مما يتنافى مع روح الأسلام ، ومع السنن النبوية (ص) التي إتبعها أئمة المسلمين ورجالات الأسلام الأولون الذين كانت لهم الجولات المعروفة في ميادين الحرب والأدارة والسياسة على جانب مواقفهم الدينية الأخروية العظيمة ، ولم يكن العـلم ليمنعهم عن الأنصراف الى العمل المتصل مباشرة بالحياة ، ولم يكن الدين والأنعكاف ليحول بينهم وبين الأهتمام بالشئون الدنيوية المسلمين ، عملا منهم بقوله تعالى : « وإبتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » والقول المأثور عن الأمام الحسن ابن علي ابن أبي طالب (ع) : « إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، وإعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » وكانوا مؤمنين بأن الدنيا مزرعة الآخرة ، أجل لقد كان علماء المسلمين الأولون يعرفون الواجب الثقيل الملقي على عاتقهم ، وكانوا يعلمون أن (العلماء ورثة الأنبياء) وهل وظيفة الأنبياء غير الوعظ والأرشاد ، وإنقاذ البشرية مما ترتطم به من الضلال والمفاسد والأخطاء ، والسير بها إلى طريق الهدى والصلاح ، والعمل المثمر الطيب ، ولهذا كان للعلماء ذلك المقـام السامي لدى الخلفاء والأمراء والسلاطين والرأي العام وكان لكثير منهم النصيب الأكبر في تسيير الأمور ، وادارة الممالك ، والقيام بأثقـل الأعباء الأستشارية والسياسية والأدارية ، ولم يكن هذا حائلا دون إشتغالهم

بالعلم ، أو تلهيهم عن أمور الدين ، بل كان الأمر بالعكس من ذلك لأنه عندهم من جملة ما قرره الأسلام المتكفل لسعادة المسلمين في الدنيا وفي الآخرة ، ونظرة واحدة إلى التاريخ الأسلامي تثبت لنا أن أعظم رجال الأنتاج العلمي في العهود الأسلامية الماضية كان من العلماء الذين تولوا المناصب الرفيعة في الدولة الأسلامية ـ كالشيخ رئيس الفلاسفة إبن سينا ودعامة الأسلام الخواجة نصير الدين الطوسي ، وآية الله العلامة الحلي ، أقرب المقربين في بلاط السلطان الجايتو محمد خدابنده ، وأمثالهم الذين تشعشع بهم مذهب التشيع الأسلامي ، وإن تلك العصور الذهبية التي كان يضطلع فيها العلماء بأكبر المسؤليات والمناصب الأسلامية قد تركت لنا تراثاً من البحوث الدينية والفقهية والكلامية و العلمية ، والفلسفية ، والمؤلفات الثمينة لم نجد أثراً لشيء منها في العصور التي إعتزل فيها علماء المسلمين الشئون الدنيوية ، وإنزووا بين جدران التكايا وفي حجرات المدارس والمساجد ، ولو رحنا نلتمس السبب في هذا الجمود الذي إستحوذ على العلماء ، فأنساهم المهمة التي إنتدبهم الأسلام لها ، والواجب العظيم الذي ألقاه إليهم العلم الذي ينتسبون إليه لما رأينا ذلك السبب إلا كامناً في نفوسهم ، فهم الذين رضوا بالمكانة التي وضعوا أنفسهم فيها ، وتركوا المكانة التي عينها لهم الدين ، فكانوا في ذلك الجمود وهذا التواكل ملومين من جانب الله تعالى ، ومن جانب المسلمين ، ومن جانب أنفسهم وإذا رأينا العلماء يفكرون ـ بعد نوم طويل ـ برابطة تجمع شملهم ، وجمعية

ترأب صدعهم ، ويعقـدون مؤتمراً للتفكير بما يعود عليهم وعلى المجتمع الأسلامي ، وعلى العلم الديني الذي كاد أن يتداركه الأضمحلال ، بالنفع فان هذا العمل ـ وإن جاء متأخراً ـ فهو يدعوا الى الأعجاب والأكبار ، ويوحي إلى النفوس العمل بأحياء ما كان يندثر من تراث السلف الصالح ، ويبشر بأن موجة الألحاد والتبشير التي تطغى علينا من الغرب والشرق ستجد أمامها بعـد اليوم سداً منيعاً يحول دون تسربها إلى بعض العقول الطائشة وذوي الأيمان المتزعزع ، ولا شك أن هـذا المؤتمر ـ الذي لي شرف الأنتماء اليه ـ يعرف ثقل العبء الملقى على عاتقه في الأصلاح الديني وتوحيد كلمة المسلمين ومحاربة البـدع ، وإعلاء كلمة الله ، ورفع مستوى العلماء ، ومتى تم له ذلك فميادين العمل بعد ذلك رحبة له أن يدخلها متى شاء ، وهـذا المؤتمر في خطواته الأولى بحاجة إلى العمل في جو هادىء حيادي ، لا يعكر عليه فيه معكر ، ولا يترك مجالا لسلطة ـ بالغة ما بلغت من القوة ـ أن تتخذ أي حجة للتدخل بشئونه ، والعمل على عرقلة مساعيه وإصلاحاته ، التي تحتاج إليها الأمة الأسلامية أشد الأحتياج ، كما نرجوا أن تكون مقررات المؤتمر مما يمكن تنفيذه ولا يستحيل القيام به ، والعبرة ليست في إتخاذ المقررات ووضع الخطط ، بل في تنفيذها والأستفادة منها وإن قراراً واحداً يمكن تنفيذه خير من ألف قرار تبقى مسجلة في الصحف وفي الطروس ، ويجب الأنتباه على أن الأمبراطورية الأسلامية زالت عن الوجود بدسائس إستعمارية وأصبح في مكانها حكومات صغيرة

وتفرقت الأمة الأسلامية الكبرى والعريقة في المجد والعظمة الى شعوب صغيرة وأمم ضعيفة متحفزة الى النهوض والحياة في هذا العصر الذي يمتاز عن غيره بتزاحم العوامل المختلفة فيه من مادية ومعنوية ، ولما كانت الأدوار الأنشائية العامة في تكوين الأمم المتحفزة الى النهوض والحياة من أخطر الأدوار التي تمر بها الأمم كما في عهدنا الأنشائي الحديث اليوم ، إذ تكون تلك الأدوار مفترق طرق يقذف بالسائرين فيه إما إلى هناء وإما إلى شقاء ، ـ من حيث تشعر أولا تشعر ـ في ركني حياتها المادي والروحي قضى الواجب المحتم على كل ذي إخلاص وإختصاص أن يبادر إلى المساهمة في بنيان أمته الناشئة بهمته الصادقة ضمن خطته وإختصاصه ، ليكون مليء الصحيفة بالآثار الناطقة الناصعة ، بريء الساحة من السؤال عن التهاون في التعاون للحياة الصالحة ، ولما كان شأن رجال الدين يقف بهم على ذروة المراقبة والنظر فيما يضمن للأمة تلك الحياة الصالحة وثمراتها اليانعة ، والعمل على مايداوي عللها ، ويسد خللها ، ويمنع زللها ، ويصعد بها عارجا في مراقي الكمال البشري وفضائل الأنسانية ، كي لا تطغى عليها المادة فتفرقها في ضلالها عن خالقها ، وتجمع بها النزعات في شهواتها ، فتنسيها أمانتها وواجباتها وأخلاقها ، فترجع القهقري من حيث تظن التقدم ، وترسب في حضيض الرذيلة من حيث تبغي السمو ، فمن المؤسف ما بلغني من أن أحد المشاهير بالورع من علماء إخواننا السنة فى دمشق ـ الشيخ علي دقر ـ العضو فى هذا المؤتمر أفتى في هذه السنة بحرمة ذبيحة الشيعي حينما أحل هذا المفتي

ذبيحة النصارى واليهود ، ولقد أوجدت هذه الفتوى العجيبة مشاكل عظيمة في ضواحي دمشق والأرياف ، وأحدثت تفرقة عظيمة حالت دون تحقيق ما يتوخاه هذا المؤتمر من توحيد كلمة المسلمين وتقريب بعض طوائفهم من بعض ، وهذا المفتي لم يلتفت الى أن الاسلام دين عام خالد ، ولم يجعله الله تعالى خاتم الأديان وهو يريد به التفريق بين الأهل والعشيرة ولا بين العناصر والطوائف والمذاهب ولا بين أبناء الوطن الواحد ولا بين النوع الأنساني بأكمله ، بل اثبت به السعادة المزدوجة لتوفق بين مطالب الروح ومطالب الجسد على مقتضى ناموس عادل ، وصراط مستقيم ونظر الأسلام الى الأمم الأسلامية بأعتبارها طائفة واحدة تحدها العقائد المقدسة المشتركة : التوحيد ، والنبوة ، والمعاد ، والقرآن الكريم ، والأتجاه الى القبلة والصلوة اليها وسائر ضروريات الأسلام التي تعتقد بجميعها الشيعة وجميع المسلمين ويعملون بها جميعاً ، فلا ينظر الأسلام الى عنصر ، ولا إلى مذهب ، بل إلى وحدة خلع الأسلام عليها ثوبه ، وجعلها تحت رايتـه ، فاصطبغت بصبغته ، ودانت بكتابه فقال الله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » ولقد كلفنا الأسلام بجميل الخصال ومحاسن الخلال ، لنفعلها فيما بيننا ونقوم بها نحو العالم أجمع ، طارحين على اختلاف الديانات والمذاهب غطاءاً كثيفاً وحجابا غليظاً ، لأن الخطر الذي يداهم الأنسانية ، والشرور التي تغمرها وتطغى على ما بقي في النفوس من هيبة وإحترام للنظم الآلهية لا تجيء من أديان المخالفين ، وإنما تجيء من الألحاد ، ومن المذاهب التي تقدس المادة

وتعبدها، وتستهين بتعاليم الأديان وتعدها هزواً ولعبا، فطريق الأصلاح في العالم الأسلامي المتموج بموجات الأضطراب، بعد أن منيت الأمبراطورية الأسلامية بالأنحلال، وإستحوذت عليه الفوارق أن نجعل دعوتنا إليه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الذي لا يجرح العواطف، ونهض للعمل الجدي المتواصل لتوحيد فرق التوحيد، وجمع كلمة المسلمين على إختلاف مذاهبهم، وتوحيد صفوفهم وتقريب بعضهم من بعض، والنظر إلى سيرة أرقى الممثلين للمذاهب الأسلامية لا إلى أحط الآخذين بها، وتنقية الشعور الديني من الشوائب والأغراض وتحقيق الأخاء الأسلامي العام الشامل والوحدة الأسلامية الكبرى، ثم التدرج في الأرتقاء الى مرحلة تحقيق الوحدة الدينية، مع أهل سائر الأديان السماوية المدلول عليها بقوله تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) والأنتهاء الى الأخاء الأنساني الشامل: المشار اليه بقوله تعالى: «ولقد كرمنا بني آدم» أيها الأعلام إسمحوا لي أن ألخص عقائد الشيعة الأمامية التي أمثلها أنا في هذا المؤتمر تمهيداً لأقتراحاتي التي سينظر المؤتمر فيها عسى أن ينتبه بها فضيلة المفتي ويعيد النظر في فتواه بعد أن يرى أن عقيدة الشيعة عين عقيدة المسلمين الذين كانوا في عهد النبي (ص) وكان رسول الله يأكل من ذبيحتهم.

﴿ عقيدة الشيعة الأمامية في التوحيد ﴾

شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ذاته وفي صفاته وفي

أفعاله وفي آثاره ، والأيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقضاء والقدر ، وتعتقد بأن الله تعالى واجب الوجود بذاته ولذاته وفي ذاته ، ومنزه عن التجسم ، والحلول والتركيب والنقائص ، ومستجمع لجميع صفات الكمال من العلم والقدرة والأرادة والعدل ونحوها ، وأن صفاته الحقيقية عين ذاته ، وهو الواحد الأحد لا شريك له في الألوهية ، ولا في المعبودية ولا في الفاعلية ، وما سواه من العالم صنيعه لا إله غيره ، ولا معبود سواه ، ولا حول ولا قوة إلا به له الخلق والأمر ، ولا مؤثر غيره في عالم الوجود ، وهو المستقل بالخلق والرزق والموت والحياة والأيجاد والأعدام ، والعفو والعقاب ، فمن إعتقد أن شيئاً من الرزق أو الخلق أو الموت أو الحياة لغير الله فهو كافر مشرك خارج عن ربقة الأسلام ، ولا تجوز العبادة إلا لله وحده لا شريك له .

﴿ عقيدة الشيعة في النبوة ﴾

تعتقد الشيعة الأمامية أن جميع الأنبياء الذين نص عليهم القرآن الكريم والرسول الخاتم (ص) رسل من الله وعباد مكرمون بعثهم الله لدعوة الخلق إليه ، وإن محمداً إبن عبدالله (ص) خاتم الأنبياء وسيد الرسل ، وأنه معصوم من الخطأ والخطيئة ، وأنه ما إرتكب المعصية مدة عمره ، وما فعل إلا ما يوافق رضاء الله سبحانه حتى قبضه الله اليه ، وأنه بلغ جميع رسالته من الله تعالى فأستحق أجر الرسالة المنصوص عليه بقوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) وأن الكتاب

الموجود في أيدي المسلمين (القرآن الكريم) هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للأعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام ، وتمييز الحلال من الحرام ، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة ، وأن كل من إعتقد أو إدعى نبوة بعد نبوة محمد (ص) أو نزول وحي أو كتاب فهو كافر .

﴿ عقيدة الشيعة في المعاد ﴾

تعتقد الشيعة الأمامية كما يعتقد سائر المسلمين أن الله سبحانه وتعالى يعيد الخلائق ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء ، ولولاه لما صح التشريع ، وأن المعاد هو الشخص بعينه وبجسده وروحه بحيث لو رآه الرائي لعرفه ، ويؤمنون بجميع ما في القرآن الكريم والسنة القطعية من الجنة والنار ، ونعيم البرزخ وعذابه ، والميزان والصراط والأعراف والكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وأن الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، (وتعتقد الشيعة) الأمامية أن لله في كل واقعة حكما حتى أرش الخدش ، وما من عمل من أعمال المكلفين من حركة أو سكون إلا ولله بحسب الدين الأسلامي فيه حكم من الأحكام الخمسة ، الوجوب ، والحرمة ، والندب ، والكراهة ، والأباحة وما من معاملة على مال أو عقد نكاح ونحوهما الا وللشرع الأسلامي فيه حكم من صحة أو فساد ، أودع الله جميع تلك الأحكام عند نبيه خاتم الانبياء (ص) وعرفها النبي (ص) بالوحي ثم بينها حسب حدوث الوقايع وحصول الأبتلاء

مراعياً في تبليغها حكمة التدريج ، ثم أودع البقية عند أوصيائه ، وأنتهى الأمر في زمن الغيبة الى الأجتهاد وإستنباط ذوى الملكة أحكام الفروع من كتاب الله وسنة رسوله (ص) اذ يقضي كون الأسلام ديناً عاماً خالداً بلزوم فتح باب الأجتهاد دائماً الى آخر الدنيا ، وتعتقد الشيعة بوجوب الصلوة والصوم والزكاة والخمس والحج والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبجميع ما قرره الدين الأسلامي من الحقوق المتبادلة ، والنظم الكافية وأن الأسلام هو الدين الوحيد الذي يتمشى مع الزمان في كل أطواره ، ويدور مع الدهر في جميع أدواره ، ويسد حاجات البشر ، في نظم معاشهم ومعادهم ، وجلب صلاحهم ، ودرء فسادهم .

(ولما وصل الأمام الزنجاني في خطابه الى هذا المقام ، نهض فضيلة الشيخ علي الدقر ، واعتذر عن فوهاه وأعلن حلية ذبيحة الشيعة) فشكره المؤتمر الذي بلغ أعضاءه مأة وخمسة أعضاء ، ولم يكن بينهم عالم شيعي سوى الأمام الزنجاني ، وبينما كان الأمام الزنجاني يشرح على المنصة مذهب الشيعة الأمامية وعقائدها في أصول الدين وفروعه ، وكانت هيئة الحكومة وألوف المستمعين وأرباب الصحف وأعضاء المؤتمر يستمعون اليه بكل عناية اذ نهض رئيس المؤتمر (وهو أكبر الأعضاء سناً وشقيق رئيس الجمهورية السورية) (وتكلم بكلام عن الشيعة لا يصور الحقيقة بل قد يمهد للفتنة فرد عليه الأمام الزنجاني رداً شديداً أوقفه عند حده ، وشفعه بحكمة أفهمته أن الحق أحق ان يتبع وسيطر الأمام الزنجاني على الموقف سيطرة قوية ،

لو كانت دمشق وطنه ، ولو كان رئيس الجمهورية شقيقه ، وكانت أعضاء المؤتمر كلهم من الشيعة لم يمكن أن يكون موقفه أشد من الذى قام به) ثم إلتمس المؤتمر من الأمام الزنجاني ان يستمر في خطابه فأجابهم وقال : إللهم إنا أصبحنا في زمن إختلط فيه الحابل بالنابل ، وصال فيه المقعدون ، وقعد فيه الصائلون وإنتحل التدريس والعلم والقضاء قوم لا تليق بهم نعمة الشعور ولا تنسبغ عليهم ظلال العلم فأغتصبوا العالم مجاله والناطق معتركه ومصاله إنا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . ثم قال :

﴿ عقيدة الشيعة في الامامة ﴾

تعتقد الشيعة الأمامية أن الأمامة رئاسة في الدين والدنيا ومنصب إلهي لمن يختاره الله بسابق علمه ويأمر النبي (ص) بأن يدل الأمة عليه ويأمرهم بأتباعه والأمام حافظ للدين وتعاليمه وللقرآن من التغيير والتبديل والتحريف وحيث أن الأسلام دين عام خالد كلف الله تعالى به جميع البشر وتعاليمه فطرية أبدية اراد الله بقائه الى آخر الدنيا فلابد من ان ينصب الله إماماً لحفظه في كل عصر لكي لا يتوجه نقض الغرض المستحيل على الحكيم تعالى والشيعة مع اعتقادها بالنص في الأمامة وربط ما بعد وفاة النبي (ص) الى ما قبلها لا تعتبر الأمامة اصلا من اصول الأسلام ويعتبر كل معتقد بالتوحيد والنبوة والمعاد مسلماً وان لم يكن معتقداً بالأمامة له ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فالأمامة عند الشيعة أصل مذهبي يؤدى الى تكميل الايمان وعلو درجات الآخرة وإنها تقدر ما قام به الخلفاء من بسط

راية الأسلام على البسيطة، وتأسيس الأمبراطورية الأسلامية ؛ فالعجب من بعض علماء السنة أنهم مع إعترافهم بعدم النص في حق الخلفاء وبأن الخلافة حدثت بعد وفاة النبي (ص) بأختيار الحاضرين من المسلمين وأن قبل وفاة النبي (ص) لم يكن في الأسلام والمسلمين إسم من الخلافة ولا من الخليفة، كيف يتوقفون في الحكم بأسلام من لم يعتقد بالخلافة، أو لم يخلص للخليفة، مع إعتقاده بالتوحيد والرسالة والمعاد، وبالقرآن وبجميع ما جاء به نبينا محمد (ص) كما كان المسلمون في عهد النبي (ص) يعتقدون بها، ويعتقد الشيعة أن الدين الأسلامي ممتاز من سائر الأديان الآلهية بأستهدافه السعادة المزدوجة، وإستجماعه عناصر الخلود، وموجبات عموم الدعوة، إذ أسست تعاليمه الأصلية على صرائح العقول السليمة ومقتضيات الفطرة، وأسندت تعاليمه الفرعية إلى الغرائز الأنسانية الطبيعية التي تثبت في كل زمان، وتصلح لكل قوم، فهو دين عام خالد صالح لكل عصر، ويوافق كل أمة، ولا يقبل النسخ ما دامت الفطرة الأنسانية موجودة في العالم، وهو ناسخ ومكمل لما سبقه من الأديان، شرعه الله للعباد بعد تهيئتهم للكمال الدائم بواسطة الشرائع السماوية السابقة عليه. نعم ترقت الأقوام البشرية جيلا فجيلا. وكان لها في كل مرحلة من مراحل إرتقائها دين يناسبها وأخيراً جاء الأسلام وقد بلغت الأنسانية رشدها فكان ديناً وسطاً عرف لكل من الجسم والروح حقه. وبنيت أحكامه على الأعتدال من غير إفراط ولا تفريط. وكان نظاماً كاملا شاملا لا يقف نفعه على الأمة

الأسلامية وحدها . بل هو عام للمجموع البشري إذ قد أسس على قاعدة المساواة وإحترام الحقوق ولذلك صارت الدعوة إليها عامة دائمية وكلف الله به جميع البشر على إختلاف قومياتهم الى الأبد فكان لا بد لهذا الدين الآلهي العام الخالد من قانون إلهي ودستور سماوي يسايره في البقاء والدوام بنفسه لا بمجرد ذكر لخبره وهو كتاب الله المعجز الخالد أعني القرآن الكريم الذي جاء بالناموس الأعظم لكمال الحياتين الدنيوية والأخروية . وهو كافل لكل ما يهم البشر لسعادته في آخرته ودنياه . وفي الحياة الفردية والنظم الأجتماعية من أخلاق . وثقافة . وعلوم . وتشريع ففي التشريع الذي ينظم جميع أمور الدين وأمور الدولة والأمور المدنية والجنائية والأحوال الشخصية جاء القرآن الكريم بالآيات القانونية التي عنوانها في الفقه الأسلامي (آيات الأحكام) وهي الأساس الأول للتشريع الاسلامي . وآيات التشريع على قلتها تعرضت الى جميع ما يصدر عن المكلف من أفعال وعن الانسان من أعمال فتعرضت الى العبادات من صوم وصلوة وخمس وزكوة وحج وجهاد والى الأمور المدنية كبيع وإجارة وهبة وصلح ، ومزارعة ومساقاة ووكالة وحوالة وجعالة وربا ونحوها وإلى الأمور الجنائية من قتل وسرقة وزنا وقطع طريق ونحو ذلك ، وإلى نظام الأسرة ، وعوامل التربية ، والأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث ونحوها ، وإلى الأمور الدولية كالشرع الدولي ، والقتال ، وعلاقة المسلمين بالمحاربين ، وما بينهم من عهود ، وغنائم الحرب ، وما إلى ذلك ، والقرآن

بهذه الآيات القانونية وسائر آياته الواردة في الأخلاق ونظام الاجتماع ، قرر القوانين الكلية ، والأصول الأولية ، حتى تكون في نص القانون سعة بحيث يمكن أن يطبق على ما يجد من حاجات ، ويحدث من جزئيات ، تاركا توضيح تفاصيلها الى بيان رسول الله (ص) المكلف به في قوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) وخلفائه وتاركا تخريج أحكام الجزئيات لاجتهاد أهله من أصحاب ملكة الاستنباط يستنبطونها حسب الزمان والمكان من كتاب الله تعالى ومما ورد في بيانه من سنة رسول الله (ص) وخلفائه الأئمة الطاهرين ، التي هي نور مقتبس من نور كتاب الله الكريم يهدي به من يشاء إلى صراط مستقيم وبنور السنة ظهرت تفاصيل ما أجمل في الآيات القرآنية ، وتفاسير ما خفي من غوامض الكلمات الربانية ، (فهو المفسر للكتاب وإنما — نطق النبي لنا به من ربه) فالسنة وحي غير متلو ، تبين القرآن الذي هو وحي متلو ، من ناحية عمومه وخصوصه ، ومطلقه ومقيده ، ومحكمه ومتشابهه ، وناسخه ومنسوخه ، ومنطوقه ومفهومه فوجب أن يكون باب الاجتهاد في الفقه الاسلامي مفتوحاً إلى آخر الدنيا لمن تتوفر فيهم شروطه من الأئمة المطلعين والعلماء المجتهدين ، وذلك لأن الفقه الأسلامي قانون عام وضع للناس كافة في كل زمان ومكان فلابد أن تتقبل نصوصه المصالح المختلفة ، ويكون لولاة الأمور من المجتهدين الذين يتولون تشريع الأحكام والوظائف العملية للناس بالاستنباط فيها سعة ، وذلك هو المثل الأعلى للتشريع الذي يراد به أن يكون شرعة لجميع الأمم

في مختلف العصور ، فأتضح أن سد باب الأجتهاد في الفقه الأسلامي في عهد المتوكل العباسي لأغراض سياسية مناقض لأغراض شارع الأسلام من جميع النواحي ، وبهذا البيان الواضح يستطيع المنصف أن يذعن بأنه ليس للفقه الأسلامي وأحكامه الواقعية مصادر غير الوحي بقسميه المتلو وغير المتلو ، وهو ما إشتمل عليه القرآن الكريم ، ودلت عليه السنة النبوية فجميع أحكامه الواقعية ، وقواعده النفس الأمرية مأخوذة من هذين المصدرين مباشرة ، أو بطريق التخريج والتفريع على عمومهما ، ويلحق بهما الأجماع والعقل عند الشيعة ، والأجماع والقياس عند السنة ، فأنهما وإن عدهما الأصوليون دليلين مستقلين نظراً لما لهما من الأحكام والشروط الخاصة بها ، ولكنهما يرجعان في واقع الأمر الى الكتاب والسنة ، أما القياس عند من يعتبره دليلا من المذاهب الأسلامية ، فقد قال الأصوليون منهم : (أنه كاشف عن وجه تناول النص المقيس ، ويبين طريق دلالته عليه) وهذا معنى قولهم : (إن القياس مظهر لا مثبت) وأما الأجماع في الفروع فوجه حجيته أنه يكشف كشفاً إنياً عن دليل يدل على ما إنعقد الأجماع عليه ، إذ لا تجتمع علماء الأمة على شيء بمجرد الميل ومحض الهوى وليس وجه حجيته دليل اللطف ، أوطريقة الحدس ، أو الملازمة العادية أو العقلية ، وأما العقل فقد ثبت بحكم الكتاب والسنة أن الأحكام الشرعية معللة بالمصالح والحكم ، والعقل هو الذي يدركها فلزم أن يكون ما إستكشفه كشفاً إنياً ، معتبراً ، وفي عدم كفاية كشفه اللمي وبيان مورده ، وثبوت

الملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع تفصيل لا يسعه المقام ، وصفوة القول أن الأجتهاد من لوازم الدين الاسلامي ، ولا ينفك منه ، وبعد إتساع رقعة المملكة الأسلامية مست الحاجة الى الأستنباط المتوقف على معرفة الكتاب والسنة المتوقفة على مبادىء الأستنباط البعيدة كعلم النحو وعلم الكلام وعلم التفسير ، والمبادىء القريبة كعلم اصول الفقه ، واحتاج المستنبطون في أوائل القرن الأول من الهجرة النبوية الى معرفة القوانين والقواعد لأستنباط الأحكام الشرعية من مصادرها ، وأول من نهض بهذه المهمة هو أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب حيث أملى أمهات مسائل علم النحو لأبي الأسود الدوئلي ، ثم قال له أنح هذا النحو فسمي بعد ذلك بعلم النحو وأملى تفسير كتاب الله لتلميذه عبدالله ابن عباس وغيره الذين نشروه ، وبين علم الكلام في خطبه المسجلة في نهج البلاغة وغيرها ثم علمهم كيفية الأستنباط بمختلف الوسائل والطرق وشيد أساس أصول الأستنباط التي سميت بعد ذلك بعلم أصول الفقه ثم توسع في بيانها حفيده المعاصر لأبي حنيفة سبط رسول الله (ص) القائل (إنما يعرف القرآن من خوطب به) وهو باقر العلوم الأمام الخامس أبو جعفر محمد ابن علي عليهما السلام ثم إبنه الأمام السادس الصادق جعفر ابن محمد عليهما السلام ولقد أمليا على جماعة من تلاميذهما تلك القواعد والقوانين وجمعوا منها مسائل رتبها المتأخرون على ترتيب مباحث (أصول الفقه) ككتاب « أصول آل الرسول الأصلية » وكتاب « الفصول المهمة في أصول الأئمة » وكتاب « الأصول الاصلية »

وأول من أفرد بعض مباحثه بالتصنيف « هشام ابن الحكم » تلميذ الأمام الصادق (ع) الذي صنف كتاب « الألفاظ ومباحثها » وهو أهم مباحث أصول الفقه ثم يونس ابن عبد الرحمن وهو تلميذ الأمام السابع الكاظم موسى ابن جعفر عليهما السلام وهو صنف كتاب « إختلاف الحديث » وهو مبحث تعارض الدليلين والتعادل والترجيح بينهما ثم كتبها الشيخ المفيد محمد ابن محمد ابن النعمان فناً قائماً برأسه سماه (أصول الفقة) وكتابه بهذا الأسم معروف، وليس الشافعي محمد ابن إدريس أول من صنف في أصول الفقه في أواخر القرن الثاني الهجري كما زعمه السيوطي وابن خلدون بل الشافعي أخذ هذه القواعد الاصولية عن البيت الهاشمي فصار ذلك سبباً لأتهامه بالتشيع وأصابه ما هو معروف . وإن علمائنا الاعلام قد بلغوا النهاية في تحقيق علم (أصول الفقه) وتدقيق موضوعه وتنقيح مسائله خلفا عن سلف وكانت طريقتهم ولم تزل تقرير القواعد وإتباع الأدلة من دون إلتفات الى موافقة رأي أو مذهب ولكن إخواننا علماء أهل السنة عدلوا عن هذه الطريقة التي سموها (طريق المتكلمين) إلى (طريق الحنفيين) في القرن الخامس ورائدهم فيها صوغ القواعد الأصولية موافقة لما أثر عن أئمتهم في الفروع . وأعتقد أن هذا إحدى نتائج سدهم لباب الأجتهاد . فأتخذوا من علم أصول الفقه الذي إنما دون لتسهيل الأجتهاد ولأجل إستنباط حقائق الأحكام الشرعية الواقعية أداتاً للتقليد من أئمتهم وسد باب الأجتهاد، ثم جاء طائفة من متأخري الحنفية جمعوا بين الطريقتين،

وليت شعري كيف يمكن الجمع بين الأجتهاد وبين التقليد في طريقة واحدة ؟

أيها الأعلام ، كاد أن ينقطع حبل الصلة بين رجال الدين وسائر طبقات المسلمين في هذا القرن العشرين الذي إمتاز بخوارق الأختراعات وتقديس المادة ، وكشف بعض أسرارها ، تلك الخوارق التي فتقت أذهان الناس ، وخلقت عالماً جديداً متكوناً من الفوضى في الأخلاق والأفكار والعقائد ، ووجهت أنظار الناس من مختلف الطبقات الى التفكير الحر ، وعدم الأذعان بشيء مما لا يقبله العقل ولا يساعد عليه البرهان ، فقويت فيها نزعات الشك ، وإندكت فيها أسس العقائد ، وبذلك تبدل أسلوب التفاهم ، وإن النقص الموجود في أسلوب تأليف الكتب الدينية ، ومنهاج التعليم الديني ، وتخالف العلماء في الآراء أوجب إختفاء حقيقة الدين الأسلامي ، فقصرت عقول الناس عن نيل حقيقتها ، الواضحة الغامضة ، وأوجد ذلك حيرة عميقة في النفوس ، فأنفسح المجال لأعداء الأسلام لقلب الحقائق الأسلامية ، والتلفيق فيها ، وإفراغها في غير صورها وتلوينها بغير ألوانها حتى تشابهت بالأديان الأخرى التي لا يستفاد منها إلا في المعابد ، فأتخذها جمع من بسطاء المسلمين معتقدين بأنها هي التعاليم الأسلامية ومجموع ذلك بعث ألسن الناس بتنقص الدين ، والقول بأنه يعطل التفكير والأبداع ، ويدعوا الى الجمود والأنحطاط ، ويصطدم بأسباب الرقي والتقدم ، ويخالف الحياة في جميع نواحيها ، فتكونت عند المسلمين قضايا معقدة تجب المسارعة الى حلها ، إذ بحلها وتحليلها تشع تعاليم الأسلام ،

ويثبت نظام الأمم الأسلامية ، وإرتباط بعضها ببعض ، ويحصل التفاهم المنشود ، وينتهي الى الوحدة الأسلامية ، ولا يقدر على حلها إلا من كان من الراسخين في العلم الذين لهم المعرفة الشاملة القائمة على مقررات العقل الفطري والبحث العلمي . والتفكير الحر . والأحاطة بعظمة لأسلام وأسرار التشريع الأسلامي وبتفاسير كتاب الله المعجز الخالد . على جانب معرفة نفسيات البشر . ومقومات الأمم التي لا تستطيع أمة أن تحيي وترفع رأسها وتجد مكانها في العز والمجد إلا بها فيصوغ فلسفة الأسلام وتعاليمه الخالدة في أسلوب عصري فلسفي . عقلي . لا يشتابه جمود ولا غموض . مراعياً في تسجيلها ما ألفته طباع أهل العصر وجمهور المتعلمين من المسالك الحديثة لكي ترسخ في النفوس وتؤثر في العقول وهذا هو المقصود من كلمة (الأصلاح الديني) وهو من أهم ما ينبغي أن ينظر فيه هذا المؤتمر التاريخي وهذا الأصلاح لا يستوحى من الخيال . ولا يفرض من قوة خارجة عما هو الموجود . إنما هو يجب أن يكون وليد الحقيقة . والوضع القائم وصنيع المؤثرات الأجتماعية والفكرية ومقتضيات الاحوال التي أمر الاسلام برعايتها في كل عصر وإني أرى من الواجب أن ألفت أنظار دعاة الوحدة والاصلاح الى أن الدين يجتاز دور الانتقال ويتحتم على كافة رجاله وعلى هذا المؤتمر أن يدرسوا الموقف الحاضر درساً عميقاً من جميع نواحيه ويسارعوا الى العمل بما تقضي بذلك المصلحة العامة للمسلمين والضرورة الماسة . وينبغي أن لا نخشى مما نراه من الفوضى المقبلة الى العالم فأنها لابد

أن تصطدم يوماً بغريزة التدين والفضيلة والشعور الديني ، والغريزة فطرية للأنسان لا تزول عن الجميع وإن زال بعض آثارها عن البعض ، وينبغي أيضاً أن نجعل نصب أعيننا أننا حينما نسرد العوامل الموجبة لسرعة إنتشار التعاليم الأسلامية ذلك الأنتشار السريع الذي أدهش العالم ، يجب أن نتذكر العامل المتكون من الفوضى في الأخلاق والأفكار والأهواء ، نعم كانت القوى في التقدم ، يتنافس عليها الأكاسرة والقياصرة والتبابعة وكل منها لا يجد سلطتها ولكن فساد الأخلاق وشيوع الأباحة والأشتراكية وأمثالها التي كانت بالغة في أمم العالم أبعد حدودها ، هي التي هيأت جواً صالحاً في العقول والأفكار لقبول التعاليم الأسلامية العادلة ، وأما ما نال المسلمين في العصور الأخيرة من الأنحطاط والذل والهوان وما أقعد بهم عن بلوغ الأمل في سعادة الحياة والسلم الروحي والعز الحقيقي فليس لشيء في طبيعة التدين بالأسلام ، بل لأنحراف في إتجاه الشعور الديني سببته محاولات أشخاص خالين من الضمائر إستغلوا الشعور الديني إستغلالاً مادياً في سبيل مآرب لا نثير دفين مخزياتها ، ويجب أن نعتبر الثقافة العالمية من العوامل المساعدة لتقوية الشعور الديني في الطبقات المستنيرة ، ولتعزيز مركز الدين الاسلامي أمام البحث العلمي والتفكير الحر ، بأذاعة تعاليم الأسلام الفطرية المعتدلة القائمة على إحترام العقل وإعطائه حقه الكامل في البحث النزيه بأسلوب جذاب وبمختلف الوسائل في مختلف اللغات ، وبذل الجهد لنشر ما فيها من المحاسن المؤثرة في الأنسان من ناحية عقله

الذي هو موضع الشرف وموطن العزة والكرامة ، وتوضيح أن الايمان لا يحل في القلب بالأكراه ، وأن العلم لا ينال إلا بالدليل ، وأن العقيدة اذا لم تكن حاصلة من الادلة القاطعة ، ولا مسبوقة بالشك والترديد والأنكار فهي أشبه شيء بالتقليد المنهي عنه في أصول الدين ، نعم إن الثقافة العامة ، وما صارت وتصير اليه الحياة من رقي تؤهل الناس للأنتفاع بالشعور الديني في تقريبها من الغاية المرجوة ، وإني قد شاهدت آثاره ، وتجلت لي الأخوة الاسلامية الصادقة بأجلى مظاهرها في العواصم العربية وأقطار الشرق الاسلامي التي حظيت بزيارتها ووفقت لألقاء محاضرات وخطب كثيرة في جامعاتها وجوامعها على عشرات الألوف من مختلف طبقات شعوبها فأنتجت أكمل النتائج والغايات ، وأثمرت انفع الآثار ، وحققت أطيب الاماني ، واوجدت نهضة دينية شاملة تستهدف إتحاد مسلمي العالم على اساس قاعدة الوحدة المتعاونة الاجزاء التي قام عليها نظام الخلق ونظام المجتمع ، لتعيش الامم الاسلامية بروح واحدة ، وترمي إلى هدف واحد وتكون بمثابة جسد واحد متلاحم الاجزاء ، وثيق التركيب ، صحيح البناء ، مستقيم المظهر ، مستوفياً علائم الصحة ، والوحدة على خير صورة وشكل ، ويجب لتحقيق هذا الهدف السامي قبل كل شيء تظاهر رجال الدين بمظهر مستحب يوجب التفاهم مع مختلف الطبقات ، وتنقية الشعور الديني من الضغائن والأحقاد ، لكي تقام النهضة الدينية المقبلة على أساس توحيد الميول والمشاعر والخصائص في العالم والعامي والمتعلم وغير

المتعلم والشيخ والشاب، ولا يكون ذلك إلا بالتغلب على الحالات التي
إصطنعها جمود الخاصة، وجهل العامة، و إستبدالها بتواصل معجب جميل
تتجه اليه طبقات الامة والشعوب الاسلامية، وعلى رأسها اولئك الاعلام
رجال الدين، ليأخذ الدين الاسلامي طريقه الى تأليف القلوب
وتوحيد الخصائص بأروع ما يليق بمبادئه السامية وتكون الامم الاسلامية
على طور سعيد وافر السعادة. وتتصافح الأشقاء تحت راية التوحيد.
وتستقبل فجر التعاون في تآخ ووداد فيبسم لها المستقبل بسمة العز والعلاء
وما ذلك على الله بعزيز، وها أنا ذا أقدم الى مؤتمر العلماء عدة من الكتب
والرسالات المتبادلة بيني وبين مشيخة الجامع الأزهر وسائر العلماء الاعلام
والزعماء الفخام في الشرق الاسلامي والعواصم العربية لكي يطلع المؤتمر
عليها وعلى إقتراحاتي التي تتطلب المصلحة الاسلامية العامة تأييدها وتنفيذها
وإنا لنختم القول برفع أكف الضراعة الى الله تعالى أن يجعلنا في الحق
بناة لا هادمين. وهداة لا مضلين وان يوفق مؤتمرنا هذا (مؤتمر العلماء)
بتحقيق ما عقده عليه العالم الاسلامي من كبار الآمال في الحال والاستقبال
إنه سميع مجيب.

﴿ النتيجـــة ﴾

١ - (بيان) مؤتمر العلماء الاول المنعقدة بدمشق بتاريخ ١١ - ١٣
رجب ١٣٥٧ و ٦-٨ ايلول ١٩٣٨ مطبعة الترقي ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م أصدرته
اللجنة التنفيذية المركزية لمؤتمر العلماء الاول رقم (١).

١٣ ـ تأييد إقتراح الأستاذ الكبير الأمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني كبير علماء إخواننا الشيعة في النجف في وجوب جمع كلمة المسلمين من مختلف المذاهب الأسلامية الذين تجمعهم عقيدة التوحيد ومقاصد الأسلام ، لمكافحة الألحاد ، ولتنظيم العمل الأجتماعي ، والشؤون الأسلامية التي تهم الجميع.

وشكر الأمام الزنجاني على هذه الفكرة النبيلة ، وتكليف اللجنة التنفيذية للمؤتمر بالسعي لتهيئة الدعوة الى مؤتمر عالمي لعلماء المسلمين لتحقيق هذه الفكرة السامية وفقاً لأقتراحه الطيب.

* * *

(٢) من مقررات « مؤتمر العلماء » الأول المنعقد بدمشق بتاريخ ١١ ـ ١٣ رجب ١٣٥٧ و ٦ ـ ٨ ايلول ١٩٣٨ رقم (٢)

(القرار الثاني عشر) بشأن تعاون أبناء المذاهب الأسلامية و تنظيم العمل القومي ، إن (مؤتمر العلماء الأول) المنعقد بدمشق في ١١ ـ ١٣ رجب سنة ١٣٥٧ و ٦ ـ ٨ ايلول سنة ١٩٣٨ ، بناءاً على إقتراح فضيلة الأستاذ الكبير الأمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني ، من كبار علماء النجف الأشرف في شأن تعاون المسلمين مع إختلاف مذاهبهم ، الذين تجمعهم عقيدة التوحيد ومقاصد الأسلام لمكافحة الألحاد والفوضى الأخلاقية ، ولتنظيم العمل الأجتماعي والوحدة الروحية ، وبعد المذاكرة في هذا الأقتراح القيم الجليل وبعد الأطلاع على مساعي فضيلة الأمام صاحب الأقتراح في سبيل إقتراحه ، يقرر :

(١) شكره على غيرته وسعيه في ضم شمل المسلمين الذين تجمعهم كلمة التوحيد لمكافحة الألحاد، ورفع كيان المسلمين إلى المستوى الأعلى في حياتهم الأجتماعية.

(٢) تأييده في العمل في سبيل ذلك المقصد الأسمى.

(٣) تكليف اللجنة التنفيذية بالمباشرة بالأتصال مع علماء الأقطار الأسلامية لتحقيق عقد مؤتمر عام في المكان والزمان اللذين يتفق عليهما لتحقيق تلك الأمنية السامية.

(الخطبة السادسة)

المعروفة بالخطبة النارية ألقاها الأمام الزنجاني في المسجد الأقصى بالقدس الشريف في ٢٦ رمضان ١٣٥٥ هـ وتعليقات الصحف عليها.

* * *

نقلا عن جريدة (البلاغ) المصرية مساء ٥ ديسمبر ١٩٣٦ (العدد ٤٢٧٥) ونقلا عن جريدة (الجهاد) المصرية ٢١ رمضان ١٣٥٥ ـ ٥ ديسمبر ١٩٣٦.

﴿ مفتي فلسطين يدعو إمام المسلمين ﴾

زار معالي محمد علي باشا علوبة الأمام الزنجاني في فندق (مودرن) بالقاهرة، وقدم للأمام برقية وردت من سماحة السيد أمين الحسيني المفتي الأكبر بالديار الفلسطينية، متضمنة لدعوة الأمام الزنجاني الى زيارة المسجد

الاقصى ، وجاء فيها : أن العرب والمسلمين في فلسطين متشوقون لزيارة إمامهم الأكبر ، ثم أيد علوبة باشا رجاء المفتي الأكبر ورجح أن يجيب الأمام الزنجاني هذه الدعوة ، فأجاب الأمام دعوة المفتي الأكبر بالايجاب. وذلل الأمام الزنجاني الصعوبات السياسية الاجنبية التي حاولت عبثاً أن تحول دون سفر الأمام الزنجاني الى زيارة القبلة الأولى للمسلمين ، فأعلنت صحف القاهرة ما يأتي :

« يغادر مصر ضيفها الكبير سماحة الأمام الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني ، اليوم بقطار الساعة الخامسة والنصف في طريقه إلى فلسطين ، فبيروت ، فدمشق ، ثم إلى وطنه . . . إلخ .

وقف القطار الذي كان يقل موكب الأمام الزنجاني في محطة (القدس) قبل ظهر يوم ٢٢ رمضان ١٣٥٥ﻫ وكانت المحطة مزدحمة بألوف المستقبلين من العلماء والزعماء والوجهاء والأشرف والقناصل العامة للحكومات الأسلامية في القدس ، وكان في طليعتهم سماحة المفتي الأكبر رئيس اللجنة العربية العليا وأعضاء اللجنة الكرام ، وأستقبل الأمام الزنجاني إستقبالا منقطع النظير . وحل ضيفاً كريماً في الدار الفخمة التي كان المفتي الأكبر أعدها لسماحته ، وغصت الدار بالزائرين من مختلف الطبقات ليلا ونهاراً طيلة وجود الأمام الزنجاني في القدس ، وإستدعى سماحة المفتي من الأمام الزنجاني بأسم العرب والمسلمين أن يتفضل بألقاء درس عام في المسجد الأقصى بعد فريضة الجمعة ، فأجاب الأمام طلبهم ، ولقد حضر لأستماع

الدرس علماء سائر البلاد الفلسطينية ورؤسائها وزعمائها وعشرات الألوف من مختلف الطبقات ، متلهفين لاستماع الدرس .

(نص الخطبة السادسة)

وهي المعروفة بالخطبة النارية ، التي ألقاها الإمام الزنجاني في المسجد الأقصى (بيت المقدس)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على أشرف أنبيائه محمد(ص) وآله الطاهرين الذين أوجب الله مودتهم على المسلمين أجراً لرسالته وأصحابه الذين أحسنوا الصحابة ، وأبلوا البلاء الحسن في نصره وإعلاء كلمته وسابقوا إلى دعوته ، والتابعين لهم بإحسان ، أما بعد ، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم : بسم الله الرحمن الرحيم (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا) (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً) (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً) (فإذا جاء وعد أوليهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولا) (ثم رددنا

لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً) (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً) (عسى ربكم أن يرحمكم ، وإن عدتم عدنا ، وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) .

المعراج الجسماني لنبينا محمد (ص) المدلول عليه بكلمة « عبده » لأن العبد إسم لمجموع الجسد والروح ، وينبيء عنه التصدير بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب والمنسوب إيجاده في هذه الآية الكريمة إلى الله تعالى بصيغة الأسراء الذي هو فعله تعالى معجزة من المعجزات التي خص الله تعالى بها النبي (ص) وكان الأسراء من الله تعالى بقدرته البالغة ، والمؤمن بوجود الله تعالى وبقدرته البالغة يؤمن بالأسراء والمعراج الجسماني وبسائر معجزات الانبياء بدون تردد ولا يجده إلا من الأمور الجائزة عقلاً الداخلة تحت تصرف قدرة الآله العظيم ، وأما من لم يكن مؤمناً بوجود الآله سبحانه وعظيم قدرته ، ولم يعتقد برسالة رسوله « ص » فهذا ، يكون الصواب في حقه أن يرشد إلى الأيمان بالله وإثبات صفاته وبرسوله بواضح البرهان وبعد ذلك سهل عليه تصديق نصوص الأحاديث والقرآن الكريم فمتى تصور عظيم قدرة الله ، وتأمل في عظائم أعماله ومخلوقاته وتصور أن إنفلاق البحر أو المعراج الجسماني مثلاً جائز عقلي داخل تحت تصرف قدرة الله - لأن العقل يحكم بقبوله للثبوت والأنتفاء ، ولا يلزم من ثبوته محال — فلا مانع يمنع من التصديق

بذلك ، والماء قابل للانقسام وللتماسك ، وميل الجسم الطبيعي المادي الثقيل الى مركز الأرض ليس من لوازم الجسم غير القابلة للانفكاك ، وحديث إمتناع الخرق والالتيام على الأفلاك أصبح من الموهومات ، وتصرف النفوس في الأجسام أمر حسي ، وللنفس النبوية أعظم الآثار والتأثير في الأكوان وفي جسمه الطاهر بأذن الله تعالى ، ولو لم يكن مستبعداً وخارقاً للعادة لم يكن معجزة ولقد بين في علم الكلام وعلم التوحيد أن الوجوب العقلي عبارة عن عدم قبول الانتفاء ، والشيء الذي لا يقبل الانتفاء يقال له الواجب العقلي ، مثاله ، كون الواحد نصف الاثنين ، ووجود خالق العالم ، والأول ، واجب عقلي بديهي ، لا يحتاج إلى دليل ، والثاني واجب عقلي نظري يحتاج إلى دليل ، والاستحالة العقلية عبارة عن عدم قبول الثبوت ، ومثال المحال العقلي ، الاربعة نصف العشرة ، ووجود شريك الخالق ، الأول مستحيل عقلي بديهي ، والثاني محال عقلي نظري ، أما الجواز العقلي ، فهو قبول الثبوت والانتفاء ، والشيء الذي يقبل الثبوت والانتفاء يقال له الجائز العقلي (الممكن) مثاله ، سفر زيد ، وقلب الحجر ذهباً ، الأول جائز عقلي بديهي ويسمى عادياً ، والثاني ، جائز عقلي غير بديهي يحتاج ثبوته إلى دليل ويسمى غير عادي ، والمعجزات كلها من هذا (القبيل) ولولا العادة لم يكن هذه المعجزات بأغرب من خلق الانسان الذي يكون أولا تراباً وجماداً ثم ينقلب بالحركة الجوهرية نباتاً ، ثم غذاءاً ثم دماً ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم حيواناً ثم إنساناً ناطقاً سميعاً بصيراً ثم

يصير عالما محققاً وحكيما مدققاً قال الله تعالى : (خلق الأنسان) من نطفة (جماد لا حس له) (فإذا هو خصيم مبين) (منطيق مجادل) وقال تعالى : (ولقد خلقنا الأنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) المطر ينزل على الأرض الترابية فينبت به أنواع الأزهار والأشجار والأثمار المتنوعة الألوان والطعوم والروائح والخواص ، ولا فرق بين هذه الأشياء العادية الوقوع ، وبين تلك الأشياء غير العادية الوقوع ، إلا حصول العادة في الأولى دون الثانية ، وإلا فاذا نظرنا في الدليل العقلي وجدنا كلا منهما جائز الوقوع ، والجائزات الغير العادية هي المعجزات ، جعل الله وقوعها على أيدي رسله في مقام التحدي ، و (المعراج) أهم المعجزات ، فقد عرج به صلى الله عليه وآله وسلم ، ليستبين بذلك العروج أن مقامه (ص) فوق مقامات الانبياء ، حيث إرتفع عليهم جميعاً ، وليبين لأمه أنهم أرفع الأمم لأن نبيهم « ص » إرتفع عن عيسى « ع » وقد جاء في حق أمته قوله تعالى : « وجاعل الذين إتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » فيا أيها المسلمون ، حافظوا على هذه الرفعة ، وهذه الكرامة ، وترفعوا على سائر الامم بمكارم أخلاقكم ، ومحاسن أعمالكم ، وتوحيد صفوفكم وجمع كلمتكم ، وترسيخ العقائد الأسلامية في أعماق قلوبكم ، والعمل بتعاليم الأسلام السامية ، في العبادات والمعاملات والحقوق والسياسات ونشر

الدعوة الأسلامية الأصلاحية حرصاً على أن تعود للأسلام مكانته العالية فيؤثر في نفوس المسلمين ، وتظهر عليه الهيبة والجلال أمام غير المسلمين ، وحرصاً على أن تكون البلاد المقدسة الأسلامية مبدأ للنور الأسلامي الذي يجب أن يغمر البلاد الأسلامية والعربية كلها فيجتث منها أصول الشر . وينكس فيها أعلام البدع ويعيد فيها الى القلوب ما كان لها أيام السلف الصالح من نضرة وطهارة . ثم يتجاوز هذه البلاد الى بلاد الديانات الأخرى فيدعوا إلى دين الله « إن الدين عند الله الأسلام » وتوحيد الكلمة في دعة وإقناع بالحجة وبالحكمة والموعظة الحسنة . والمجادلة بالتي هي أحسن . وأما سر أن امة محمد « ص » أرفع من أمة عيسى « ع » التي نص القرآن الكريم بأن الله جعلها فوق الأمم الكافرة بعيسى « ع » الى يوم القيامة فأني ألخصه في كلمة وهي أن المسيح عليه السلام حاول بالأقناع المجرد أن يصل الى الأفئدة المغلقة فلم ينجح وقالوا له مثل ما قالوا للرسل قبله إنا كفرنا بما أرسلتم به . وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب وليتهم سكتوا عن ذلك . فما هي إلا أيام حتى وجهت إليهم ذوو السلطة بهذا الأنذار « وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا » ولكن الأسلام منذ ولد في الأرض بأذن الله ولد الجهاد معه لغرض فتح الطريق أمام نشر الدعوة الأسلامية التي كان شعارها « التوحيد الخالص . ولا إكراه في الدين » فالأسلام لم يشق طريقه في الحياة إلا على ركام من أجداث الشهداء . ورسول الأسلام أيضاً بدء دعوته بالأقناع المجرد حتى طردته

السلطة القائمة بمكة فكان أن أسس دولته الآلهية في المدينة بأمر الله تعالى ثم إستعاد ما فقده أول أمره . فلما نهضت الدولة الأسلامية الأولى على قدميها بتوطيد الأمن الاسلامي ودين التوحيد في جزيرة العرب كان عملها الأول أن ساقت جيوش التحرير أفواجاً لتدك الكسروية المتألهة في فارس والقيصرية المتألهة في الروم . ولتمنح السعادة المزدوجة وحق الحياة الكريمة للجماهير التي ترنحت دهراً طويلاً تحت وطأة هذه السلطات السفيهة وكان من المستحيل في ظل السطوة المقررة للدكتاتوريين الأقدمين أن تنشر دعوة ، أو تستنقذ أمة بالمحاجة والأقناع ؛ وكان من الواجب القيام بالتبليغ المسلح ، ولذلك أوجب الله تعالى على المسلمين الجهاد في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأويهم جهنم وبئس المصير » وقوله تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله وإعلموا أن الله سميع عليم » وقوله تعالى : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم » وقوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يؤتوا الجزية عن يد وهم صاغرون » وقوله تعالى: (إنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) وقوله تعالى : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) وقوله تعالى : (لا يستوي القاعدون من

المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما) وقوله تعالى : (لا ينهاكم عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ، وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) ولقد قرر الأسلام شروطاً لوجوب الجهاد ، فأوجبه على البالغين من الرجال دون النساء ودون القاصرين الغير البالغين وغيره من الشروط المفصلة المشروحة في كتب الفقه الأسلامي إلا في صورة الخوف على بيضة الأسلام من هجوم الكفار ففيها أوجب الجهاد على جميع المسلمين رجالا ونساءاً وكباراً وصغاراً وإعلان النفير العام من دون قيد وشرط حتى في زمن غيبة الأمام وعدم وجود الخليفة الحاضر كهذا العصر الذي نحن فيه ، وهذا العصر الذي تسلحت فيه مبادىء كارل ماركس الهدامة ، وأصبح إنكار الألوهية عقيدة قاهرة مسلحة تهدم بها المساجد في القوقاز ، ويشرد بها ثلاثون مليونا من المسلمين وفي العصر الذي إستيقظت فيه الخصومة التقليدية بين الشرق الأسلامي والغرب الصليبي ، بأخطر الأساليب ، لأن هذا الغرب يأبى إلا إستذلالنا وإستعمار بلادنا ، وقص أجنحة الأسلام بألغاء تشريعاته ، وهدم تقاليده وايجاد الريب والشك في عقيدة المسلمين الأسلامية ، مستعيناً في ذلك

من الكنيسة التي تعمل فيه من وراء ستار ، والجبهة الشيوعية تقصي الدين تماما عن ميدان الحياة ، والجبهة الاستعمارية ترى ضرورة فصل الدين عن الدولة والسياسة اذا كان هذا الدين هو الاسلام ، لأن فصله عن الدولة طريق الى إنحلال عراه وانطماس معالمه خصوصا اذا كانت شعوبه عانية في أسارة الاحتلال الأجنبي ، أما اذا كان الدين هو اليهودية مثلا فلا بأس عند الغرب أن تتصل الدولة بالدين ، وأن تجمع رعاياها على أساس الدين من أنحاء الأرض ، خصوصاً اذا كان الحكم اليهودي يغتصب الرقعة التي تحاول أن يعيش عليها من أوطان المسلمين ، وأما اذا كان الدين هو المسيحية فسواء اتصل بالدولة أو انفصل عنها فيجب أن يأخذ إمتداده الكامل من ناحية الشكل في أوطانه نفسها ، ومن ناحية الشكل والموضوع حين ينطلق دعاته في بلاد الاسلام ، يبنون الكنائس ويقيمون المدارس لخدمة الحضارة الغربية والاستعمار الجشع .

فيا أيها العرب ، ويا أيها المسلمون ، لا تتركوا الشيطان يلقي غراسه في أرضكم المقدسة ، ويتعهد نماءها حتى إذا ما بدأت الثمار السامة تغص بها الحلوق ، وتتفزز منها النفوس تتعالى صرخات الألم ويكون حربكم ضد هذه المصيبة العظمى مؤخراً ، ونخشى أن تكونوا حينئذ كالذين جاؤوا بعد قيام القطار ، ولقد أسمعتكم في مستهل خطابي هذا الآية الرابعة وهي قوله تعالى : (وقضينا الى بني إسرائيل لتفسدن في الأرض مرتين) أي أعلمنا وأحكمنا وأخبرنا وأعلمنا بني اسرائيل في التوراة حقاً لا شك فيه أن أخلافكم

سيفسدون في البلاد التي يسكنونها ، كرتين ، أوليهما مخالفة حكم التوراة وقتلهم (شعيا) عليه الصلاة والسلام ، وحبس (إرمياء) حين أنذرهم سخط الله (والثانية) قتلهم (يحيي) عليه الصلوة والسلام ، وقصدهم قتل (عيسى) عليه الصلاة والسلام ، فعاقبهم الله تعالى بعد فسادهم الأول بما جاء في الآية الخامسة ، من قوله تعالى : (فاذا جاء وعد أوليهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولا) وسلط الله عليهم (بخت النصر) وعساكره الملاظ الشداد لمؤاخذتهم بجناياتهم ثم عاقبهم بعد فسادهم الثاني بما في الآية السابعة ، وهي قوله تعالى : (فاذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً) فسلط الله عليهم (جردوس ملك بابل) وجيوشه الجرارة نكلوا بهم أكثر من تنكيل عساكر بخت النصر ، ثم أشار سبحانه وتعالى إلى فسادهم المستمر الذي لا ينقطع ، وما ينالونه بسببه من عقاب الله الشديد في الدنيا والآخرة ، في الآية الثامنة ، بقوله تعالى : (وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) أي وإن عدتم الى الفساد في الأرض مرة أخرى عدنا بكم الى العقاب لكم والتسليط عليكم كما فعلنا فيما مضى ، ولقد عاد اليهود الى الأفساد فأعاد الله عليهم النقمة بأن سلط عليهم الأكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الأتاوة ونحو ذلك ، وعن إبن عباس قال : (إنهم عادوا بعد الأولى والثانية فبعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلط عليهم المؤمنين يقتلونهم ويأخذون منهم الجزية وهم صاغرون ثم عاد

اليهود الى الفساد الأكبر الآن في عصرنا وفي هذه البلاد العربية المقدسة بفكرة إنشاء وطن قومي صهيوني لليهود في فلسطين ، وما هذه الفكرة الأستعمارية من وجهة المبدأ الأنساني إلا تنظيم عصابة بشرية غايتها النهب والأغتصاب ، وهي قائمة على نظرية إباحية بدون أية مراعاة للأنظمة الأنسانية الأجتماعية ، والألفة البشرية ، وقد تحلل الصهيونية هذه الأعمال المنكرة إستناداً على توراتهم التي تبيح القتل والسبي والنهب والأغتصاب وكل شيء في سبيل بني إسرائيل (لا توراة موسى) وسيعود الله الى عقوبتهم الشديدة ، ويجب أن تعلم الحكومة الأستعمارية التي تحاول أن تؤسس دولة صهيونية يهودية في فلسطين العربية ، وتريد لهم العزة والملوكية وتحارب العرب والمسلمين لتحقيق هذه الغاية الأستعمارية أنها في الحقيقة والواقع تحارب الله تعالى (جلت قدرته) الذي قدر الذلة والمسكنة لليهود بأرادته القاهرة اذ قال تعالى شأنه في كتابه المعجز الخالد : « وضربت عليهم (اليهود) الذلة والمسكنة ، وبآؤا بغضب من الله » وقال تعالى : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وبآؤا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة » وستكون الغلبة في نتيجة هذه الحرب لله تعالى ورسله ، حسبما ورد في قوله تعالى : « لأغلبن أنا ورسلي » وأظن أن هذه المحاولة الأستعمارية لابد أن تتحقق في عالم الوجود لأنها مستندة الى مطامع المستعمرين الجوهرية في الشرق الأوسط فيجب أن لا يحدث تزلزل ما في عقائد المسلمين في صدق وعد الله بأيجابه التكويني

ذلة اليهود وأن لا يكون استيلاء اليهود على كثير من ثروة العالم وسيطرتهم على الأقتصاد العام منذ مدة بعيـدة باعثاً للريب في مسكنتهم الموعودة في القرآن لأن القرآن لجميع الأزمنة منذ نزوله الى آخر الدنيا وليس مخصوصاً بعصر أوعصور ، وسيأتي يوم نرى فيه قريباً أن تأسيس الحكومة الصهيونية أوالأسرائيلية من أسباب فناء ثروة اليهود وينتهي الى زوال دولتهم وبذلك يتحقق ما وعده الله من ذلة اليهود ومسكنتهم (وتوضيح ذلك أن فكرة إنشاء دولة إسرائيلية في فلسطين قديمة جداً أوجبت المطامع الأستعمارية للدول الغربية والشرقية في منابع الثروة في الشرق الأوسط لزوم تحقيقها لغرض التسلط على تلك المنابع العظيمـة ، فأدعت الحكومـة الأستعمارية أن ضرورة حفظ التوازن في قوات الشرق الأسلامي والعربي لأجـل السلام العام تقضي بوجوب تأسيس دولة صهيونية يهودية في بلاد العرب والمسلمين ، وما أبقت وسيلة إلا تشبثت بها لتحقيق هذا الغرض ، ولقـد إطلعت على كتاب كتبه السلطان عبد الحميد الخليفة العثماني المخلوع بأنامله باللغة التركية من المنفى إلى مرشد طريقته ما ترجمته حرفياً : « طلبوا مني أن أسمح لليهود بأنشاء وطن قومي لأنفسهم في فلسطين تحت إشرافنا إزاء خمسين مليوناً من ليرات ذهبيه ، ليكون هذا السماح ضماناً لدوام الخلافة لنا ولكنني أبيت ورفضت ذلك وقلت لهم أن قبول هذا الأمر مخل بشرف الخلافة ، وإن ضميري مرتاح جداً من رفضي إقتراحهم المخـل بشرف الخلافة وإن أدى هذا الرفض الى خلعي عنها » فيظهر جلياً أن المستعمرين

قد بذلوا أقصى الجهود لخلع الخلفاء وإنحلال الخلافة الأسلاميـة وتجزئة الأمبراطورية الأسلامية وإقامة حكومات صغيرة على أنقاضها وترويجهم فيها الشعوبية والقومية والوطنية للقضاء على الأسلام ، وكان كل ذلك لغرض إنشاء دولة صهيونية إسرائيلية في فلسطين تأميناً لسيطرتهم الأستعمارية المؤبدة على هذه المنطقة الغنيـة بمعادنها ، فليس من المعقول أن ننتظر من المستعمر أن ينصرف عن هـذه الفكرة التي ليست بسيطة وطالما سعت لأنجادها ، ولقد قال بعض المبشرين بالأمس في إحدى مؤتمراتهم ما معناه : (إننا مـدينون بالفضل العظيم والشكر الجزيل لأخواننا المبشرين الذين قدروا على تنفيذ البند الثالث من برنامج هدم الجامعة الأسلاميـة بمحو الخلافة من الوجود ، تلك الدعامة المتينة التي رسخت أجيالا عديدة يستمد المسلمون منها كل قوة وعظمة ومجد ، وبحق فأن موفقيتنا في هـذا الباب كانت عظيمة ، وبالتالي كانت مساعي مشكورة مثمرة أدت الى نتائج باهرة) أيها العرب أيها المسلمون ، ليس لكم بعد ما كشرت الدول المسيطرة على العـالم أنيابها ، وأصحرت لكم عن سوء نياتها ، وأنه لم يبق أي أمل في عدلها وإنصافها ، نعم لا وسيلة لكم إلى الحياة والبقاء في صحيفة هذا العالم وعدم الأنقراض من لوح هذا الوجود الا بالأتفاق يداً واحدة على العهود البارة على الدفاع عن بلادكم المقدسة بالنفس والنفيس ، ومقاطعة كل عمل صهيوني ، وأن تسدوا حاجة فقراء فلسطين لكي يكون لكم النجاح مأمولا والنجاة من خطر الصهيونية قريبة ، وإلا فالذل المخلد ، والموت المؤبد وعلى

الأسلام والعرب السلام ، وإتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، وإعلموا أن الله شديد العقاب ، ان العالم الغربي يخشى الأسلام اذا إتحدت أنصاره ولاسيما في بلادالعرب التي هبط فيها وحي الله تعالى بالدين الاسلامي وهي لا تزال الحصن الحصين لأتباعه ، اذ يرى الغرب في وحدة المسلمين والعرب خطراً على كيانه وأغراضه الأستعمارية ، ولا يخفي شعوره في هذا الصدد ، بل هو يسعى بكل الوسائل لوضع العراقيل في سبيل التفاهم والأتحاد بين الأمم الأسلامية لأنهم يدركون جيداً أن القوى والمعدات الحربية والآلات الجهنمية القائمة في الماء أو المحلقة في السماء أو الراكزة على الأرض مهما تنوعت وتعاظمت فأن قوة الأتحاد والأتفاق في الأمة أشد بأساً وأعظم مراساً وأبعد أثراً ، بل لا تجدي تلك القوى وان تسامت في الحول والطول وشدة الهول ما لم تكن مرتكزة على تلك القوة :

ورغم هذا كله نهضت ايران والهند وسائر الممالك الأسلامية لنصرة المسلمين والعرب في فلسطين ، ومن الواضح أن الشرق الشيوعي يؤيد الغرب الأستعماري في ترسيخ جرثومة الفساد الصهيوني في فلسطين لأن مطامعه في منابع الثروة في هذا الشرق من الذهب الأسود وغيره أزيد من مطامع الغرب فيها فأنه يريد السيطرة على البحار أيضا فأتفقت سياسة الشرق الشيوعي مع سياسة الغرب الأستعماري على تأسيس الحكومة الصهيونية في قلب الدول العربية والاسلامية لتعكير صفاء الأمن والأستقرار في البلاد العربية والأسلامية لغرض الأصطياد في الماء العكر ، وبما أنه

لا توجد قوة لدى المسلمين والعرب تكافىء قوات الشرق الشيوعي والغرب الأستعماري فلا شك في أن الفساد الصهيوني المشار اليه بقوله تعالى : « فإن عدتم » يظهر على عالم الوجود ويعقبه الأنتقام الآلهي الشديد المشار اليه بقوله تعالى : « عدنا » وهذا الأنتقام سيكون نتيجة للتنافس الجنوني الذي سوف يظهر بين الشرق الشيوعي والغرب الأستعماري على منابع الشرق الأوسط ، ووليد السياسة المتضادة بينهما فأن أيد الغرب أحد الطرفين أيد الشرق الطرف الآخر حتى ينتهي الصراع بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي ، إلى زوال الوطن الصهيوني والحكومة الأسرائيلية عن صفحة الوجود ، ويتحقق ما كتب الله على اليهود من الذلة والمسكنة في يوم يرونه بعيداً ونراه قريباً ، والدولة الأسرائيلية التي تنشأ لغرض توازن القوة في منطقة الشرق الأوسط ، تزول عن عالم الوجود بتوازن القوات العالمية المشار إليها بقوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع ، وصلوات ومساجد يذكر فيها إسم الله » نعم إن الله يؤيد الدين الأسلامي بأقوام لا نصيب لهم منه ، وسينال من الأنتقام الآلهي كل من الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي نصيبه موفوراً ، وأرى من اللازم أن أطلع الرأي العام العربي الأسلامي عامة ، ورئيس اللجنة العربية العليا وأعضائها الكرام خاصة ، على أن موقفي قبل يومين في (تل أبيب) الذي كان يخشى سماحة المفتي كثيراً على حياتي منه ، وصرختي الداوية فيها أذهلت الصهيونيين الغاصبين عن أعمالهم ، وإنداري الشفهي الصريح المبين الذي

وجهته إليهم ، أنتج أن فريقاً من زعماء الصهيونيين إلتمسوني أن أتوسط لتقنيع اللجنة العربية العليا ورئيسها بأن طريقة إندماج اليهود في الحكومة العربية بعد تأسيسها في فلسطين هي أنجع الحلول للمشكلة اليهودية الصهيونية فأتي صارحتهم في إنذاري الذي وجهته إليهم بأن المسلمين البالغ عددهم في العالم أربعمائة مليون مسلم يؤيدون العرب ويعارضون القضية الصهيونية أشد المعارضة ، وأن المستعمرين سيضطرون سياسياً على إرضاء المسلمين والعرب ولكنني رفضت إلتماسهم واقتراحهم ، لاعتقادي بأن طريقة الاندماج أيضاً غير صحيحة بل ليست ممكنة ، وذلك لأن مبادىء الدين الاسرائيلي جعلت الشعب اليهودي محدوداً في تفكيره وميوله ، وصيرته صعب الامتزاج ، منفرداً في طباعه وعاداته وتقاليده ، بحيث رسمت فيه هذه الصفات طابعاً خاصاً به ، ويميزه عن سائر الشعوب ، ويعيش عيشة متميزة ولا يشترك في الشعور العام ، ولا يحس بما يحس به المجتمع الذي يعيش في وسطه ، ولذلك نال مقت مواطنيه في سائر البلاد والأقطار ، ولا يمكن توسيع نافذة العقلية اليهودية ، وصفوة القول ، أن اليهود أقلية خطرة يتعذر دمجها بأبناء البلاد الأكثرية ، وإني لا أوافق على كل حل لمشكلة اليهودية يتضمن بقاء نفر واحد من الصهيونيين اليهود كمواطن في فلسطين وكشريك في هذا الوطن العربي ، وأعلن أن العرب أحق شعوب الأرض باحتلال فلسطين ، وأن ادعاءآت اليهود باطلة لا يقرها الدين ولا التاريخ إن فلسطين وطن عربي وأرض مقدسة ، وكل ما فيها مقدس ، وبهذا

يجب أن لا يكون محل مناقشات سياسية ، ومطامع باطلة ، وإني أؤيد كل التأييد الرأي الذي قد صرح به سماحة مفتي فلسطين بقوله : (إن فلسطين عربية بدمها وتاريخها وحاضرها ، وهي معضدة بسبعين مليوناً من العرب واربعمأة مليون من المسلمين ، ولبريطانيا معهم مصالح غاية في الخطورة فعلى الشعب البريطاني أن يختار بين صداقة هذه المئات من الملايين وبين الأستمرار في سياسة جائرة وشاذة وغير طبيعية إرضاءاً لمتهوسي اليهود السياسيين ورأسماليهم » .

وإن في الحروب الصليبية درساً بليغاً وعبرة لكل من يقصد السوء بالأسلام والعروبة، فالدول المسيحية مع كل ما بذلته من الجهود والتضحيات والدماء، لم تفلح في قهر المسلمين وإغتصاب ديارهم نهائياً ، لأن في العربية الأسلامية ديناً ومبدءاً وإيماناً وقوة ، وهذه كلها تجعل من العرب والمسلمين رجالا يسخرون بالموت في سبيل المجد والحق ، وإن عظمة العرب والمسلمين والروحية العربية والأسلامية لا تغلب ، وإن كان للمادة فوز وقتي على المسلمين ، لأن هذه الروحية العظيمة هي حية كامنة في نفوسهم أبداً فاذا إختفت زمنا ما فلا تلبث أن تظهر بأجلى مظاهرها وقت الضيق والشدة ، نعم إن الروح العربية تستقي ايمانها وقوتها وثباتها من منهل دينها الحنيف ، ومن مآثر ماضيها المجيد ، وقد كان الله عوناً لها اذ تغلبت ثلاثون ألفاً من أجدادنا العرب المسلمين على امبراطوريتين عظيمتين ،وأسست على أنقاضهما امبراطورية اسلامية واسعة . وستمد روحانية الأسلام سبعين ألفاً من

العرب وار بعمائة مليون من المسلمين في كفاحهم لحفظ بلادهم واستقلالهم ولنيل أمانيهم واستعادة مجدهم ، وإن سيف الله تعالى لأمضى من سيف المستعمر ، واذا اختفى نور الحق حينا فلا يلبث أن تظهر أشعته الساطعة فتنصر العدل والحق على الجور والباطل ، ألآن وقد بعثت الحركة الصهيونية في نفوس العرب والمسلمين قوة وأملا ونشاطا وايمانا ، ووحدت صفوفهم في سبيل تكوين القومية والمناداة (بالوحدة الأسلامية) التي لا نجاح للعالم العربي الأسلامي بدونها ، يجب على كل عربي صميم ، وكل مسلم مؤمن صادق في مشارق الأرض ومغاربها أن يثور بوجه هذا الأغتصاب والظلم والباطل ، وان يمتعض بهذه المأساة المؤلمة التي تمثل على مسرح فلسطين .

ويجب أن ألفت الأنظار الى ان الصهيونيين والمؤيدين لهم من اليهود لا يعرفون موسى كليم الله ولا التوراة ، ولا يعتقدون بالله ولا باليوم الآخر ، وهذا عالمهم (اينشتاين) وجه دعوة الى أخطر المؤتمرات العلمية يطالبها أن تحارب فكرة الألوهية ، وتنقي الأذهان من هذه الخرافة ، ويعتبر النجاح في — محاربة الله — أكبر كسب تحرزه الأنسانية ، فهل هذا يهودي ؟ وإنه بوسيلة هذا الألحاد ، وبمساعي أتباعه الصهيونيين ولكونه آلة سياسية إستعمارية للمستعمرين يتقن تحقيق أغراضهم الاستعمارية (وقد أتهمه بعض المؤرخين بالشيوعية أيضاً) إرتفع بشهرته الفارغة الى قمة العلم الطبيعي رغم أنه لم يستطع أن يكمل دورة الأكاديمي ، ولم ينجح في إمتحان الدخول في (دار الفنون زوريخ) في السويس ، وبعد فراغه لم يحصل على

عمل في — يونيورستي — ولم يكن له تجهيزات أو مختبرات (لابراتور)
بل كان كل جهازه الاكتشافي عبارة عن القلم والورق ، ومن هنا يمكن
أن يدرك سر مكانتـه في إمريكا حتى بلغ من العمر أربعاً وسبعين سنة
ومات وهو يحمل الجنسية الأمريكية ولكنه كان في دمه وعنصره أوربيا
لا أمريكياً وكانت علومه أوربية ، أي من العلوم المقترنة بكلمة (لماذا)
و (لأي شيء) وكانت هذه العلوم وكل نظرية (تؤري) غير مقبولة في
أمريكا المتمايلة الى العلوم المقترنة بالعمل وبكلمة (ما هو) و (كيف هو)
ولذلك لم تقدر ولم تستقبل في أمريكا تلك العلوم الأوربيـة والآراء
الفيزيكية لنيوتن حينما نقلهـا الأمريكيون من (بنيامين فرانكلين) الى
(تاويلارد كيب وج رابرات) مثل ما قدرت من (أينشتاين) الصهيوني
وبالغوا في الدعايـة له حتى قال بعضهم : (إن حادث (هيروشيما) أثبت
عملياً النظرية النسبية لأينشتاين ، تلك النظرية التي هي أشهر معادلة علمية
أوجدت إنقلابا عظيما في الأفكار وفي عقائد البشر ، وقالوا : (إندهشت
الأوساط العلمية في أنحاء العالم من مفاجئة (النظرية النسبية) التي إقترحها
الدكتور ألبرت أينشتاين لربط وتفسير جميع التجارب الحديثة والمشاهدات
لأنها تستدعي قلب التصورات القـديمة لزمان والفضاء ، وإستبدالهـا
بتصورات أخرى غريبة جداً كتصور الحد الرابع ، وإنحناء الخطوط العالمية
حتى التي زعموا أنها خطوط مستقيمة ، كما تستدعي قلب أصول (إقليدس)
الهندسية ، ومبادىء فلاسفة اليونان الفلسفية والمنطقية ، وقوانين (نيوتن)

الميكانيكية ، وأشاعوا أن الدلائل الرياضية المستعملة في إثبات قانون هذه النظرية هي أسمى وأدق من أن يدركها أكثر الرياضيين ، حتى قال أينشتاين نفسه متبجحاً : (إن الذين يمكنهم أن يفهموها لا يتجاوزون عدد الأصابع) ونحن - بعون الله تعالى - بينا في مؤلفاتنا الفلسفية ، وفي محاضراتنا الرياضية التي ألقيناها في لاهور ، عاصمة البنجاب ، وفي لكنهؤ ، وفي كلكته ، وفي القاهرة ، وفي بيروت ، وفي دمشق ، وسائر العواصم والأقطار ، نشوء النظرية النسبية ، في الفلسفة اليونانية ، وفي الفلسفة الأسلامية وفي الاكتشافات الأخيرة ، يقتنع بها الرياضي بأن نسبة إكتشافها إلى أينشتاين لا تصور الحقيقة ، وأثبتنا بالأدلة أن مبدأ هذه النظرية قضية بسيطة مألوفة قديمة ، وهي (أن الأجسام متحركة نسبياً) وهذه القضية من إفادات فيلسوف الأسلام الأكبر (الخواجه نصير الدين الطوسي في القرن الثالث عشر الميلادي) .

ولقد كان شوط (الفيثاغوريين) في هذه النظرية أوسع من أشواط (ميكلسن) ، و (مورلي) في سنة ١٨٨٧ م وأينشتاين في سنة (١٩٠٧م) حيث قال أكثر الفيثاغوريين : (النسبة نظام الكون الشامل) والمعيار في هذا النظام ، إعتبار أبعاد متساوية ، ووحدات قياسية ، وأثبتنا أن هذه النظرية الفيثاغورية ، مغالطة نشأت من الأشتباه والخلط بين وحدة الحساب ووحدة الهندسة ، وأوضحنا أيضاً أن النتائج الحاصلة أخيراً من مشاهدات ظواهر الكون والكهربائية أدت الى النظرية القائلة : أن قوتيهما من جنس واحد ،

وأنهما حاصلتان من ظواهر الأضطرابات التموجيـة المنتشرة في الوسط الأفتراضي (الأثير) بسرعة (١٨٦٠٠) ميل في الثانية، فقام العلماء بعدة تجارب لغرض الوصول إلى غاية تستهدف قياس سرعة سير الأرض بالنسبة إلى الوسط المذكور وتسميتها بالسرعة المطلقة، وكان أهمها تجربة (ميكلسن) و (مورلي) سنة (١٨٨٧ م) التي سببت ظهور النظرية النسبية المنسوبة إلى أينشتاين لأنه قام بتوسيع في تفسيرها، وتعليلها.

ونحن إستعرضنا في مؤلفاتنا جميع البراهين الرياضيـة التي أقيمت لأثبات النظرية النسبية منذ ظهورها إلى عصرنا وأيدنا ما فيه مسحة الحق وأبطلنا كثيراً منها بأدلة رياضية أدق منها، ولما أرسل شاعر الهنـد وفيلسوفها الأسلامي (الدكتور سر اقبال) ترجمتها باللغة الأميريكية الى لجنة تدقيق النظرية النسبية اقتنعت اللجنة بصحتها، وكان من نتائجها ما شاع أخيراً من تنازل أينشتاين عن نظريته النسبية. وعدوله من النتائج المبتنية عليها

وصفوة القول، أن الصهيونيين ومؤيديهم من اليهود الغاصبين أوطاننا المقدسة لا يؤمنون بالله ولا بكتبه ولا برسـله ولا بموسى ولا بعيسى ولا بمحمد ولا باليوم الآخر وانهم ملاحدة لا دينيون فيجب أن يتفق جميع المؤمنين بالله وبرسله وكتبه واليوم الآخر وجميع المؤمنين بمحمد (ص) والمؤمنين بعيسى وكافة المتدينين بدين من الأديان الآلهية على مكافحة الصهيونيين ومؤيديهم بل محاربتهم وإخراجهم من الأراضي المقدسة لأنهم أعـداء الله واعـداء رسله وكتبه واعداء جميع الأديان المنزلة وأنهم في طليعة

اللادينين ، والجرائيم الفتاكه ، فعلينا أن نستعد قبل ان يؤخذ على أيدينا فلا نستطيع أن نستعد وحينئذ نشعر بمضض الأهمال في الوقت الذي لا يفيد هذا الشعور ، ولا يدفع الضيم ، لأننا في ساعة عصيبة نحن أحوج فيها الى التضامن والتضافر من كل ساعة ، لأن القوى الروحية اخطر من القوى المادية ، وليس لنا إلا التحلي بما يضمن سلامتنا ويرد عنا غارة الأعداء الذين يتخذون من تفرقنا حجة علينا في استعمارهم وانتدابهم .

فمن الواجب على اولياء الأمور وجميع الحكومات العربية والاسلامية بل المسيحية اعطاء هذه القضية اعلى مراتب الأهمية والأهتمام بأستئصال هذه الجرثومة الخبيثة ، وفي الختام أبتهل الى الله ـ جلت قدرته ـ أن يثير هذا النداء العام الذي يمس شغاف القلب ، حماسة في قلوب الجميع ، وان يقرر قاعدة أساسية يجب أن يعيها كل مسلم وكل من يدين بالأديان الآلهية وكل عربي وشرقي ، وغربي ، وأن يحفظها الطلاب في مدارسهم ويرددها المصلون وأئمة الجماعة والخطباء في مساجدهم وكنائسهم ، ويتخذها المناضلون دستوراً في جهادهم المقدس ضد الصهيونية وضد الألحاد واللادينية ، بل اللازم نشره في عامة الصحف ، واذاعته في المذاييع العالمية ، وإبلاغه الى عامة البلاد والنواحي ، والعواصم والضواحي ، والهتاف به صرخة عالية ، وصيحة داوية ، حتى يسمعه حتى الأصم والابكم عسى ان تستفز الجميع . (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) .

سماحة المفتي يشكر

بعد إنتهاء خطبة الأمام الزنجاني ، نهض سماحة المفتي الأكبر ووقف أمام المنصة ، وقال : (ياسماحة الأمام الزنجاني : إن درسكم هذا في المسجد الأقصى كان أنفع لفلسطين من ماءة ألف جندي بكامل معداتها ، ولقد قلدتم فلسطين بجلائل أعمالكم منة لن يمحوها الدهر ، وسيذكركم أبناؤها كما ذكر الجهاد في سبيلها والدفاع عن كيانها .

* * *

ولما خرج الأمام الزنجاني من بيت المقدس والمسجد الأقصى في موكب عظيم حافل بأعلام العلماء والزعماء والرؤساء والشباب المثقف المتحمس ومختلف الطبقات توجه الى ضريح المنقذ الأعظم جلالة المرحوم الملك حسين بن علي ، ووقف على ضريحه ، وبعد تلاوة سورة الفاتحة قال :

« رحمك الله أيها المثل الأعلى للبطل الهاشمي المخلص المجاهد في سبيل الخير العام ، نهضت نهضتك المباركة التاريخية فبعثت بها الحياة الى نفوس الأمم العربية والأسلامية ، ونفثت بأرادتك الجبارة روح القوة في إرادتها وعظمة أشعرتها بسر عظمتها ، فهي مدينة لك بالشعور بوجودها وبكرامتها وبحقها في الحياة العزيزة القوية ، فكنت قوام وجودها وباعث إستقلالها وإرتقائها فجدير بها أن تسجل تاريخ نهضتك المباركة مع أشبالك العظام ، ووراثة خلالك العظيمة ، وسجاياك الكريمة ، والمثل العليا لعظمة النفوس ، بمداد من النور الخالد ، وكأني أرى روحك الطاهرة ترفرف على أولى القبلتين

وتحميها بعون الله تعالى عن إعتداء المعتدين كما كنت تحمي الحرمين الشريفين طيلة حياتك، وما مات من خلف ورائه دوياً يملأ الأجواء، وذكراً تتعطر به الأرجاء، ونوراً تستهدي به الأحياء، وسيرة تترسم خطواتها القادة والعظماء، وأشبالاً يحيون آثاره ويزيدونها لألاء، وسلام على عباده الذين إصطفى، والحمد لله رب العالمين.

(الخطبة السابعة)

أو

(الأنذار التاريخي)

وهي الخطبة التي ألقاها الأمام الزنجاني في (تل أبيب) على زعماء الصهيونيين، والجماهير اليهودية في ٢٤ رمضان ١٣٥٥ هـ ٢٨ ديسمبر ١٩٣٦م

« تمهيد »

كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جارية على إتمام الحجة على الذين بلغتهم الدعوة الأسلامية من اليهود و أهل الكتاب والمشركين قبل أن يبدأ بقتالهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فأتباعاً للسيرة النبوية (ص) قصد الأمام الزنجاني (تل أبيب) وخرج من القدس متوجباً الى تل أبيب في ٢٤ رمضان ١٣٥٥ هـ و ٨ ديسمبر ١٩٣٦م في موكب فخم تضمن بعض القناصل العامة لبعض الدول العربية والأسلامية في القدس — رغم ممانعة سماحة مفتي فلسطين إشفاقا على سلامة الأمام

الزنجاني — وصل الموكب الأسلامي العربي تل أبيب وإخترق شوارعها حتى وقف على الساحل ، وتجمعت هناك جماهير كثيرة من اليهود والصهائنة وزعمائهم بين دهشة وإستغراب ، وبينما كانوا يتلهفون لأكتشاف الغرض إذ إرتقى الأمام الزنجاني على ذروة المرتفع وإرتجل الخطاب الآتي وقال :

« بسم الله الرحمن الرحيم ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا ، وأنصرنا على قوم كافرين » : أيها الصهيونيون المستعمرون ، في هذا العصر — عصر القوميات — الذي تلتهب فيه نيران الوطنية وكل دولة ينبض فيها عرق الحياة ، تصب الزيت في النفوس الهائجة لأضرام الحماسة القومية وفي الوقت الذي تلبد فيه جو السياسة بغيوم التسابق القومي ، والتسلح الدولي ، والدول تحث شعوبها على الأتحاد والتعاون ، والولاء لراية الدولة نراكم أنتم الصهيونيين تتغنون بأحلام الوطن القومي ، ومما لا ريب فيه أن فكرة إنشاء الوطن القومي لكم ولدت شعور الكراهية والنفور بين اليهود وبين سكان البلاد التي إستوطنوها وكلهم يعتبرون اليهودي غريباً عنهم ، وكثير منهم وصموا اليهودية بوصمة الأقلية الخطرة التي يتعذر دمجها بأكثرية البلاد ، ولعل هذا هو السبب في أن ألمانيا أجلت اليهود من بلادها ، يريد اليهود أن يتمتعوا — من دون خلق الله — بقوميتين الألمانية مثلا وأن يتمتعوا بكل حقوق هذه القومية ، ثم يعنوا بالقومية الصهيونية الفلسطينية الخيالية . ويصدرون ثروتهم التي اكتسبوها في البلاد التي يعيشون فيها إلى فلسطين لتحقيق إنشاء قوميتهم الجديدة ولا أدري كيف يوفق اليهود

بين ولائهم للبلاد التي يعيشون فيها ، ويتمتعون بخيراتها وتبعيتها ، وبين نصرتهم للقضية الصهيونية ، والسعي مادياً ومعنوياً لتحقيق أماني القومية اليهودية الجديدة في وقت واحد ، وهل نلوم ألمانيا التي تشعر بقوتها القومية أو أية دولة مثلها إذا أجلت اليهود عن بلادها ، فيلزم أن تدركوا أن وضع اليهود الصهاينة بعد المناداة بوطنهم القومي أصبح شاذاً ، لا يتلائم مع روح العصر الحاضر ، إذ لا يسوغ للمرء أن يكون وطنياً وأجنبياً في آن واحد ، ولا يستطيع الانسان في مثل هذه الحال إلا التكهن فيما قد يحمله المستقبل للشعب الصهيوني العنيد المتسكع في غياهب التعصب الذميم والأنانية العنصرية سيما بعد أن أوجد مسلك الأضطهاد والأجلاء نحو اليهود رد فعل ، وأنتج الثورة العاطفية في اليهود ، وقوت الروابط العنصرية والدينية فيهم واندفعوا الى إنشاء الوطن القومي الصهيوني في فلسطين ، وما أبعد هذا العمل من المنطق ، إنها لأحلام سخيفة كالقصور التي تبنى على سطح البحر ، ولقد أدرك العالم أن الحركة الصهيونية هي حركة رأسمالية إتفقت مع المصلحة الأستعمارية ، فليدرك الصهيونيون أن هذا إتفاق وقتي ولا يمكن أن يدوم لوضوح أن الأستعمار يناوىء القوميات المزاحمة التي تنمو في البلاد المستعمرة ويقاومها بكل ما أوتي من حول وقوة ، فاذا شعرت القوة الأستعمارية بتدرج روح القومية الصهيونية الى درجة تكون من الخطورة بمكان حيث تصبح منافسة لأغراضها الأستعمارية ، فلا تلبث أن تسعى في إضعافها ، مع أنها قد ترى من مصلحتها إبقائها في حياة عليلة تستغل وجودها في

سياستها ، وهل يدخل في عقل أي فرد له إلمام بشؤون السياسة الأستعمارية أن المستعمر بذل ما بذله من الأنفس والمال حباً باليهود والصهيونية أو للمحافظة عليهم من العرب كما يزعمون لأن ذلك يخالف الحقيقة ، وهل يعقل أن يكون وعد المستعمر للصهيونيين أرفع مقاماً من الوعود والعهود التي قطعها للعرب ، وهي وعود صريحة تعطي لصاحب الحق حقه ؟ وهل يعقل أن ينكث المستعمر بوعوده للعرب ويلتزم وعده للصهيونيين ؟ فقد دلت الحوادث وأثبتت التجارب أن الوعود التي تعطى في ظروف الحرب لا قيمة لها ، فهي حبر على ورق ، هذا مضافاً الى الضرورة السياسية التي تقضي بوجوب حفظ المستعمر صلاته مع اربعمأة مليون من المسلمين وخمس وسبعين مليوناً من العرب ، وهذا لا يتفق مع التزامه الصهيونيين بصورة ثابتة ، والكل يعلم أن للمستعمر مصالحه الأستعمارية ، وهي عنده فوق كل شيء ، ويضحي كل شيء في سبيلها ، وعند المستعمرين ما يسمونه (رجل الساعة) فأن أرادوا أن يحدثوا نزاعاً عمدوا الى البحث عن رجل الساعة الذي تتوفر فيه الشروط المطلوبة لتحقيق خططهم الجهنمية ، بواسطته ، وإني أرى جلياً أن المستعمر إستغل منكم الصهاينة عصبيتكم ولشدة هواكم في الوطن الفلسطيني ، إختاركم ليستفيد من أموالكم من جهة ولتحقيق غاياته الأستعمارية في فلسطين بل في الشرق الأوسط بواسطتكم من الجهة الأخرى لا سيما والمستعمر يعلم موطن ضعف الشعب الصهيوني وواقف تمام الوقوف على عصبيته العنصرية فما كان له إلا أن أعلن موافقته على تسريح

الوحش الصهيوني في حديقة فلسطين المقدسة وإذا أمكنها ففي بلاد الهلال الخصيب كافة ، ولا حاجة لبيان نتائج ذلك فالكل يعلم ما كان وما سيكون حتى يخرج الوحش من الحديقـة ، وهناك أسباب جوهرية أخرى جعلت المستعمر يختار اليهود لتنفيذ مآربه الأستعمارية في فلسطين والشرق العربي أهمها أن المستعمر لا يسعه أن يرتاح لألقاء هـذا العبء الثقيل على أي شعب له صلة خارجية ، لأن الشعب الذي له رابطة قومية أو دينية مع أمم العالم لا يمكن أن يعول على ولائه الدائمي لمصلحة المستعمر وعليه فقد وجد المستعمر في اليهود أمة ضعيفة متشتته لا حليف لها من الأمم ولا تربطها أية صلة دينية أو قومية مع أي شعب خارج الشعب اليهودي ، ولا تثق أمة بهذا الشعب ، فجاءت هذه الصفات مطابقـة للشروط التي كانت سياسة المستعمر وضعتها في إختيار من يلعب الدور على مسرح استعمار فلسطين فانه يرى من واجبه أن لا تزدهر فيها أمة ذات خطر لمطامعه يوماً ما ، وإن عقلاء العالم ينظرون بعين الأستغراب إلى أعمال زعماء الصهاينة الذين إنقادوا لتيار العواطف فرقصوا على دفء الأستعمار وهم سكارى بتأثير رحيق خيال الوطن الصهيوني في فلسطين فجادوا بأنفسهم ، وجروا وراءهم الأفراد والجماعات إلى جنب المدمرات الأستعمارية يقاتلون العرب ، وليعلم اليهود عامة والصهيونيون أن ما تزعمونه وطناً لليهود هو في الحقيقة والواقع قطعة من مستعمرات المستعمر وأنكم إن إستطعتم من تأسيس دولة اسرائيليـة في فلسطين فهي في الواقع مؤسسة للمستعمر وأنتم تصبحون

عبيداً له وعملاء عنده بعد ما كنتم أحراراً قبل ذلك ، ومن الآن قد أخذكم المستعمر بأساليب الرق المرهقة ، ورماكم بالدواهي القاصمات ، ولكن الصهيونية بعملها هذا أصبحت خير حافز لنهوض الشعب العربي من سباته العميق وإستيقاظ الروح الأسلامية التي تنبه وتنشط فيه الأيمان والثبات في وجوب التضحية والأتحاد لأرجاع مجد الأسلام والعرب وإعادة سؤددهم الغابر ، نعم إن القضية الصهيونية قد لعبت دوراً مهماً في ايقاظ الشعور العربي ، ونشطت العاملين في سبيل الوحدة العربية والوحدة الأسلامية ، لأن الحركة الصهيونية جعلت البلاد العربية والأسلامية تشعر بأن الأعتداء على أي بلد عربي اسلامي اعتداء على البلاد العربية والأسلامية جمعاء ولابد أن يثور كل عربي صميم وكل مسلم مؤمن بوجه هذا الأعتداء وهذا الأغتصاب وهذا الظلم والباطل بعد توحيد الصفوف والمناداة بالوحدة العربية والوحدة الأسلامية ، عسى أن يفيق المستعمر وينزل عن تطبيق فنه الأستعماري في فلسطين المبني على إحداث الأضطرابات لتوطيد قدم الأستعمار فيها فيواجه الحقيقة الراهنة ويهادن الشعب العربي ، ويفسح له طريق الحياة ويكلم العرب والمسلمين بلسان الصراحة والتفاهم وهو اللسان الذي يفهمه العرب والمسلمون لما جبلوا عليه من حب الصراحة وكره الختل والخداع ، وسيضطر المستعمر الى توفيق سياسته مع رغبات العرب والمسلمين ، فحينئذ لا تبقى أية وسيلة يمكن ان يتعكز بها الصهاينة سوى ما هو من غرائب الصدف في التاريخ وهو ما نشاهده من تعاون المستعمر الشرقي الشيوعي مع المستعمر

الغربي الرأسمالي لتحقيق الأحلام الصهيونية في فلسطين برغم التناقض
الموجود بين سياستيهما اللتين هما ضدان لا يجتمعان ، وهذا التعاون منهما
ليس حباً باليهود الصهيونيين بل . لأن لكل منهما أطماعاً كثيرة في منابع
الثروة في بلاد الشرق الأوسط فلأجل ذلك يحاول الخصمان تعكير مياه
الأستقرار والنظام فيها ليصطادوا في جو الأضطراب والفوضى ، ولعل
هذا التعاون أصبح مشجعاً لكم على الظلم والأغتصاب ، ولكن تريثوا قليلا
لكي يظهر لكم أن هذا التعاون والتوافق بين الشرق الشيوعي
والغرب الرأسمالي في قضيتكم وقتي لا يدوم ، لأن الشيوعية إنما تكونت
كرد فعل للرأسمالية العالمية التي بطلها اليهود الذين إرتكبوا قذرن الربا
خلال ألوف من السنين حتى سيطروا بذلك على أكثر ثروة العالم وأصبحوا
من كبار الرأسماليين وإن ما يعلمه العالم أجمع من التنافس العنيف العميق
بين الشرق الشيوعي والغرب الأستعماري على منابع الشرق الأوسط
- بمقتضى سياستيهما المتناقضتين - سينتهي أخيراً إلى زوال أحلامكم
ووطنكم القومي عن عالم الوجود ، اذ لا شك في أن احد الجانبين متى
ساعد الصهيونية مساعدة جدية قام الجانب الآخر بمساعدة العرب والمسلمين
في سبيل تحقيق مطامعه الأقتصادية والسياسية ، فلا يغرنكم هذه المظاهر
والظواهر وحينئذ ينتهي أيضاً تغافل سائر الحكومات الكبيرة وتجاهلهم
هذا الأعتداء الواضح والظلم الفاحش على العرب في القضية الصهيونية
التي تمثل على مسرح فلسطين بمرئى ومسمع منها ، وسيؤثر تنافس الشرق

والغرب في فشل المجموعة اليهودية القوية التي تقارب الأربعة ملايين من الأنفس في بلاد الدنيا الجديدة (القارة الأمريكية) في تحقيق أغراضها واماتيها بقوة تلك الحكومة والظاهر أن المستعمر أصبح يرغب في إستمالة صداقة البلاد العربية والسعي في توحيدها لتأليف جبهة قوية متحدة منها يكون حليفة له وصديقته في المحن، فيكون بذلك قد وطدت أواصر التعاون والتحالف للمحافظة على مصلحة الجانبين ، ومما يدل على ذلك خطوته في سلخ منطقة عدن من حكومـة الهند ، وهذه الرغبـة لا تتحق إلا بتركه مساعدة الصهيونية وإنصرافها عن تحقيق الوطن القومي الصهيوني في فلسطين وحينئذ يفيق الصهيونيون الذين ينفقون الأموال الطائلة في فلسطين وفي تل أبيب لانشاء مستعمراتهم وتشييد أبنيتهم الفخمة وقصورهم المنيفة ويدركون أنهم عملوا ويعملون لغيرهم ، وقد يأتي يوم تمسي فيه هـذه المستعمرات والمباني مواطن للعرب أصحاب البلاد ، ولا بد أن يرجع الحق إلى أهله ومحله ، لأن فلسطين بلاد عربية محاطة بعناصر عربية فلا تستطيع أن تنسلخ عن البلاد العربية المتاخمـة لها مهما حاول المستعمر والصهيونيون فصلها ، وبالأخير ينتصر الحق والعدل على الباطل والظلم ، فيرجع أهل البلاد إلى مواطنهم يهزجون أناشيد النصر رافعين علم العروبة على السواحل موطدين دعائم الوحدة العربية تمهيداً لتحقيق الوحدة الاسلامية بجلالهـا المجيد ، واعلموا أن الأخطار الطائلة ، والصعوبات الهائلة التي أنذرناكم الآن بويلاتها المترقبة إن لم تتركوا فلسطين وإن كانت هي فوق أن تفي

ببيانها خطب كثيرة ولكن مع ذلك قد ألقينا عليكم في هذا الموقف بعض مواضع العناية ، وشفعناهـا بالمنطق الصريح ، وعززناها بالأدلة الحسية الصحيحة حرصاً على إحاطة علمكم بأعماق الغرض الأستعماري ، وأسرار الحقيقة والواقع ، فتدركون أن إثارة الفتن وإحداث الثورات الهـائلة في فلسطين لا تنجلي إلا عن إتلاف النفوس والأموال على غير طائل سوى تعزيز مقام الدول الأستعمارية وتوسيع نطاق إستعمارها ، عسى أن تغيروا ما بأنفسكم ، وتستبدلوا بهذه البلاد الفلسطينية قطراً آخر من أرض الله الواسعـة ، فتخلصون بذلك أنفسكم من قيود الأسارة الأستعمارية ومن العبودية للمستعمرين ، وتصبحون أحراراً ، وتنالون بذلك عطف العالم أجمع وعطف العرب والمسلمين خاصة ، وإلا فأنا النذير بأن الخطر عليكم كبير ، والتدارك عسير ، ولا ينبئكم مثل خبير ، (فأن غداً لناظره قريب) فأفيقوا عن سباتكم ، ولا تلبسوا الحق بالباطل وأنتم تعلمون) .

﴿ دعائم تنهار ﴾

حقاً أنها معجزة من معجزات القدر أن يقف الأمام الزنجاني وهو أعظم علماء العرب والمسلمين في وسط المعمعة (بتل أبيب) عاصمة اليهود بأعصاب من فولاذ ويوجه الأنذار التاريخي الصارخ بصوت كالرعـد الى اليهود ومعاضديهم ، وهو فرد (ولكنه كان جيشاً في إهاب رجل ، ورجلا في عزيمة جيش) وكل عضو في الروع منـه جموع ، (وكان من نفسه الكبيرة في جيش وإن خيل أنه إنسان) فغمرهم بموجة من الهيبـة

الآلهية ، والروحانية القدسية ، والعقلية الفياضة ، والعبقرية الكاملة والجرأة النادرة ، والشجاعة البالغة ، والبراهين الساطعة ، ولا غرو (فانه يحمل أعلى الشهادات من سيرة أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب الذي حمل وحده بأمر الله رسوله (ص) سورة البراءة وتلاها على المشركين في مكة في موسم الحج) وبمثل هذا كان الأمام الزنجاني يعدل أمماً وتنطوي في مؤهلاته أجيال) فانهارت دعائم اليهود ، فأمالوا له الأعناق خضوعاً ، وطأطأوا الرؤوس أمامه تواضعاً ، وتقدم زعماء اليهود الى الأمام الزنجاني ملتمسين من سماحته أن يتوسط لهم أمام اللجنة العربية العليا لأيجاد التفاهم بين اليهود وبين ساسة العرب لأجل حل المشكلة بطريقة إندماج اليهود كأقلية في حكومة عربية مستقلة تقام في فلسطين بدلا من ركون اليهود الى العضد البريطاني الذي تأكدوا من أنه غير ثابت بالنظر الى التقلبات السياسية حيناً بعد آخر وفقاً للظروف الدولية وأضافوا أن اليهود محتاجون إلى العرب والعرب محتاجون الى أموال اليهود ورجالهم ، وهما أمتان مترابطتان من الجنس السامي ، عسى أن يؤول الأمر في النهاية إلى حسن تصافيهما وإصلاح ذات البين وزوال دواعي تجافيهما وفي ذلك كل الخير لهما في بلاد يحبانها ويريدان أن تكون مناهل يرتشفان فيها رضاب الخير والهناء والسعادة .

ولكن الأمام الزنجاني رفض إقتراح اليهود وقال : أعتقد أن العرب لا ينخدعون بمثل هذا الكلام المخدر ، ولا يقنعون بأن اليهود يمتون اليهم بصلة جنسية أو قربى عنصرية ، وقال أيضاً : إن قضية فلسطين ومشكلة

اليهود ليست قضية مصالح ولا قضية أواصر جنسية ، وإنما هي قضية حرية واستقلال ضد إستعمار وإستغلال . وقد تفضل الأمـة أن تكون حرة مستقلة راضية بالفقر على أن تملأ ديارها بالذهب والمال تحت يد الأستعمار والأستعباد ، ومن المحال إقناع العرب بهذا التفاهم لأننا نعتقد أنه لا خير في أموال اليهود ولا في رجالهم ، وليس من الممكن قبول إندماجهم في الحكومة العربيـة في فلسطين بكل الوجوه ، ونحن لا نرضى أبداً بكل حل للمشكلة على أساس أن يبقى فرد واحد من اليهود كشريك للعرب في فلسطين أو في أقل جزء منها ، وليس لكم عند العرب إلا أن تخرجوا من فلسطين وتتركوها لأصحابها .

هذا ختام الجزء الثاني من كتاب (صفحة من رحـلة الأمام الزنجاني وخطبه في الأقطار العربية والعواصم الأسلاميـة) وسيتلوه الجزء الثالث حافلا بسائر خطب الأمام الزنجاني انشاءالله تعالى

جدول الخطأ والصواب للجزء الثاني

ص	س	خطأ	صواب
٥	١	رثق	رتق
٢١	١٥	البرعة	البراعة
٣٧	١٤	وفد	وقد
٥٧	١٣	الخالدة	الخالد
٦٤	٥	المحاضرة	المحاضر
٦٦	١٣	شرف	أشرف
٦٧	١٤	بنما	بينما
٧٦	٢	ذاتا	ذاتاً
٧٦	٦	متعلقة	متعلقه
٩٣	٥	لمؤسس	المؤسس
١٠٨	٤	فتلوه	قتلوا
١٠٩	٣	عفم	عقم
١١٢	١٠	الفرآن	القرآن
١١٢	١٣	ففد	فقد
١١٣	٨	فأواه	فأراه
١١٣	١٦	الليل	النهار
١١٧	١٨	ولك	أولئك
١٢٠	١٤	اولك	أولئك
١٢٥	١	يبن	يبين
١٢٨	٢	استفتفاح	إستفتاح
١٣٣	٦	تنفية	تنفيه
١٣٩	٥	الحمدي	المحمدي
١٦١	١	راقية	بل راقية
١٨٩	١٣	يعد	بعد
١٩٠	٤	اخلاف	إختلاف
١٩٢	٧	بها	بها
١٩٨	١٢	الأشرف	الاشراف
٢٠٥	٤	في الذين	في الدين
٢٢٠	١٦	لظمة	لعظمة
٢٢٣	١	يبن	يبين
٢٢٤	٢	حا	حباً

فهرس الجزء الثاني

من كتاب «صفحة من رحلة الأمام الزنجاني»

﴿ فهرس الجزء الثاني ﴾

﴿ فهرس الجزء الثاني ﴾

﴿ فهرس الجزء الثاني ﴾

﴿ فهرس الجزء الثاني ﴾

﴿ فهرس الجزء الثاني ﴾

﴿ فهرس الجزء الثاني ﴾

﴿ فهرس الجزء الثاني ﴾

الصفحة

﴿ فهرس الجزء الثاني ﴾

الصفحة

﴿ فهرس الجزء الثاني ﴾

الصفحة

﴿ فهرس الجزء الثاني ﴾

﴿ فهرس الجزء الثاني ﴾

الصفحة

﴿ فهرس الجزء الثاني ﴾

﴿ فهرس الجزء الثاني ﴾

الصفحة



